موقف المستشرق البريطاني جيمس روبسون من الكتب الستة:
دراسة تحليلية نقدية

إعداد

سيرين عبد الرحمن سالم عاليه

المشرف

الدكتور سلطان سند العكايلة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في
الحديث النبوي

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

آب، ٢٠١٠م

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع ... التاريخ ٢٠١٠/٢٠/٢٠١٠ م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (موقف المستشرق البريطاني جيمس روبسون من الكتب الستة: دراسة تحليلية نقدية). وأجيزت بتاريخ ٢/٨/٢٠١٠م

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيـــــــــــــع
الدكتور "سلطان سند العكايلة / مشرفا أستاذ مشارك-الحديث-أصول الدين	....
الأستاذ الدكتور محمد خازر المجالي /عضوا أستاذ - التفسير - أصول الدين	....
الأستاذ الدكتور باسم فيصل الجوابرة/ عضوا أستاذ - الحديث- أصول الدين	....
الأستاذ الدكتور شاكر فياض لخوالدة /عضوا أستاذ- الحديث - (جامعة الحسين بن طلال)	....

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالـــة
٢٠١٠/٨/٢٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إهداء

إلى الحبيب المصطفى – صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين– الذي كان أهلاً لأن يُخاطبه الله تعالى بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: 4].

نعم، عظيمٌ في خلقه وأقواله وأفعاله.

فإلى الحبيب المصطفى أُهدي رسالتي هذه ، سائلةً المولى سبحانه وتعالى أن يجعلها في صحيفة حسناتي ، وأن يجعل مِثْلَ رصيدي من الحسنات في صحيفة كل مَن ساعدني وأخذ بيدي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكرٌ وثناءٌ

أخرج الترمذيُّ وابنُ ماجه وعبدُ الرزَّاق:

عَنْ أَبِي هَارُونَ الْعَبْدِيِّ قَالَ:

كُنَّا نَأْتِي أَبَا سَعِيدٍ الخدري فَيَقُولُ: مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ!

إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ:

«إِنَّ النَّاسَ لَكُمْ تَبَعٌ، وَإِنَّ رِجَالًا يَأْتُونَكُمْ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرَضِينَ يَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ ، فَإِذَا أَتَوْكُمْ فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْرًا»(١).

فكلُّ الشكر والعرفان لمن استوصى بنا خيراً، وبذل من وقته وجهده وصبرِه، وأسدى توجيهه ونصحه:

وأتقدَّم بخالص الشكر والامتنان إلى والدي الذي تكبّد عناء ترجمة أبحاث المستشرق روبسون وتدقيقها، وإلى كل مَن أعانني وقدَّمَ لي الدّعم لإنجاز هذه الرّسالة... .

الدكتور سلطان سند العكايلة

لقد أتيناه فوقعنا بأرضٍ من العلمِ لا يَطيرُ طيرُها، وصادَفْنا منه سُبُوطةَ الأنامل ببذلِ العلم، وانبساطَ الرّاحاتِ بنَشْرِ المعرفة..

فكلُّنا ثناءٌ عليه.. ثناءَ الزهرِ على القَطر..

وله على طلبتِهِ يدٌ بيضاءُ، وفي أعناقِهِم شكرٌ لازم.

بارك الله في جهده، وشَكَرَ له سعيَه.

---

(١) أخرجه: الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، حكم على أحاديثه وآثاره وعلَّقَ عليه: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض، ط 2، 2008م، كتاب العلم، باب ما جاء في الاستيصاء بمَن يطلب العلم، رقم (2650)، ص597، ابن ماجه، محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، سنن ابن ماجه، إشراف ومراجعة فضيلة الشيخ: صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، دار السلام- الرياض، ط1، 1999م، كتاب السُّنّة، باب الوصاة بطلبة العلم، رقم (249)، ص38، عبد الرزاق، ابن همام الصّنعاني، مصنّف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي- بيروت ، ط2، 1403هـ، باب العلم، رقم (20466)، ج11، ص252، بلفظ: "إنه سيأتيكم قوم من الآفاق يتفقهون فاستوصوا بهم خيراً".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المحتويات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موقف المستشرق البريطاني جيمس روبسون من الكتب الستة:
دراسة تحليلية نقدية

إعداد

سيرين عبد الرحمن سالم عاليه

المشرف

الدكتور سلطان سند العكايلة

الملخص

يأتي موضوع البحث ضمن محور الدّفاع عن السّنّة النّبويّة، خاصّة بعد أن توجّه المستشرقون لدراسة السّنّة ونقدها وإثارة بعضٍ منهم شكوكاً حولها، وقد تناولتُ منها نقد المستشرق البريطاني جيمس تشارلز روبسون حول الكتب الستة؛ التي هي أبرز كتب السنَّة.

ومن أبرز الأهداف التي سعيتُ لتحقيقها التّعرُّف على منهج روبسون في دراسة الحديث النبوي، والوقوف على آرائه حول الكتب الستة، ومناقشتها مناقشة علمية موضوعية، خاصّة أن السنَّة مصدر رئيس من مصادر التّشريع الإسلامي وهي من ركائز الإسلام التي بهدمها يُهدَم الإسلام.

ولقد تم تقسيم البحث إلى مقدّمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة؛ حيث جاءت المقدّمة للتعريف بالدراسة، إذ بيّنتُ فيها مشكلة الدراسة وأهميتها وأهدافها ومنهجية البحث، وتناول التمهيد الخطوط الرّئيسة التي سار عليها المستشرقون في الدراسات الإسلامية عموماً، وكذلك بيّنتُ بدايات دراسات المستشرقين حول السّنّة النبوية.

وأما الفصل الأول فتحدّثتُ فيه عن مفهوم الاستشراق وبداياته وعن حياة المستشرق جيمس روبسون وجهوده الاستشراقيَّة.

أما الفصل الثاني فتحدّثتُ فيه عن أبرز الموضوعات التي تبنّاها روبسون تجاه الحديث النبوي، ومنهجه في دراسته، وناقشت موقف المستشرق روبسون تجاه مصنّفي كتب الحديث الستة ومكانتها ورواياتها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما الفصل الثالث فتحدّثتُ فيه عن موقف روبسون من متون أحاديث الكتب الستة التي تعرّض لها بالنّقد، حيث تناولتُ فيه موقفه من المتون المتعلّقة بالنبي ﷺ من حيث حياته وزهده ومعجزاته، تلاه موقف روبسون من أصحاب النبي ﷺ، وقد تحدّث روبسون عن موقفَيْن لعائشة رضي الله عنها وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأخيراً دعواه باطّلاع النبي ﷺ على الكتاب المُقَدّس والاقتباس منه، كل ذلك مع المناقشة والتفنيد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدمة

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتمَّ علينا النعمة، وجعل أمَّتنا –أمَّة الإسلام– خيرَ أمَّة، وبعث فينا رسولاً منَّا يتلو علينا آياته ويزكينا، ويعلِّمنا الكتاب والحكمة.

والصلاةُ والسَّلامُ على مَن أرسله الله للعالمين رحمة، سيّدنا ونبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه.

إنّ للدراسات والأبحاث دوراً كبيراً في توضيح الأفكار وتصويبها الموجهة تجاه كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ كأساسين متينين للدين الإسلامي ولدولة الإسلام. حيث تعمل على توضيح أفكار أصحابها ومقاصدهم منها، ومناهجهم في فهم القرآن والسنة ومدى خطورة مؤلفاتهم وأبحاثهم على مَن لا يعلمون طبيعة هذا الدين والمُستَجِدّين فيه والعامة من الناس . وكان للمستشرقين دورٌ بارزٌ في دراسة كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فكان لهم نظريات وأفكار بارزة نتيجة لدراستهم للقرآن والسنة النبوية بحجة أنها غير محفوظة ، وغيرها من الحجج، إلا أن الناظر في تاريخ تدوين الأحاديث النبوية الشريفة يجد أن العلماء لم يألوا جهداً في تنقيح الأحاديث ووضْع القواعد والأصول التي على أساسها تُقبَل الروايات وبيان مستوى الروايات المقبولة وأسباب رد روايات أخرى حتى خرجت كتب ومصنفات احتوت على نخبة من أصح الأحاديث النبوية الشريفة التي شهدت العصورُ بحسن انتقائها. ومن هؤلاء المستشرقين الذين كان لكتاباتهم نصيبٌ وافرٌ من الشبهات حول السنة النبوية المستشرق روبسون الذي أُفرِدَت هذه الدراسة لعرض آرائه في السنة النبوية ومنهجه في ذلك.

وأنا في رسالتي لم أقف موقف الرفض والإدانة المسبقَين من المستشرق جيمس روبسون بل حاولت قدر المستطاع أن أتّبع المنهج العلميّ المنضبط في مناقشة آرائه في الحديث النبوي التي زعم فيها وجود أخطاء تاريخية، ووضْع، واقتباسات من كتبٍ أخرى، وسوى ذلك.

مشكلة الدراسة:

يُعدُّ الاستشراق من القضايا التي كَثُر الجدل حولها، وتباينت المواقف والآراء تجاهها، فهي تمثّل أحد معالم الغزو الفكري القائم في هذا العصر الذي تشعّبت فيه معالم الصِّراع بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، حيث لجأ الغرب من أجل تسهيل تحقيق مآربهم وأهدافهم المتعلقة بالدول الإسلامية إلى إرسال البعثات الاستشراقية والتنصيرية ، وإنشاء المراكز التي تُعنى بدراسة أحوال العالم الإسلامي بكل ما يحمله من مخزون معرفيّ وعلميّ ودينيّ، ولم تكن نتائج تلك الدِّراسات بمعزل عن القرار السِّياسيّ، وإنَّما ارتبطت به ارتباطاً وثيقاً.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أهمّ الحقول التي خاض المستشرقون فيها الحديث النَّبويّ الشريف لما له من مكانة أساسية في الإسلام، حيث درسوا الحديث النَّبويّ في شتّى علومه ومصنّفاته، ومن تلك الدِّراسات ما يتعلّق بتدوين الحديث، ومنها ما يتعلّق بالسّند والمتن، ومنها ما اختصّ بعلم مصطلح الحديث، وقامت بعض الدِّراسات بتسليط الضّوء على مصنَّفات الحديث المتنوِّعة، ككتب الصِّحاح والجوامع والسُّنن وغيرها من المصنَّفات، لذلك كانت دراساتهم تشمل مختلف أنواع علوم الحديث.

ولم يلتزم معظمهم الموضوعيّة والحياد في دراساتهم، فتعدّدت مواقفهم واتجاهاتهم بحسب النّشأة والمعتقد، أو الدَّوافع والأهداف. فكانوا يتدخلون بشخصياتهم وآرائهم وأهوائهم الخاصة فيفسرون الحوادث ويناقشون النصوص التشريعية، ويحللون قضايا اللغة العربية وشخصيات الحضارة الإسلامية، كل ذلك يدرسونه من وجهة نظرهم ويطلون عليه من نافذتهم الخاصة فيلقون عليه ظلالاً كثيفة تغير معالم الصورة الأصلية، وفي غالب الأحيان تعطينا دراساتهم صورة غربية مشوهة ل لحضارة الإسلامية، وتقدِّم لنا الإسلام نفسه من خلال نظرة علمانية أو نصرانية هذا مع أنه توف ر للمستشرقين من الإمكانيات والعوامل المساعدة ما لم يتوفر لأحد، خاصة عندما بسطت أوروبا نفوذها وسيطرتها الاستعمارية على منطقة العالم الإسلامي وفتحت الأجواء فسيحة للمستشرقين يتجولون في المنطقة بحرية تامة ويعبثون بمصادر الثقافة فيها ومعالم الحضارة.

وقد خطت بريطانيا في هذا المجال خطوات مبكرة ، وأدّى مستشرقوها أدواراً مهمّة في تنفيذ سياساتها تجاه الدول الإسلاميّة، وتبوّؤ وا مراكز مهمّة في الدولة حيث كانوا دوماً مُقرّبين من دوائر صُنع القرار، وتنوّعت مهامُّهم فكان منهم الرَّحالة والجواسيس والمستشارون وأيضاً الأكاديميّون، وكانوا هم المحرّك الخفيّ لقرارات الدّولة –كما سيأتي توضيح ذلك في المبحث الثاني من الفصل الأول–.

وقد تناول الباحثون المسلمون مواقف المستشرقين من الحديث النّبويّ بالدّراسة من عدّة جوانب، وقاموا بمناقشتها ونقدها، وتتناول هذه الدّراسة موقف المستشرق البريطانيّ جيمس روبسون من الكتب الستة، حيث كان أحد الباحثين في مختلف علوم الحديث النبوي الشريف، إذ تطرّق للحديث عن قضايا السَّند والمتن وعلم الرّجال وروايات السُّنن الأربع وصحيح مسلم، وغيرها من العلوم في الإسلام.

وستقوم هذه الدِّراسة بالإجابة عن الأسئلة التَّالية:

1. ما موقف روبسون من الكتب الستة ومصنِّفيها وما نظرته إلى مكانتها بين مصادر الشّريعة الإسلامية؟
2. كيف تعامل روبسون مع قضيّة نقد المتن؟ وما موقفه من متون الأحاديث في الكتب الستة؟

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

3. ما الآثار المترتبة على نقد روبسون لأحاديث الكتب الستة ؟ وما قيمة هذا النّقد في ميزان العلم؟
4. ما معالم المنهج الذي اتَّبعه روبسون في دراسة الحديث النَّبويّ؟
5. ما مدى التزام روبسون بالحياديَّة والموضوعية في أبحاثه حول علوم الحديث، وما مدى النَّزاهة العلميّة في نقده للكتب الستة؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في الآتي:

1. تناولها أبرز كتب الصّحاح والسُّنن وأهمّها التي حاول أعداء الإسلام قديماً وحديثاً الطعن فيها والتشكيك والحطّ من شأنها، لما لها من شأن ومكانة في الدين الإسلامي.
2. تناولها مدرسة الاستشراق البريطاني عموماً بين مدارس الاستشراق التي أثّرت على غيرها من المدارس الاستشراقية.
3. تعلُّقها بدراسة موقف المستشرق جيمس روبسون الذي يُعدُّ من أبرز المستشرقين الذين درسوا الحديث النّبويّ مقابلةً مع غيره من المستشرقين؛ حيثُ يُعدُّ من أكثرهم أعمالاً في مجال الحديث النّبويّ, وإبرازها آراء المستشرق روبسون التي أثيرت حول الكتب الستة تحليلاً ونقداً.
4. إبرازها منهج المستشرقين المعاصرين ومدى اتفاقهم واختلافهم مع أسلافهم، فروبسون موضوع الدراسة توفي سنة (1981م).

أسباب اختيار الموضوع:

1. ندرة الكتابات الواردة في آراء المستشرق روبسون ، كما أن كتابات روبسون كلها بغير اللغة العربية.
2. ضرورة وجود دراسات ومؤلَّفات تُبَيِّن وتوضِّح مناهج المستشرقين في دراسة الحديث النبوي.

أهداف الدراسة:

1. الإسهام في سدّ ثغرة في مجال التأليف في تحليل الدراسات الاستشراقية المختصّة بالكتب الستة ونقدها.
2. التّعرُّف على منهج المستشرق جيمس روبسون في دراسة الحديث النَّبويّ الذي يمثّل نموذجاً لمناهج المستشرقين المعاصرين في دراساتهم للعلوم الشرعية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

3. الوقوف على آراء روبسون حول الكتب الستة ومناقشتها مناقشة علمية موضوعية، ومتابعة أثرها في الحديث النَّبويّ الشريف.
4. إبراز جانب مهم لم يحظ بالاهتمام الكبير من قِبَل الباحثين المسلمين ولم يعطوه ما يستحقّ من الدراسة، وهو موقف المستشرقين من الكتب الستة، فجاءت دراستي خاصّة في بيان موقف جيمس روبسون من الكتب الستة.

الدراسات السابقة:

من خلال اطلاعي على الكتب التي اختصّت بالاستشراق والمستشرقين –وهي كثيرة وجدتُ أن الدراسات المتصلة بهذه الدراسة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الدراسات المتعلقة بنقد آراء جيمس روبسون في الحديث النبوي، ولم أعثر إلا على دراسة واحدة: وهي:

فتح الدين بيانوني، **"Hadith and it's Principles in the Early Days of Islam: A Critical study of a western approach" (الحديث وعلومه في بدايات الإسلام: دراسة نقدية للرؤية الغربية)**، رسالة دكتوراه، جامعة جلاسجو – بريطانيا، سنة 1994م.

تناول الباحث في دراسته الحديث عن مرتكزات المستشرقين في دراسة علم الحديث الشريف وناقشها، وتعرّض لمناقشة آراء المستشرق جيمس روبسون في قضيّتين رئيستين: الأولى تتعلّق بأهميّة السنّة ومكانتها في صدر الإسلام، والثانية تتعلق بأصول الحديث أو علوم الحديث في القرن الهجريّ الأوّل، حيث يرى الباحث أن هاتين القضيّتين من أبرز القضايا التي أثارها المستشرقون في دراستهم لعلم الحديث، وتمثّل مرتكزات رئيسة انطلق المستشرقون منها في دراستهم لعلم الحديث.

والجديد في دراستي إفراد موقف روبسون مفصولاً عن غيره من المستشرقين، إضافة إلى تناولها جانباً آخر لم يتناوله الباحث؛ وهو موقف روبسون من الكتب الستة ورجالها.

وللأسف لم أتمكن من الحصول على هذه الدراسة، ولكني تعرفت على ملخصها من خلال بحث نشره الباحث في كتاب "وقائع ندوة الجهود المبذولة في خدمة السنّة النَّبويّة من بداية القرن الرابع عشر الهجري إلى اليوم "، التي نظمتها كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القسم الثاني: الدراسات التي تناولت الحديث النبوي في دراسات المستشرقين:

1. محمد مصطفى الأعظمي، **دراسات في الحديث النَّبويّ الشريف وتاريخ تدوينه** ، رسالة دكتوراه، جامعة كامبريدج- بريطانيا، سنة 1966م، طبعت سنة 1992م، دون تحديد لرقم الطبعة.

ونقدت هذه الدراسة شبهات المستشرقين حول حجية السنّة وتدوين الحديث والإسناد، وشبهاتهم حول الأحاديث وصحتها، وما انفرد به المستشرق شاخت في نظريته في صحة الأحاديث، مع إيراد تصوره لطبيعة الفقه الإسلامي، وبيان أمثلة عليها.

وقد تعرّض الباحث للحديث عن روبسون في الباب السابع من رسالته (الإسناد: تفنيد نظرية شاخت عن انتشار الأسانيد وتفرعها)، حيث أورد رأيه في تبني تلك النظرية وبيانه مدى فاعليتها في تطبيقها على الأحاديث، وفي الباب نفسه ذكر قول روبسون مُعلّقاً على نظرية شاخت ومضيفاً إليها أسباب رفع الحديث إلى النبي ﷺ، إضافة إلى ذكر آراء روبسون بالأسانيد العائلية.

تتميز دراستي عن هذه الدراسة بأنها تخصصت في بيان آراء روبسون وحده حول الكتب السّتة، حيث لم يُعنَ به الباحث في دراسته، وكذلك باستقراء آرائه حول الكتب السّتّة وما يتعلّق بها من مسائل، من جميع أعماله.

2. محمد لقمان السّلفي ، **اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم** ، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد كتبت الرسالة في السنة 1404هـ وطبعت الطبعة الثانية -المتوفرة- سنة 1420هـ.

يُلحظ على هذه الدراسة عدم حصر فئة معيّنة من المستشرقين وعدم استقراء جميع الشُّبهات المثارة على المتون، كما لم يستقرئ الباحث جميع المتون التي وردت عليها الشّبهات، وكان دحضه لها غالباً بالاعتماد على أقوال سلفه من الباحثين الذين تعرّضوا لتلك القضية، ولم تكن جميع الرُّدود متّصفة بالقوة.

ولم أقف على ذكر للمستشرق جيمس روبسون عنده مع أنه ذكر نموذجاً من الشّبهات المثارة حول المتون، وكان هناك القليل من تلك النماذج ما وافق آراء روبسون، وفي الغالب لم تكن هذه المتون مما وجّه إليها روبسون النقد.

لذا تميّزت دراستي بما يلي:

- الاقتصار على مستشرق واحد واستقراء آرائه حول الكتب الستة و مصنِّفيها من جميع أعماله المتعلّقة بالحديث النّبويّ.
- النقد الموضوعي لهذه الآراء.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

3. محمد بهاء الدين، **المستشرقون والحديث النَّبويّ** ، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، سنة 1999م.

ويُلحظ فيها أن تقسيم الباحث لها لا يتوافق مع عنوان البحث، حيث أهمل جانب الحديث عن المستشرقين، إضافة إلى أنّه لم يضع محدّدات واضحة لبحثه في العنوان أو في المقدمة، مما أدّى إلى عدم وضوح الفئة التي تناولها بالدراسة من المستشرقين، فجاءت دراسته عامّة، ومع ذلك لم يستقرئ آراء جميع المستشرقين حول الموضوعات التي طرحها، وبالتالي لم يتناول جميع الشّبهات حول الحديث النَّبويّ، ولم يرجع الباحث إلى المصادر الأصليّة لهؤلاء المستشرقين لنقل آرائهم، بل اكتفى بنقلها من المؤلفات العربية التي اهتمّت بهذا الموضوع، فلم يتمكّن من الوقوف على أقوال المستشرقين بدقة.

واعتمد في الغالب حال ردّه على الشّبهات على ردود د. محمد الأعظمي في كتابه (دراسات في الحديث النَّبويّ) -المذكور- دون نقد ، وإنما اكتفى بنقلها دون تعليق، ولم يتعرّض للحديث عن روبسون سوى في ثلاثة مواضع: أولها في الفصل الأول: **دراسات في الأحاديث النَّبويّة والغاية منها** حيث عرّف بروبسون تعريفاً مجملاً لا يفي بالمقصود، وثانيها في الفصل الثالث: **المستشرقون وسند الحديث** حيث قام بدراسة رأي روبسون حول نشوء السند وبدايته وبيّن أنه تأثر بشاخت، وقد بيّن أيضاً في الفصل نفسه موقف روبسون من الفتنة التي أشار إليها ابن سيرين حيث خالف شاخت في تحديد تاريخها، وهذا ما ليس له ارتباط بالموضوع الذي سأتناوله في دراستي.

ولقد جاءت دراستي بجانب لم يتطرّق الباحث له حيث فصلت القول في آراء المستشرق جيمس روبسون حول الكتب الستة ورجالها، وهذا ما لم أقف عليه عنده، كما سأتحدث عن الاستشراق بشيء من الإجمال، وهذا ما لم يدرجه الباحث في صفحات كتابه.

وما يميّز دراستي أيضاً استقراء آراء جيمس روبسون للوقوف عل يها جميعها حول الكتب الستة ومصنِّفيها ورجالها معتَمِدَة على المصادر الأصليّة في ذلك، وهي أبحاثه التي نشرها روبسون نفسه في المجلاّت العلميّة، والتي سأقوم بمناقشتها وفق منهج علمي منضبط مع الأخذ بأقوال الباحثين السّابقين دون الاعتماد عليها بشكل رئيس.

4. أمامة محمد سالم الحبّال، **موقف المستشرقين من السنّة النَّبويّة**، ط1، 2000م.

اقتصرت الباحثة في الدراسة على ثلاثة مستشرقين وهم جولدزيهر وشاخت وفنسنك، كما أنها لم تستقرئ الشبهات الواردة حول السنة النبوية، وهذا مخالف لما أوحى به العنوان، بل إنها اقتصرت على القليل من هذه الشبهات، كما لم تأخذها من مصادرها الأصلية، بل اكتفت بالكتب العربية التي قامت بذكرها وترجمتها، إضافة إلى اكتفائها في ردها بالاعتماد على الردود السابقة في الدراسات قبلها، وأيضاً تتصف الدراسة بالاختصار المُخلّ المنافي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لمضمون العنوان (موقف المستشرقين من السنة النبوية) الذي جاء عاماً وغير محدد المعالم، وما يميز دراستي عن دراستها هو تقييد الموضوع وقصره على مستشرق واحد لم تُشر إليه الباحثة في دراستها.

منهج البحث:

اعتمدت في تحقيق أهداف الدراسة المناهج الآتية:

1. المنهج الاستقرائي: حيث استقرأت آراء روبسون حول الكتب السّتة من جميع أعماله المتعلّقة بهذا الموضوع، وهي مكتوبة باللغة الإنجليزيّة، حيثُ قام والدي المترجم عبد الرحمن سالم عاليه بترجمتها.
2. المنهج التحليلي: وقمت فيه بتحليل آراء روبسون واستنتاج منهجيته في تبنّيه الآراء.
3. المنهج النقدي: حيث درست آراء روبسون دراسة نقديّة قائمة على الدليل وبيان الأخطاء المنهجية فيها مع التزام البعد عن الانفعال العاطفي حالَ مناقشتها، كما قمتُ بتوثيق الآراء والأقوال حسب أصول التوثيق العلمية، مع ذكر المراجع وعزو الآيات وتخريج الأحاديث.

خطة البحث:

قسمتُ البحث على النحو الآتي:

المقدمة

تمهيد

الفصل الأول: الاستشراق البريطاني: لمحة تاريخية.

المبحث الأول: تعريف الاستشراق ودوافعه وأهدافه.

المبحث الثاني: تاريخ الاستشراق البريطاني وواقعه المعاصر و خصائص الدراسات الاستشراقية البريطانية.

المبحث الثالث: ترجمة المستشرق جيمس روبسون.

الفصل الثاني: منهج روبسون في الحديث النبوي وموقفه من مكانة الكتب الستة ومصنِّفيها.

المبحث الأول: منهج روبسون في الحديث النبوي.

المبحث الثاني: موقف روبسون من مصنِّفي الكتب السّتة.

المبحث الثالث: موقف روبسون من مكانة الكتب الستة.

المبحث الرابع: موقف روبسون من روايات صحيح مسلم والسنن الأربعة.

الفصل الثالث: موقف روبسون من متون أحاديث الكتب الستة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول: موقف روبسون من النبيِّ ﷺ.

المبحث الثاني: موقف روبسون من الصحابة ﷺ.

المبحث الثالث: دعوى تأثر الكتب الستة بالتوراة والإنجيل.

الخاتمة.

الفهارس.

قائمة المصادر والمراجع.

***

فما كان من حقٍّ وصوابٍ فمن الله تعالى. وما كان غير ذلك فمن نفسي والشيطان.

والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ القائلِ : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء: من الآية79].

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيد

إنّ عملية التّواصل بين حضارَتَيْن لا يُمكن أن تتمّ من دون فَهم كل طرفٍ للآخر، فَهماً يُمكّنه من الاندماج في الحضارة الأخرى بكلّ ما تحمله من ثقافات وأديان وعلوم وعادات..، وقد تهيّأ لغير المسلمين –العرب والغربيين خاصّة– أن يقوموا بمدّ جسور التواصل بينهم وبين المسلمين، فما كان منهم إلا أن قامت النُّخبة منهم بالسفر والتّرحال للعديد من البلدان الإسلامية والمعاينة عن قُرْب لهذه الحضارة العظيمة –التي تتفوّقت على حضارتهم– وشعوبها، ودوّنوا معلوماتهم وخبراتهم التي شكّلت النواة الأولى لدراسات وأبحاث أصبحت أكثر عُمقاً فيما بعد.

وتطوّرت هذه الدراسات ونمت وأصبحت أداةً في يد ساسة الدول الغربية يُسيّرون بها مصالِحَهم في الشّرق، وتعدّد هؤلاء الدّارسين؛ حيث إنهم كانوا جَمْعاً عديداً من جميع الدُّول الغربيّة التي سَعَت –عن طريق هؤلاء الدّارسين– إلى حماية مصالِحها من دولٍ غربية أُخرى، وسُمّيت هذه الفئة بالمُستَشرقين، وكانت لهم دوافعهم التي أدّت بهم لتكريس جهودهم في دراسة الدول الإسلامية وحضارتها بكل ما فيها، وأصبحت علومُهم من أهمّ التّخصُّصات التي تُدَرَّس في جامعاتهم، كما نقدوا تلك الحضارة العظيمة –الإسلامية– من رؤىً غربية، "وكان لهم كثيرٌ من التلاميذ الذين تبنّوا آراءَهم ودافعوا عنها" [(١)]، ويحقُّ للباحث الموضوعيّ أن ينقد آراء المستشرقين ليتبيّن الصواب من الخطأ.

من أبرز العلوم التي تناولها المستشرقون بالدراسة:

أولاً: اللغة والآداب –خاصة العربية– والفلسفة الإسلامية؛ فالمدخل لدراسة الدين الإسلامي وثقافته –عموماً– هو دراسة اللغة العربية أولاً ثم يتعدّاه المستشرق ليدرس أياً من المجالات الأخرى، وللمستشرقين دورٌ في كبير في مجال دراسة الأدب العربي، كما أنشأوا المؤسسات والمعاهد التي تُعنى بتدريس اللغة العربية والتي استقطبت اهتمام العديد ممن رغبوا في فهم الدين الإسلامي أو فهم الواقع المعاصر المُتمثّل في الاضطراب السائد في العلاقات بين المسلمين والغرب.

ثانياً: العلوم الجغرافية والطبيعية والكشف عما تحمله الدول الإسلامية من ثروات؛ دعت حاجة الدول الغربية إلى البحث عن الثروات المعدنية ومصادر الطاقة، إلى أن انبرى عددٌ من المستشرقين لدراسة هذا المجال على أراضي الدول الإسلامية، فأحكموا القبضة على

---

(١) مأخوذة من تعليقات فضيلة الدكتور باسم الجوابرة على هذه الدراسة بتاريخ 2010/8/2م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مختَلَف الثروات كالذهب والماس والأحجار النادرة وخاصّة النفط، وأصبحت شركاتهم هي التي تقوم باستخراج هذه الثروات وبيعها لنا! كما أدّت غزارة وجود هذه الثروات في بعض الدول إلى أن شنّت الدول الغربية حروباً استعمارية بهدف السيطرة التامة على الثروات.

ثالثاً: الفنون والعمارة الإسلامية؛ حيث تميّزت بعض الدول الإسلامية بطابعٍ معماري خاصّ مثل الأندلس –إسبانيا الآن–، وتركيا، وغيرها من الدول، واشتهر فيها العديد من المعماريين المسلمين الذين تركوا بصمات رائعة في هذا المجال عبر تصاميمهم للمساجد –بشكلٍ خاص– وغيرها من الأبنية، التي جذبت أنظار العديد من المستشرقين ذوي الميول الفنية المعمارية لدراسة روعة فنّ البناء والذوق الإسلامي فيها، قال ريتشارد إتينجهاوزن [١] (Richard Ettinghausen): "لا بد أن نُلاحظ أن الشخصية الإسلامية ظاهرة في الفنون والصناعات إلى درجة أنها تتجلى حتى بعد أن تكون المنطقة التي صُنِعَت فيها، مثل الأندلس أو صقلية، قد عادت إلى السيطرة المسيحية بحيث تغيّر الاتجاه الفني في المنطقة المذكورة تغييراً كاملاً. وهكذا يتّضح لنا أن الإسلام كان له أثر قوي جداً، بل كانت له قوة حيوية انعكست على جميع الفنون التي نشأت في عالم الإسلام"[٢].

وقد ظهر اهتمام الغربيين بالشرق من هذا الجانب وأدى إلى رغبتهم في معرفة المزيد عن الشرق –والإسلام خاصة–، وقد عبّر عن ذلك السير توماس أرنولد [٣] (Thomas Arnold)، إذ قال: "في خلال الحروب الصليبية، حصل تماس أكثر من ذلك مع مسلمي الشرق، مما أدى إلى تسهيل استيراد الحاجات ذات الطابع الزخرفي الإسلامي المتمايز، وفي

---

(١) ريتشارد إتينجهاوزن (1906–1979م) Richard Ettinghausen، مستشرق ألماني، درس في جامعات ميونخ وكمبريدج وفرانكفورت، شغل مناصب عديدة، منها: مساعد الدائرة الإسلامية في المتحف الوطني ببرلين، ومساعد نشر دراسات الفن الفارسي، ومساعد أستاذ للفن الإسلامي بجامعة ميتشيجان، ومحرر لمجلة الفن الإسلامي ومجلة الفن الشرقي، وغير ذلك.

انظر: en.wikipedia.org/wiki/Richard_Ettinghausen

(٢) معدّي، الحسيني الحسيني، علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام، دار الكتاب العربي، دمشق– القاهرة، ط1، 2007م، ص205، نقلاً عن: شاخت، جوزيف؛ بوزورث، تراث الإسلام.

(٣) السير توماس أرنولد (1864– 1930م) Sir Thomas Arnold، مستشرق بريطاني، درس في كمبريدج، ومن المناصب التي شغلها: أستاذاً في جامعة عليكرة بالهند، وأستاذاً للفلسفة في لاهور، ومساعداً لأمين مكتبة ديون الهند، وهو أول مَن جلس على كرسي الأستاذية في قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن ثم اختير عميداً لها، وكان مُعجباً بالإسلام. انظر: العقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف– القاهرة، ط4، بدون السنة، ج2، ص84.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بلاد مركز الارتباط التجاري مع الشرق كـــ(جنوا)، و(بيزا)، و(البندقية)، دخل هذا النموذج في التصوير، واستتبع ذلك أن ظهر الاهتمام بالعالم الشرقي، ذلك الاهتمام الذي اشتدّ كثيراً بعاملَيّ الفضول والافتتان بما خالف المألوف"(١).

رابعاً: التاريخ الإسلامي؛ الذي كان من أهم المجالات التي درسها المستشرقون، ورصدوا عبره مكامن القوة والضعف ومراحل التّقدُّم والتّخلُّف التي مرت بها الدول الإسلامية.

وتضافرت جهود المستشرقين على التركيز على دراسة الفِرَق الدينية التي ظهرت خلال التاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً ودراسة عقائدها، ومن ثم الادّعاء بعدم وجود عقيدة إسلامية واحدة، وإنما هناك تعدُّد في العقائد في الأمة الإسلامية، وتمّم المستشرقون دورَهم بمساعدة التنصير والاستعمار على استحداث فِرَق دينية وزرعها في جسم الدولة الإسلامية من أجل شقّ الوحدة الإسلامية (٢)، ومثل تلك الفرق البابية والبهائية والقاديانية التي ظهرت زمن الاحتلال البريطاني لشبه القارة الهندية، وتهدف إلى تشويه الدين وإلغاء الجهاد، وتقديس البريطانيين، وما إلى ذلك من الأفكار المنحرفة(٣).

خامساً: العلوم الشّرعية الإسلاميّة (منها علوم القرآن وما ينبثق عنها من فروع، والسّنّة المطهّرة وعلومها، والعقيدة الإسلاميّة)؛ الذي كان الدافع الرئيس نحو توجُّه المستشرقين لدراسة الشرق، واندفعوا لدراساته بمختَلَف علومه، فدرسوا العقيدة الإسلامية وما نتج عن الاختلاف فيها من ظهور فِرَقٍ عبر التاريخ الإسلامي، ودرسوا القرآن الكريم وعلومه، وكذلك الحديث النبوي الشريف وعلومه، والفقه الإسلامي، فشملت دراساتهم جميع جوانب الدين الإسلامي، ولم يكتفوا بذلك بل شرعوا في نقد العلوم الدينية ووضع نظريات دعوا إلى تطبيقها على بعض العلوم الإسلامية.

سادساً: الجانب الاقتصادي والسياسي والعسكري للدول الإسلامية؛ إذ تلازمت هذه الجوانب جنباً إلى جنب، وقام العديد من المستشرقين بدراسة هذه النواحي لدى الدول الإسلامية، والاستفادة منها في حروبها الاستعمارية التي خاضتها منذ القِدَم إلى الآن مع الدول

---

(١) معدّي، الحسيني الحسيني، علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام، ص207، نقلاً عن: أرنولد، توماس، تراث الإسلام.

(٢) الطحاوي، حاتم، الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، مراجعة كتاب لمحمد خليفة حسن، مجلة الاجتهاد، مجلة مُتخصّصة تُعنى بقضايا الدين والمجتمع والتجديد العربي الإسلامي، ع 51، السنة الثالثة عشرة، ربيع وصيف العام 2001م- 1422هـ، ص323.

(٣) انظر: مراد، عباس كاظم، البابية والبهائية ومصادر دراستهما، مطبعة الإرشاد- بغداد، (بدون رقم طبعة)، 1982م، ظهير، إحسان إلهي، القاديانية : دراسات وتحليل، إدارة تُرجمان السّنّة ، لاهور- باكستان، ط16، 1983م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإسلامية، وعرفوا عن طريقها كيفية التعامُل مع ردود أفعال شعوب دول العالَم الإسلامي.

وأما دراساتهم للجانب الإقتصادي، فقد اتّهم المستشرقون النظام الاقتصادي الإسلامي بالقصور والعجز عن حلّ المشاكل الاقتصادية للمجتمعات، وادّعوا تفوُّق الأنظمة الاقتصادية الغربية عليه، وأحقّيّته بالهيمنة على النُّظم الاقتصادية العالمية، وقد غفل المستشرقون بقولهم هذا عن غاية وجود الإنسان على الأرض وهو الاستخلاف وإعمار الأرض وتحقيق التوازن عبر النظام الاقتصادي الإسلامي[١].

"وقد أثبتت ذلك الأزمة الاقتصادية العالَميّة، حيث طالبت أصواتٌ بالعودة إلى النظام الاقتصادي الإسلامي"[٢]. وذلك لأنّ النظام الاقتصادي الإسلامي هو الحل الأمثل للخروج من الأزمة الاقتصادية العالميّة، وإنّ أهم ما يُميّز هذا النظام هو: " اقترانه بالنظام الأخلاقي القائم على المراقبة الذاتية"[٣]، وقد كتب كاتب بوفيس فانسون رئيس تحرير مجلة "تشالينجيز Challenges" موضوعاً بعنوان: (البابا والقرآن) حيث قال: " أظن أننا بحاجة أكثر في هذه الأزمة إلى قراءة القرآن بدلاً من الإنجيل؛ لفهم ما يحدث بنا وبمصارفنا؛ لأنه لو حاول القائمون على مصارفنا احترام ما ورد في القرآن من تعاليم وأحكام وطبقوها ما حل بنا ما حل من كوارث وأزمات وما وصل بنا الحال إلى هذا الوضع المزري؛ لأن النقود لا تلد النقود"[٤].

وسارعت العديد من المصارف المالية الغربية جدّياً إلى توفيق أوضاعها وِفق معاملات الشريعة الإسلاميّة، وانتقل الأمر إلى البرلمانات لتقنين إمكانيّة الاستفادة من قوانين الاقتصاد الإسلامي رسميّاً للنهوض من الأزمة الاقتصادية وحالة الركود الاقتصادي[٥].

وكذلك الجانبان السياسي والاستعماري اللذان عُني بهما المستشرقون، فإن القرارات السياسية والتحرُّكات الاستعمارية بُنيت على دراسات المستشرقين، وقد أشار المستشرق

---

(١) المرجع السابق، ص327- 328.

(٢) مأخوذة من تعليقات فضيلة الدكتور باسم الجوابرة على هذه الدراسة بتاريخ 2010/8/2م.

(٣) مقال بعنوان: الأزمة الاقتصادية العالمية والحل الإسلامي، بقلم الباحث علاء الدين جنكو. انظر: www.alukah.net/culture/0/4011

(٤) مقال بعنوان: دعوات في الغرب لتطبيق الشريعة الإسلامية كحلٍ للأزمة المالية. انظر: www.alukah.net/World_Muslims/0/3723

(٥) مقال بعنوان: الاقتصاد الإسلامي يتقدم لإنقاذ العالم ، بقلم الباحث أحمد مخيمر . انظر: www.alukah.net/Culture/0/4713

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الهولندي سنوك هرجرونجه [١] (Snouck Hurgronje) إلى أهميّة الدراسات الاستشراقية في هذين المجالين –السياسي والعسكري–، إذ قال: "كلما ازدادت العلاقات بين أوروبا والشرق المسلم حميمية، وكلما ازداد عدد الدول الإسلامية التي تقع تحت سلطان أوروبا، كلما ازدادت بالنسبة لنا نحن الأوروبيين أهمية أن نصبح أكثر أُلفة ومعرفة بالحياة الفكرية، والفقه الديني، والخلفية التصورية للإسلام"[٢].

وكما سبق لي القول، لم يكتَفِ المستشرقون بالدراسة وحسب، بل نقدوا العلوم التي درسوها وخاصة علوم الدين الإسلامي، عبر مناهج غربيّة غريبة عنّا وعن طبيعة هذا الدين، فكان نتاج هذا النقد التوصُّل إلى بيان وجود أخطاء في الدين الإسلامي من وجهة نظرهم، وفي الواقع كان يجب على المستشرقين مُسبَقاً عند البحث والدراسة في هذا الموضوع تحديداً الاتصاف بما يلي:

أولاً: احترام المصدر الغيبي للدين الإسلامي.

ثانياً: التَّخلُّص من جميع المؤثرات الخارجية التي يمكن أن تؤثر على نتائج البحث، واستبعاد أي أحكام مُسبَقة في ذهن الباحث.

ثالثاً: المعرفة الجيّدة باللغة، وأساليب البحث العلمي، ومناهج النقد العلمية[٣].

رابعاً: "الموضوعية وعدم الكذب وإخفاء المعلومات الحقيقيّة لأنّ المستشرقين يدرسون الإسلام لمجرّد النّقد لا للعلم"[٤].

إلا أنّ المُطّلع على أبحاثهم، يستنتج أن معظمهم لم يكن يتّصف باحترام إيمان المسلمين بالمصدر الغيبي والوحي، وإنما نظروا إلى الدين الإسلامي نظرة نقدية مادّيّة خالية تماماً من الإيمان بالمُغيّبات أو على الأقل احترامها، "إنّ أخطر ما يُقرّره المنهج العلمي الوافد هو: إنكار عالم الغيب كله، والوقوف عند عالَم الظّاهر والمحسوس. وهذا يُعطي

---

(١) سنوك– هرجرونجه (1857– 1936م) Snouck- Hurgronje، مُستشرق هولندي، وُلد في استرهوت، وعلم في ليدن على دي خويه، وفي ستراسبورج على نولدكه، ودخل مكة تحت إسم عبد الغفار سنة 1884م، وأقام فيها خمسة أشهر وغادرها قبل موسم الحج آنذاك، كان أستاذاً للعربية في باتافيا، وفي جامعة ليدن، واعتُبر من أبرز المُستشرقين في دراساته للفقه الإسلامي والأصول والحديث والتفسير. انظر: العقيقي، نجيب، المستشرقون، ج2، ص315–316.

(٢) سعيد، إدوارد، الاستشراق: السلطة، المعرفة، الإنشاء، نقله إلى العربية: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت– لبنان، الطبعة العربية السابعة 2005م، ص260، نقلاً عن: Selected Works of C. Snouck Hurgronje, ed. G. H. Bousquet and J. Schacht, Leiden: E. J. Brill, 1957, p. 267.

(٣) خليل، عماد الدين، المستشرقون والسيرة النبوية، دار ابن كثير، دمشق– بيروت، ط1، 2005م، ص8–9.

(٤) مأخوذة من تعليقات فضيلة الدكتور باسم الجوابرة على هذه الدراسة بتاريخ 2010/8/2م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنهج العلمي الوافد عجزاً شديداً عن الإحاطة والتّعمُّق والفهم لأساس الوجود البشري، وقيام المجتمع الإنساني، ورسالة الإنسان، ومسؤوليته في الكون، وما يترتب على عمله من جزاءٍ في يوم البعث، وإنكار الغيب. وإنما يعني إنكار الألوهية والنبوة والوحي ورسالة السماء المنزلة على الأنبياء والجزاء والبعث" (١)، كما أنهم لم يتحرّروا من الأفكار المسبقة التي حملتها أذهانُهم عن هذا الدين وأهله، فأتت دراساتهم خالية من الموضوعية اللازمة للبحث العلمي، وكانت نتائج أبحاثهم مُجانِبة للصواب في العديد من الأمور، وأيضاً لم يُراعِ العديد منهم أساليب البحث والنقد العلمي الملائمة للموضوع المدروس.

وتميّزت دراسات معظم المستشرقين في الدين الإسلامي بما يلي:

أولاً: المبالغة في الشّك، والافتراض، والنفي الكيفي، واعتماد الضعيف الشاذ، حيث لجأوا إلى انتقاء عشوائي للرّوايات أو للأدلة التي تُناسِب وجهات نظرهم، والشك غير المبرر، ونفي الرواية التي في نفيها تأكيدٌ لإحدى وجهات النظر الاستشراقية، فمثلاً قام الأب لامينس باعتماد القرآن وحده كمصدر لسيرة الرسول ﷺ، والأحاديث التي توافق القرآن فهي وحدها فقط تُعَدُّ صحيحة (٢)، وهذا يدل على الشكّ غير المبرّر، والانتقاء العشوائي لما يريده فقط، وإلغاء السّنّة كمصدر للتشريع الإسلامي.

ثانياً: إسقاط الرؤية الوضعية، العلمانية، والتأثيرات البيئية المعاصرة على الوقائع التاريخية (٣)، فلم يتحرّر المستشرقون من نزعاتهم الدينية والفكرية، والنظرة المادية البحتة للأمور، وإنما أسقطوا معطياتهم التاريخية والدينية على دراساتهم للإسلام، وأكثروا من إبداء وجهات نظرهم –بقولهم: العلماء الغربيون–، ونحن نعلم أنّ هذا الرأي يكون مبنيّاً على أُسس ومبادئ هؤلاء العلماء المنحازين نحو العلمانية ومبادئها.

وترى منهم مَن يدعو إلى العلمانية وإهمال الدّين، وتهدف العلمانية إلى:

أولاً: فصل الدين عن المجتمع، وإشاعة التربية اللادينية، وتأسيس أنظمة بعيدة كل البعد عن الدين.

ثانياً: إبعاد الجانب الروحي، والوحي وعالَم الغيب، والأخلاق التي يدعو إليها الدين، عن الحياة.

---

(١) الجندي، أنور، أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع، الكتاب اللبناني، بيروت– لبنان، بدون رقم الطبعة، 1982م، ص58.

(٢) خليل، عماد الدين، المستشرقون والسيرة النبوية، ص24–25.

(٣) المرجع السابق، ص27.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً: جعل الهيمنة للعقل والفكر المادي والإلحاد، وتناوُل الموضوعات المُختلفة التي تتصل بالإنسان أو المجتمع بمعايير العقل والمادية والحسّ والتجربة(١).

ثالثاً: ردّ أصول الدين الإسلامي لجذور يهودية أو نصرانية(٢).

رابعاً: نظرة الاستعلاء والتفوق العرقي والفكري والحضاري، فينظر المستشرقون إلى الحضارة الإسلامية وعلومها نظرة انتقاص، حيث إن السيطرة الغربية –بالاستعمار– للعالَم الإسلامي يبرّر نفسه عن طريق الغضّ من قيمة القيم الإسلامية من أجل ادّعاء أحقيته – أي أحقية الغرب– في حمل رسالة تمدين الشعوب، وادّعى المستشرقون –عموماً– بأن الإسلام هو مصدر تخلُّف المسلمين عن ركب الحضارة(٣).

ويمكن إجمال الأهداف العامة لدى معظم المستشرقين:

أولاً: إبعاد الشعوب النصرانية عن الإسلام.

ثانياً: تأييد الغزو الاستعماري وتثبيته في البلاد الإسلامية.

ثالثاً: إبعاد المسلمين عن دينهم، عن طريق تشويه أصوله الثابتة(٤).

ولعلّ كل مَن تَتَبَّعَ دراساتهم يروعه أنهم يُركِّزون بشكلٍ غريب على نقاط رئيسة يعمَلون من أجلها بكلّ دِقّة ودَأْب:

1. فهم يُكرِّرون دائماً أنّ القرآن من تأليف محمد ﷺ وكأنها مسألة أصبحت مُسلَّمة لدى الباحثين، بل يُكرِّرون دائماً أنّ القرآن مجموع مصادر مسيحية ويهودية –كما سنرى ظلال ذلك عند روبسون في هذه الدّراسة– وعربيّة وجاهليّة، وبالجُملة فهم يُجمِعون على إنكار مسألة الوحي، وفي أحسن عباراتهم وأكثرها لُطفاً وخُبثاً يُصوِّرون رسول الله ﷺ بصورة العبقري الذي استطاع بعبقريّته وذكائه تأليف هذا القرآن وتربية أولئك العرب الصّحراويين.
2. ووُجِّهت دراسات استشراقيّة كثيرة لهدم بُنْيان الشّريعة الإسلاميّة التي تُشَكِّل أعظم صَرْحٍ تشريعيٍّ مُتماسك يمكن أن يوجد بين البشر، فقد عرفوا هذه الحقيقة فوجَّهوا عنايتهم لطمس معالِمها، فشنّوا حملة شعواء على العقوبات والحدود الإسلاميّة: من قصاص، وقطع، ورجم

---

(١) الجندي، أنور، سقوط العلمانية، دار الكتاب اللبناني– بيروت، ط2، 1980م، ص20–21.

(٢) خليل، عماد الدين، المستشرقون والسيرة النبوية، ص33.

(٣) الجندي، أنور، أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع، ص21–22.

(٤) جريشة، محمد علي؛ الزيبق، محمد شريف، تلخيص كتاب: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، مجلة المنطلق، مجلة فكرية تصدر كل شهرين عن الاتحاد اللبناني للطلبة المسلمين، العدد الثالث عشر، ربيع الثاني– 1401هـ، ص79.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشنّعوا عليها ووصفوها بالهمجيّة والوحشيّة، وقد علموا مدى مكانتها وعِظَم وظيفتها في المحافظة على مجتمع إسلامي متماسك سليم من الآفات والأمراض.

ولذلك دأبوا على استهداف المَصدَرين الأساسيَّيْن للشريعة الإسلامية: كتاب الله، والسُّنّة النبوية. وذلك بالتّشكيك في نصّ القرآن الكريم، والطعن في رجالات السّنّة النبويّة ورواتها من الصّحابة والتابعين.

3. ولأجل تدمير خصوصيّة المجتمع الإسلامي وطَمْس معالمها ركَّزوا على المرأة المسلمة وقد عَلِموا أنها ركيزته الدّاخليّة الأساسيّة، فَصَوَّروا حياتها في ظلّ الإسلام بصورة الكبت والظُّلم والانحطاط.

واعتنوا كثيراً بتشويه الحجاب، فاغترّ كثيرٌ من مَرضى النُّفوس وضِعاف البصيرة بهذه الحملات الشّرسة، فنشطوا لجرّ المرأة المسلمة إلى ميادين الفوضى والانحلال فأضرّوا بذلك في بناء المجتمع الإسلامي أو تسبّبوا في زعزعته.

4. والعربيّة لسان القرآن ووعاء الشّريعة ولغة تربط بين المسلمين برباط ثقافي مَتين، فاهتمّوا بهدمها ولجؤوا في سبيل ذلك إلى وسيلتين:

الأولى: إحياء اللهجات العاميّة والدّوة إلى استبدال الحروف العربيّة بالحروف اللاّتينيّة ونَشْر تعليم اللغات الأوروبيّة وخاصّة الإنكليزيّة والفرنسيّة بشتى الوسائل.

الأخرى: التّشكيك في الشّعر الجاهلي وما رُوي من الأدب العربي وفي ذلك اشتهر الرّأي الخطير الذي يُعرَف بقضيّة انتحال الشّعر الجاهلي، وقد أظهره لأول مرّة المُستَشرق –إن جي داود– ثمّ تَبَنّى إشاعته في البلاد العربيّة طه حسين.

5. الوحدة الإسلامية التي يجتمع في إطارها المسلمون من مُختَلَف الأجناس والألوان حيث تتجسّد فيهم الأُخوّة الإسلاميّة، بناءً قويّاً مُتماسِكاً، هذا المبدأ الإسلامي أرعب المستشرقين كثيراً، ولذلك انبرى المستشرقون يعملون دائبين على طمس معالِم هذه الوحدة الإسلاميّة وذلك بعِدّة وسائل من أبرزها وأخطرها:

- بعث النّعرات الجاهليّة في كلّ قُطر مسلم: كالفارسيّة، والهنديّة، والطورانيّة، والفرعونيّة، والفينيقيّة، والآشورية ، والجاهليّة العربيّة، إلخ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- توجيه نتائج الدراسات التاريخيّة والجغرافيّة إلى حيث يُريدون، بحيث تؤدّي هذه الجهود حتماً إلى بعث القوميّات الإقليميّة الضيّقة فتصبح الأمة الإسلاميّة الواحدة –التي ذابت في بوتقتها القوميّات والنّعرات– أُمماً مُتفرِّقة متناحرة[١].

وبعد فللإنصاف أقول لا ريب في أنّ دراسات المُستشرقين –بقطع النّظر عن أهدافهم من ورائها وأساليب تحقيق هذه الأهداف– قد أدّت خدمات في مجالات مثل:

1. استيعاب المصادر وجَمْع المعلومات بشكل واسع مُستقص.
2. الترتيب والتّنسيق.
3. العلميّة والوضوح في منهج البحث والتأليف.
4. الإحصاء والفهرسة وعنايتهم بهما عناية كبيرة وكان ذلك شيئاً جديداً على الدّارسين في المدة التي ظهرت فيها دراسات المستشرقين.

فتنبَّهت الأوساط العلميّة والدّارسون في العالَم الإسلامي إلى هذا المنهج المُنَسَّق الذي ظهر في دراسات المُستشرقين، ولا شكّ استفادوا منه في بحوثهم ودراساتهم، إنْ كان على صعيد المادّة، أو على صعيد المنهج.

وتجدر الإشارة إلى أن المسلمين مارسوا هذه المناهج قبل ظهورها عند المستشرقين، وذلك زمن النّهضة العلمية آنذاك، واستفاد المستشرقون من هذه المناهج، ثم أخذناها منهم؛ إذ أصبحوا هم أرباب النهضة العلميّة.

بدايات الدراسات الاستشراقية في مجال الحديث النبوي:

لم يفرد المستشرقون القدامى دراسات خاصة بالحديث النبوي، وإنما توجهوا –أول ما توجهوا– إلى دراسة القرآن الكريم والتاريخ الإسلامي، تلتها دراساتهم للحديث النبوي، ففي نهاية القرن السابع عشر كتب المستشرق " بارتوليمي ديربيلو دو مولانفيل[٢] Barthélemy

---

(١) مغاوري، جميل محمد، صفحات من تاريخ الحركة العلميّة في المشرق، المكتبة التجارية– القاهرة، (بدون رقم الطبعة والسنة)، ص 115. وانظر: مجموعة من الباحثين، مناهج المستشرقين في الدّراسات العربيّة والإسلاميّة: دراسة أعدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم– الرياض،سنة 1411هـ، ص178.

(٢) بارتوليمي ديربيلو دو مولانفيل Barthélemy d'Herbelot de Molainville (1625– 1695م) مستشرق فرنسي، وُلِدَ في باريس، وتلقّى تعليمه في جامعة باريس، وكرّس نفسه لدراسة اللغات الشرقية، ورحل إلى إيطاليا ليُتقِن تلك اللغات عن طريق عمله في الموانئ البحرية؛ حيث كان يتحدّث مع التجار الشرقيين بلغاتهم، وبعد عودته إلى فرنسا بعامٍ ونصف، عُيّن مترجماً للغات الشرقيّة لدى الملك . وبعد سنوات قليلة زار إيطاليا مرّةً أُخرى وقدّم له دوق توسكانا فرديناند الثاني عدداً كبيراً من المخطوطات الشرقية، توفي في باريس. انظر: ar.wikipedia.org

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

d'Herbelot de Molainville " في دائرة المعارف البريطانية بحثاً في (حديث، قصة، خبر مسموع مقول، أحاديث الرسول، حديث عن أشياء قاله الرسول الزائف، وقد نُقل من فم إلى فم من شخص إلى آخر)، وكان يرى أن أحاديث الكتب الستة، والموطأ، والدارمي، والدارقطني، والبيهقي، والسيوطي، مأخوذةٌ إلى حد كبير من التلمود، كما يفرّق بين السنة التي طبّق المسلمون أحكامَها، وبين الحديث الذي يرى أنه خبر تاريخي غير موثوق(١).

وفي القرن الثامن عشر، ظهر التخصُّص في دراسات المستشرقين، وفي نهاية القرن برز عددٌ ممن درسوا الحديث النبوي، منهم: الأمير كايتاني (٢) (Caetani)، ووليم موير William Muir(٣)، وشبرنجر (٤) (Sprenger)، حيث اهتمّ هؤلاء بتاريخ السُّنة النبوية، وشكّكوا في صحة الأحاديث وسعوا إلى الكشف عن المادة الأصلية للحديث(٥).

وفي القرن التاسع عشر، كان أبرز المستشرقين هو إجناس جولدتسيهر (٦) (Goldziher)، الذي سلك منهج النقد التاريخي للحديث النبوي، وتوصّل إلى فكرة تطوُّر الأسانيد والمتون في الفكر الإسلامي(١).

---

(١) انظر: العمري، أكرم ضياء، موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية، دار إشبيليا- الرياض، ط 1، 1997م، ص33- 34، نقلاً عن: de Herbelot, B, Biblotheque Orientale p. 416, 827.
Von Denffer, A, Literature on Haolith in European Languages, p.12-14.
وانظر: العقيقي، نجيب، المستشرقون، ج1، ص159.

(٢) الأمير ليوني كايتاني (1869- 1926م) Leone Caetani، مُستشرق إيطالي، وُلد في روما، وتخرج من جامعة روما، وأتقن سبع لغات منها العربية والفارسية، كان ثرياً، وشغل منصب سفير إيطاليا بواشنطن، ورحل إلى الهند وإيران ومصر وسوريا ولبنان. انظر: العقيقي، نجيب، المستشرقون، ج1، ص42.

(2) السير وليم موير Sir William Muir (1819- 1905م): مستشرق اسكتلندي، درس الحقوق وتخرج من جامعة جلاجو وإدنبره، ومن المناصب التي شغلها: مدرّس في إدنبره، أميناً للحكومة الهندية (1865- 1868م)، رئيساً لجامعة إدنبره (1885- 1902م). ومن آثاره: سيرة النبي والتاريخ الإسلامي في ظاربعة أجزاء (لندن 1856- 1861، 1895م، إدنبره 1923م)، مصادر الإسلام في 102 صفحة (لندن 1901م)، وغيرها. انظر: العقيقي، نجيب، المستشرقون، ج2، ص59.

(٤) ألويس شبرنجر (1813- 1893م) Aloys Sprenger، مستشرق نمساوي، وُلد في التيرول، ودرس في إنسبروك وفيينا وباريس، وحصل على الدكتوراه في الطب من ليدن، وأرسلته شركة الهند الشرقية البريطانية إلى الهند ليعمل طبيباً هناك، وتولّى رئاسة الكلية الإسلامية في دلهي، ثم مدرسة كلكتا، وعمل أستاذاً للغات الشرقية في جامعة برن بسويسرا، ثم اعتزل التعليم إلى التأليف في هايدلبرج. انظر: العقيقي، نجيب، المستشرقون، ج2، ص277.

(٥) العمري، أكرم ضياء، موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية، ص35.

(٦) إجناس جولدزيهر (1850- 1921م) Y. Goldziher، يهودي مجري، من أكثر المُستَشرقين تعصُّباً ضد الإسلام، كان عضواً في مجمع العلوم المجري، وفي مجامع علمية أخرى، وقد نال رتبة دكتور شرف من

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي القرن العشرين، كان من أبرزهم: شاخت (Shacht)[٢]، وهوروفيتس[٣] (Horovets)، وجب[٤] (Gibb)، وغيرهم، وقد سلك هؤلاء مسلك السابقين سَلَفهم من المستشرقين، حيث تعمّقوا في الآراء، وتطرّقوا إلى مُختَلَف موضوعات الحديث النبوي، وطرحوا نظريات جديدة في نقدهم له[٥].

وانفردت هذه الدراسة بطرح آراء أحد أبرز المستشرقين البريطانيين في القرن العشرين وهو: جيمس تشارلز روبسون (James Charles Robson)، حول كتب الحديث الستة ومناقشة آرائه ونقدها.

جامعتي إدنبره وكامبريدج، وله دراسات عديدة عن الإسلام منشورة في المجلات الآسيوية والغربية باللغات الألمانية والفرنسية والإنجليزية والروسية والمجرية والعربية، رحل إلى العديد من الأقطار العربية، وصَحِبَ فيها الشيخ طاهر الجزائري مدة، ثم رحل إلى فلسطين، ومصر (1873- 1874م) حيث درس العربية على شيوخ الأزهر ومن أبرز مَن درس عليه الشيخ محمد عبده، عُني بالدين الإسلامي، كما عُني بالأدب العربي. انظر: العقيقي، نجيب، المستشرقون، ج3، ص40- 42.

(١) العمري، أكرم ضياء، موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية، ص35- 36.

(٢) جوزيف شاخت (1902- 1969م) Joseph Schacht، مستشرق ألماني، درس في جامعتي برسلاو ولايبزيج، شغل مناصب عديدة منها: أستاذاً في جامعة فرايبورج، وجامعة كونسبرج، والجامعة المصرية، وأستاذاً للأحداث العلمية في جامعة الجزائر، وأستاذاً في جامعة ليدن، وأستاذاً زائراً في جامعة كولومبيا، وكان عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق وغيرها من المجامع، وعُني بدراسة التشريع الإسلامي. انظر: العقيقي، نجيب، المستشرقون، ج2، ص469.

(٣) جوزيف هوروفيتس (1874- 1931م) Joseph Horovitz، مُستشرق ألماني، تخصّص بدراسة الإسلام في الهند، وكان أستاذ العربية في جامعة عليكرة بالهند، وكان خبيراً بخطوطه –أي بالخطوط العربية- لدى الحكومة، بعدها، عمل أستاذاً في جامعة فرانكفورت. انظر: العقيقي، ج2، ص432- 433.

(٤) السير هاملتون جيب (1895- 1971م) Sir Hamilton A. R. Gibb، مُستشرق بريطاني من مواليد الاسكندرية في مصر، يُعَدّ من أشهر المُستَشرقين، شغل مناصب عديدة منها: عضو المجمع العلمي العربي في دمشق، والمجمع اللغوي في القاهرة –وكان خمسة مُستَشرقين الذين كانوا أعضاءً فيه عند تأسيسه-، وأستاذاً للعربية في مدرسة الدراسات الشرقية وأستاذاً للعربية، كان يتّصف بالنُّبوغ، عُني بالتاريخ الإسلامي كما عُني بالدين الإسلامي وبالثقافة والحضارة الإسلامية. انظر: العقيقي، نجيب، المستشرقون2،جص129-131.

(٥) العمري، أكرم ضياء، موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية، ص37.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول: الاستشراق البريطاني (لمحة تاريخية)

المبحث الأول: تعريف الاستشراق ودوافعه وأهدافه

المطلب الأول: تعريف الاستشراق

ما زال الجدلُ قائماً حول مفهوم **الاستشراق**؛ إذ لم يتّفق الباحثون على تعريف محدّد وثابت له. وذلك يعود إلى اختلاف المنظور في تحديد ضوابط له، فثمّة تعاريف كثيرة قد تتشابه في بعض النّقاط وتختلف في أخرى، وفيما يلي ذِكْرُ نماذج مختلفة منها، مع توضيح حدود كل تعريف:

التعريف اللغوي:

شرق: "الشين والراء والقاف أصلٌ واحد يدلُّ على إضاءةٍ وفتح، ومن ذلك شَرَقَت الشمس إذا طَلَعَت، وأشرَقَت إذا أضاءت، والشُّروق: طُلوعها"(١).

"واسم المَوضِع: المَشْرِق وكان القياس المَشْرَق، ولكنه أحد ما نَدَرَ من هذا القبيل.

وقوله تعالى:﴿ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴾ [الزُّخرف:38]، إنما أراد: بُعدَ المَشْرِق والمَغرِب، فلما جُعِلا اثنين غَلَبَ لفظ المَشْرِق؛ لأنه دالٌّ على الوجود، والمغرب دالٌّ على العدم، والوجود لا محالة أشرف(٢)".

"وشرّقوا: ذهبوا إلى الشَّرق، أو أتوا الشَّرق"(٣).

"والتَّشْريق: الأخذ في ناحية المَشْرِق، يُقال: "شتّان بين مُشَرِّقٍ ومُغَرِّب"..، وكلُّ ما طلع من المَشْرِق فقد شَرَّق"(٤).

"والشَّرْق خلاف الغرب، وكلّ شيءٍ من ناحية المَشْرِق فهو شارقٌ"(٥).

---

(١) ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، اعتنى به: محمد عوض مرعب وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1، 2001م، ص534.

(٢) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 2000م، ج6، ص162.

(٣) المرجع السابق، ج6، ص 162، ابن منظور الإفريقي، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر– بيروت، ط1، (بدون السنة)، ج10، ص 173، الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، معجم تاج العروس، (بدون دار نشر وبلد النشر ورقم الطبعة والسنة)، ج1، ص6399.

(٤) ابن منظور الإفريقي، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج 10، ص173، الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، معجم تاج العروس، ج1، ص6395–6400.

(٥) ابن عبّاد، إسماعيل، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب– بيروت، ط 1، 1994م، ج5، ص 234.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"والشّرق، بتسكين الراء: المكان الذي تُشْرِقُ فيه الشّمس...، وإذا اختلطت كُدورةٌ بالشّمس، ثمّ قلتَ: شَرِقَتْ، جاز ذلك كما يُشْرِقُ الشَّيء بالشّيء"[١].

"والشَّرْقُ بالماء والرّيق ونحوهما: كالغصص بالطّعام"[٢].

"والشَّرْقُ: إقليم بإشبيليا أو بباجة" [٣]، وتجدر الملاحظة أن ه الموضع الذي يربط الشرق بالغرب.

"وشَرِقَ الشّيء شَرَقاً فهو شَرِقٌ: اختلط"[٤].

ولعلّ المعنى المراد من اختيار هذا المسمّى، هو: الذّهاب وطلب ناحية المَشْرِق؛ على ما سيأتي تفصيله في المعنى الاصطلاحي، رغم أنّي أميل إلى أنّ المستشرق يناله شيءٌ من بعض الدلالات السّالفة الذّكر؛ فهم مستشرقون من حيث طلبهم لمعرفة علوم أهل المَشْرِق وعاداتهم؛ وينطبق عليهم أيضاً أنّهم رواة أخبار؛ علوم وحضارة وثقافة أهل الشّرق.

التعريف الاصطلاحي:

1. عرَّف مالك بن نبي المستشرقين: "الكُتّاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية"[٥].

   وقصد ابن نبي في تعريفه: كل مَن له إنتاج مكتوب من أهل الغرب دون غيرهم، وتحديد مادّة الدراسة بالفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية.

2. وأما تعريف محمود حمدي زقزوق: فهو "هو علم الشّرق أو علم العالم الشّرقيّ [٦]. وكلمة **مستشرق** بالمعنى العام تُطلق على كلّ عالم غربيٍ يشتغل بدراسة الشّرق كله: أقصاه ووسطه وأدناه، في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه...، وإنما يعنينا هنا هو المعنى الخاص

---

(١) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، معجم تهذيب اللغة، تحقيق: رياض زكي قاسم، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط1، 2001م، ج2، ص 1863.

(٢) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، ج 6، ص 164، ابن عبّاد، إسماعيل، المحيط في اللغة، ج5، ص234.

(٣) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، معجم تاج العروس، ج1، ص6396.

(٤) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، ج6، ص165.

(٥) ابن نبي، مالك، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط1، 1969م، ص5.

(٦) راجع: زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصّراع الحضاري، كتاب الأمة: سلسلة فصلية تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، العدد الخامس، صفر- 1404هـ، ص18، نقلاً عن: بارت، رودي، الدراسات الإسلامية العربية في الجامعات الألمانية، ترجمة: د. مصطفى ماهر، (بدون دار النشر)، القاهرة، (بدون رقم الطبعة)، 1967م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لمفهوم الاستشراق الذي يعني الدراسات الغربية المتعلّقة بالشّرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام"[١].

يقتصر هذا التعريف على علماء الغرب دون غير المسلمين من العرب أو الشّرقيين، ولدى زقزوق مفهومان للاستشراق: أحدهما عام ويشمل دراسة علوم الشرق عموماً، والآخر خاصّ يُعنى بدراسة الشّرق الإسلامي خصوصاً.

3. يرى الباحث أحمد غراب أن: "الاستشراق دراسات **أكاديميّة** يقوم بها غربيّون كافرون [٢] – من أهل الكتاب بوجهٍ خاص– للإسلام والمسلمين، من شتّى الجوانب: عقيدة وشريعة وثقافة وحضارة وتاريخاً ونظماً وثروات وإمكانيّات..، بهدف تشويه الإسلام، ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التّبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التّبعية بدراسات ونظريّات تدّعي العلميّة والموضوعيّة، وتزعم التّفوّق العنصريّ والثّقافيّ للغرب المسيحيّ على الشّرق الإسلاميّ"[٣].

اقتصر أحمد غراب في تعريفه على أهل الغرب من غير المسلمين، وتخصيص أهل الكتاب من بينهم، فلم يدخل غير المسلمين من العرب في تعريفه، مع تحديد موضع الدراسة بالإسلام والمسلمين عموماً، ووضَّحَ أنّ أهدافهم من تلك الدراسات التي قاموا بها سياسية واقتصادية وحاولوا طبعها بطابع علميّ، وقد أبرز ما يراه الهدف الرّئيس للمستشرقين وهو تشويه الدين وفرض التّبعية للغرب.

4. أما **المستشرق** عند الباحث سالم بن حميش، فهو: "العالم المتخصّص في معرفة الشرق ولغاته وآدابه"[٤].

يقتصر التعريف على المُتخصص في معرفة الشرق، ويشمل كل متخصص من الغربيين أو غيرهم، ومسلمين أو غيرهم، مع تحديد مجتمع الدراسة بالشرق، ومادة الدراسة باللغة والآداب.

5. أما علي بن إبراهيم الحمد النملة فعرّفه بقوله: "تصدّي علماء غير مسلمين سواءً أكانوا من الشرق أم الغرب، وسواءً أكانوا عرباً أم غير عرب؛ لدراسة علوم المسلمين وحضارتهم ومعتقداتهم وتقاليد شعوبهم وعاداتهم، سواءً أكانت هذه الشّعوب تقطن شرق البحر الأبيض

---

(١) زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصّراع الحضاري، ص18.

(٢) تجدر الإشارة إلى حدّة هذه الكلمة في التّعريف، حيث كان من الأنسب أن يقول: غير مسلمين، فعلى الباحث الالتزام بالبعد عن التجريح أو التّنفير.

(٣) غراب، أحمد، رؤية إسلاميّة للاستشراق، المنتدى الإسلامي– لندن، ط2، 1411هـ، ص7.

(٤) حميش، سالم، الاستشراق في أفق انسداده، منشورات المجلس القومي للثّقافة العربية– الرباط (المملكة المغربية)، ط1، 1991م، ص7.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المتوسّط أم الجانب الجنوبيّ منه. وسواءً أكانت لغة هذه الشّعوب العربية أم غير العربية، كالتركية والفارسية والأردية والبشتو وغيرها من اللغات التي تتحدّث بها شعوب المسلمين، وكان لها فيها آثار علميّة أخضعها المستشرقون للدراسة والتحليل"(١).

شمل التعريف كل مَن تصدّى لدراسة علوم المسلمين، سواءً كانوا عرباً أم غير عربٍ، وخصّص مادة الدراسة بعلوم المسلمين عموماً، ومجتمع الدراسة بالمسلمين أينما كانوا سواءً كانوا عرباً أم غير عربٍ من أهل الشّرق.

6. ويرى عبد الرحمن عميرة أن المستشرق: "مَن درس لغة أو أكثر من لغات الشّرق، كالعربيّة والعبرية والسريانية والفارسية وغيرها، ثمّ درس بهذه اللغة التي تعلّمها فنونها وآدابها ومعتقدات أهلها"(٢).

يشير التعريف إلى أنّ المستشرق مَن جعل تعلُّم إحدى لغات الشرق وسيلةً لدراسة فنون وآداب وعقائد الشّعوب الشرقية، كما لم يُخصّص جهة معيّنة دون غيرها كالغربيين أو غير المسلمين بالقيام بهذه الدراسات.

7. أما إدوارد سعيد، فقد عرّف الاستشراق بأكثر من تعريف في ثنايا كتابه، ومن تلك التعريفات أنه: "طريقة للوصول إلى تلاؤم مع الشرق مبنيّة على منزلة الشرق الخاصّة في التّجربة الأوروبية الغربية. فالشّرقُ ليس لصيقاً بأوروبا وحسب؛ بل إنه كذلك موضع أعظم مُستَعمَرات أوروبا، وأغناها، وأقدمها؛ ومصدر حضارتها ولُغاتها، ومُنافسها الثّقافي، وأحد صورها الأكثر عُمقاً وتكرارَ حدوث الآخر"(٣).

ويُعرّفه كذلك بأنه: "نَهْجٌ من الإنشاء الكتابي له ما يُعزّزه من المؤسّسات، والمُفردات، وتُراث البحث، والصُّور، والمُعتَقَدات المَذهبيّة، وحتى الأجهزة المكاتبية البيروقراطية الاستعمارية والأساليب الاستعمارية"(٤).

كما يُشير إدوارد سعيد إلى أنه يعني بالاستشراق عدداً من الأشياء مُتبادَلَة الاعتماد، وأنّ الدّلالة الأكثر تقبُّلاً للاستشراق هي دلالة جامعيّة أكاديميّة(٥).

---

(١) النملة، علي بن إبراهيم الحمد، ظاهرة الاستشراق: مناقشات في المفهوم والارتباطات، مكتبة التوبة- الرياض، ط2، 2003م، ص21.

(٢) عميرة، عبد الرحمن، الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق، دار الجيل- بيروت، بدون رقم الطبعة والسنة، ص90.

(٣) سعيد، إدوارد، الاستشراق: المعرفة، السُّلطة، الإنشاء، ص37.

(٤) المرجع السابق، ص37.

(٥) المرجع السابق، ص38.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى الباحث إدوارد سعيد أنّه إن أرَدْنا تعريف الاستشراق انطلاقاً من أواخر القرن الثّامن عشر، فيمكن اعتباره بأنه: "المؤسّسة المُشتَركة للتّعامُل مع الشّرق؛ التّعامُل معه بإصدار تقريرات حوله، وإجازة الآراء فيه وإقرارها، وتدريسه، والاستقرار فيه، وحُكمه: وبإيجاز، الاستشراق كأُسلوب غربيّ للسّيطرة على الشّرق، واستبنائه، وامتلاك السّيادة عليه"(١).

ويتبيَّن من التعريفات السابقة أنّ إدوارد سعيد قد عرَّف الاستشراق بتعريفات مُتَخصِّصة ليست عامّة، بناءً على توجُّهات الاستشراق تجاه الشّرق.

والملاحظة العامة على هذه التعريفات في مجملها أنها إما تحتوي على تفاصيل زائدة، أو أنها تفتقر إلى عناصر أخرى يلزمها التعريف، ولعل من أحسن التعاريف التعريفين الخامس والسادس للتفصيل الوارد فيهما.

وبناءً على ما سبق، فإن التعريف المختار –لدي– هو: تعريف علي بن إبراهيم الحمد النملة وهو: "تصدّي علماء غير مسلمين سواءً أكانوا من الشرق أم الغرب، وسواءً أكانوا عرباً أم غير عرب؛ لدراسة علوم المسلمين وحضارتهم ومعتقداتهم وتقاليد شعوبهم وعاداتهم، سواءً أكانت هذه الشّعوب تقطن شرق البحر الأبيض المتوسّط أم الجانب الجنوبيّ منه. وسواءً أكانت لغة هذه الشّعوب العربية أم غير العربية، كالتركية والفارسية والأردية والبشتو وغيرها من اللغات التي تتحدّث بها شعوب المسلمين، وكان لها فيها آثار علميّة أخضعها المستشرقون للدراسة والتحليل" (٢). وهو الراجح لدي وذلك لاستيفائه كل جوانب الموضوع وشموله لكل النواقص التي في التعريفات الأخرى وانطباقه على مقصدي.

والمناسبة بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي ظاهرة؛ حيث يُشير التّعريفان –اللغوي والاصطلاحي– إلى الدلالة على موضع الدراسة وهي ناحية الشرق، فأصبح كل مَنْ يدرس هذه الناحية يُسمّى مُستشرِقاً، وابتدأت هذه الدراسات –فيما يُعلم– من الجهة المُقابلة للشرق وهي الغرب، إلا أنه فيما بعد اتّسع نطاق هذا المُسمّى لتشمل الدارسين من غير المسلمين يتصدّى لدراسة علوم المسلمين –بشكلٍ عام–.

---

(١) المرجع السابق، ص38- 39.

(٢) النملة، علي بن إبراهيم الحمد، ظاهرة الاستشراق: مناقشات في المفهوم والارتباطات، ص21.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعريف الاستشراق في المصادر الغربية:

أصل كلمة Orient **الشّرق** مشتقّة من الكلمة اللاتينيّة Oriens، وهذه الكلمة اللاتينيّة تعني باللغة الإنجليزية: to arise[١]، أي ينهض، يرتفع، ينشأ، يظهر للوجود أو للعيان[٢].

وكلمة Orient **الشرق** لها معانٍ عديدة، منها:

1. مقابل الغرب، وكلمة الشّرق هنا يُقصد بها الجهة المسمّاة بالشّرق. The east: opposed to occident.
2. الشّرق بمعنى آسيا، وبمعنى الشّرق الأقصى أيضاً أو بلدان آسيا الشّرقيّة المقابلة للغرب[٣]. (a) The East; Asia. (b) The far East.
3. اسم شعريّ للبلدان الواقعة شرق البحر المتوسّط وعلى الأخصّ الشّرق الأقصى. (poetical name for) countries East of Mediterranean, esp. the Far East.
4. شرقيّ. Eastern.
5. الشمس المشرقة[٤]. (of the sun) rising: the orient sun.

ومعنى Orientalism **الاستشراق:**

1. أي خاصّيّة أو صفة أو تخلُّق أو الاتّصاف بأهل الشّرق[٥].
2. معرفة اللغات والآداب الشرقية.. وغيرها، ودراستها[٦].

أما معنى Orientalist **المستشرق:**

- طالب الثّقافة الشرقيّة[٧].

يتّضح مما سبق أنّ هناك شيئاً من التّوافق بين المعاني اللغوية العربية والإنجليزية، فالشّرق تأتي في كليهما بمعنى مقابل الغرب.

---

(١) Webster, Noah; Websters dictionary, New World Dictionaries - USA, Second Edition, 1979, p. 1261.

(٢) البعلبكي، روحي، قاموس المورد، ط1، سنة 1995م، ص62.

(٣) Webster, Noah, Websters Dictionary, p. 1261.

(٤) Hornby, A. S., & Gatenby, E. V., & Wakefield, H., The Advanced Learner's Dictionary of Current English, Oxford University Press-London, Second Edition, p. 686.

(٥) Webster, Noah, Websters Dictionary, p. 1261

(٦) Barnhart, C. L. & others, The American College Dictionary, Random House- New York, 1964, p. 854.

(٧) Webster, Noah, Websters Dictionary, p. 1261

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويشتركان في معنى الاستشراق الذي هو معرفة علوم الشّرق، والمستشرق هو طالب هذه العلوم.

الاستعراب:

إنّ من أحد أساليب المستشرقين التي استخدموها للتغطية على أعمالهم وأهدافهم، هو تغيير المُسمّيات، حيث قام المستشرقون بإلغاء استخدام لفظ **مستشرق** نتيجةً لدلالاتها السلبية لدى معظم الشّرقيّين عامّة والمسلمين خاصّة، واستبدالها بما يُناسب تخصّص كلٍّ منهم؛ فدارسو اللغة العربية يُطلق عليهم مُستَعرِبون Arabists، ودارسو الدين الإسلامي يُطلَق عليهم إسلاميّون Islamists، ودارسو العلوم الإنسانية يُطلَق عليهم Humanists وذلك عقب مؤتمرعُقِدَ في باريس سنة 1973م تحت عنوان (المؤتمرات العالمية للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال إفريقيا) (١)، وقد تمّ عقد مؤتمرين تحت هذا العنوان إلى أن تمّ تغييره إلى (المؤتمرات العالمية للدراسات الآسيوية والشمال إفريقية) (٢)، إلا أنّ هذا لا يُغيِّر من طبيعة عملهم، فالتسمية تغيّرت والمسمّى بقي على حاله، فما زال اهتمامهم مُنصَبّاً على دراسة اللغة العربية والدين الإسلامي والشؤون الاقتصادية والسياسية والجغرافية للعالم العربي والإسلامي(٣).

المطلب الثاني: دوافع الاستشراق وأهدافه

بادئ ذي بدء أقول: كانت هناك عقبةٌ كؤودٌ عرقلت كثيراً صلابتُه ا الجهودَ الاستعمارية الموجَّهة إلى العالم الإسلامي، وهي تمسك المسلمين بإسلامهم واعتزازهم به.

ويسمي المستشرقون هذا التمسك والاعتزاز بـ (التعصب الإسلامي) ولقد أزعجهم كثيراً واعترفوا بمدى قوته وخطورته في عبارات ت نضح بالمرارة والحقد، يقول القسيس رايد " Priest Ride" في معرض كلامه عن جهودهم في المغرب المسلم:

"إن ذلك الحاجز الذي يدعى عادة بالتعصب وهو ذلك الجدار الشاهق من الاعتزاز بالذات ومن الكره قد بناه الإسلام حول أتباعه ليحميهم في داخله وليترك المبشر خارجه إنه جدار طالما أثبت مع الأسف أن تسلقه أو اختراقه مستحيل ، إن رجالاً من المبشرين عملوا

---

(١) مركز المدينة للدراسات الاستشراقية www.madinacenter.com، نقلاً عن:
Lewis, Bernard, The Question of Orientalism, In New York Times Review of B ooks, June 24, 1982, pp. 49-56.

(٢) مركز المدينة للدراسات الاستشراقية www.madinacenter.com
نقلاً عن: Lewis, Bernard, The Question of Orientalism, pp. 49-56.

(٣) مركز المدينة للدراسات الاستشراقية www.madinacenter.com

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سنين متوالية وفي مدينة واحدة ثم لم يستطيعوا أن يكتسبوا صديقاً أو صديقين"[1].

ولقد كانت الكنيسة ومن ورائها المستعمرون تمتلئ قلوبهم رعباً وضيقاً بهذا الاستعلاء الإسلامي والعزة الإيمانية الذي ربما تَمَثَّلَ أحياناً كثيرةً في حركات تحررية، ولذلك يقول المستشرق "يوليوس رشتر[2] Julius Richter" وهو يتحدث عن دعوة المهدي في السودان وجهاده قائلاً: "... هذا التعصب الإسلامي الضيق الأفق بكل ما فيه من بغض للثقافة"[3].

وقد أيقن رجال الكنيسة والمستعمرون الأوروبيون أن بقاء القرآن مصدر قوة وتوجيه للمسلمين فيه الحكم الصارم بفشل جميع جهودهم ونشاطاتهم التخريبية وبنهاية جميع مطامحهم وأطماعهم الاستعمارية.

لذلك توجه عزم الجميع إلى هدف واحد هو: هزيمة المسلمين هزيمةً روحية وفكرية وذلك بالقضاء على روح الاستعلاء الإيماني والاعتزاز بالإسلام في نفس المسلم وإذابة شخصيته الإسلامية عن طريق غسل دماغه شيئاً فشيئاً بأسلوب ماكر يعتمد على إخفاء النوايا الحقيقية والظهور بمظهر بريء لطيف وعدم الاحتكاك مباشرة بالمسلمين أو استفزاز عواطفهم.

واعتمد أسلوبهم الجديد على سياسة النفس الطويل الذي يقولون عنه: إنه أسلوب بطيء المفعول لكنه مضمون النتيجة.

ولقد عملت الكنيسة بدقة في سبيل تحقيق ذلك الهدف:

فمهدوا له أولاً بإنشاء المدارس والكليات العلمانية في طول العالم الإسلامي وعرضه، وأفسدوا كثيراً من المناهج في بقية مدارس العالم الإسلامي بل أشرفوا هم بأنفسهم على التخطيط لها ووضعها موضع التنفيذ.

ثم التفتوا إلى طبقة المفكرين والمثقفين بدراسات المستشرقين.

وهكذا من غير الممكن القول بالبراءة المطلقة والنزاهة الكاملة وراء ظهور الاستشراق! فلم ينشأ فجأةً دون مقدّمات مهّدت لبروزه على أرض الواقع بهذا الشكل، فكان لا بدّ من وجود دوافع أدّت بمجموعها إلى ظهوره بصورته التي هو عليها، وهي تكمن وراء

---

(1) مغاوري، جميل محمد، صفحات من تاريخ الحركة العلميّة في المشرق، ص 127، نقلاً عن: مجلة (هنا لندن)، العدد 301، نوفمبر 1973م.

(2) يوليوس رشتر Julius Richter ، لم أتمكّن من الحصول على أي معلومات عنه سوى أنه كان وزير المستعمرات الألمانية سنة 1905م. انظر: www.valt.helsink.fi

(3) المصدر السابق، ص 126.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

توسعه وتطوره، وتنوّعت الدّوافع بحسب مصالح الدول الغربية، فمنها ما كان دينيّاً أو اقتصاديّاً أو علميّاً أو استعماريّاً أو سياسيّاً.

وليس ثمة فرق كبير بين الدوافع والأهداف، فإن تلاقي الخطوط بينها تجعل الجمع بينهما في نطاق واحد أمراً بالغ الأهمية وذلك لانطلاق الأهداف من أساس دافعي يركز على تحقيق أهداف رئيسة تجمع هجمات المستشرقين تحت أفكار رئيسة واحدة.

وأُجْمِل هذه الدوافع في ما يأتي:

أولاً: الدافع الديني

تعلّق الاستشراق -كما ذكرتُ سابقاً- بمنطقة الشرق عامة، ولكن هذا التعلُّق ارتبط جليّاً بدول العالم الإسلامي، لذا كانت معظم دراساتهم متعلّقة باللغة العربية ابتداءً لدراسة الدّين الإسلامي وعلومه من شتى النواحي.

وإنّ السبب الرئيس وراء نشوء هذه الظاهرة كامنٌ في عقيدة المسلمين القائمة على توحيد الله عزّ وجلّ وجعل الأمر له وحده لا شريك له، فإنه ما إن بدأ يظهر هذا الدين على وجه الأرض حتى بدأ يتوسّع ليطال شمال إفريقيا وآسيا الوسطى وأوروبا، لقد حرّر الله بهذا الدين وبهذه الرسالة بني الإنسان من عبادة البشر والجمادات إلى عبادة الخالق، وهذا المبدأ أساساً هو ما تحاربه القوى المتسلطة على البشرية، وتسعى إلى تقويضه وهدمه بشتى الطرق والوسائل.

"كان الخوف يسيطر على المسيحيين لاعتقادهم بأنّ الوحدة -برغم الانقسامات السياسيّة الإسلامية- يمكن أن تعود في أي وقت ضدّ العالم المسيحيّ، وكانوا يدركون أنه يمكن أن تُستغلّ هذه الانقسامات، كما يمكن التّغلغل في صفوف المسلمين" (١)، فارتأى ساسة الدول الغربية العظمى اللجوء إلى مواجهة الزحف الإسلامي بكل الطرق، وكان أبرزها الغزو الفكري الذي يهدف إلى سلخ المسلمين عن كل ما يمتُّ إلى الإسلام بصلة تدريجيّاً من غير معارضةٍ منهم.

ويأتي في المقام التالي الانتصارات الباهرة والفتوحات العظيمة التي حقّقها المسلمون بدايةً من الفتح الإسلاميّ، "وتجدّدت الحروب العسكرية بين المسيحية والإسلام وهو ما أُطلِقَ عليه اسم الحروب الصّليبيّة، وهي تلك الحملات العسكرية التي قام بها الغرب المسيحي على الشّرق الإسلامي، ثمّ امتدّت هذه الحملات حتى شملت شمال إفريقيا أيضاً، ومما يميّز هذا

---

(١) المسلاتي، مصطفى نصر، الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، منشورات اقرأ للطباعة والترجمة والنشر والخدمات الإعلاميّة – طرابلس، ط 1، ربيع الأول 1396 من وفاة الرسول ﷺ، ص34.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصّراع اتّسامه بالطّابع الدينيّ، وانتهى الصّراع الأول بطرد الصّليبيين من الشّرق الإسلامي وسقوط مدينة القسطنطينيّة في يد الأتراك عام 1453"[١]، والتي أقضّت مضاجع الغربيّين مما ولّد الخوف على دينهم وعلى مُلْكهم من المدّ الإسلامي، إضافة إلى ما لمسوه من مظاهر التقدم العلمي والحضاري والتفوق العسكري لدى المسلمين فرغِبوا في انتقال تلك النهضة العلمية إلى ديارهم، فما لبث رجال الكنائس أن حرّضوا النّصارى على إيقاف التّيّار الإسلامي القادم الذي يشكّل الخطر الأكبر على الدّين النّصرانيّ وأهله، فوظّفوا جيشاً من المستشرقين لدراسة الشرق لغة وديانة وطبيعة شعوب ليسهل احتلاله، ومن ثم فتح أقفال شخصيته.

وكان من أهداف بعض المستشرقين التمهيد إلى الت نصير، مستخدمين شتّى الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية، وإضعاف النّوازع الدّينيّة عند المسلمين، وزعزعة ثقتهم ببعض الثّوابت بإثارة الشّكوك حولها، ولإتمام هذا الهدف عملت الدول الاستعمارية على إضعاف روح الجهاد عند المسلمين عبر تأسيسها وتقديمها الدّعم لجماعات –لضمان بقائها واستغلالها لإثارة الفتن الداخلية في الوقت المحدّد– يجزم النّاظر والمتأمّل في أحوالها أنه قد تمّ تركيبها وهندستها من خلال دراسات مطوّلة للفرق الإسلاميّة التي انحرفت قديماً عن المنهج القويم.

فما البهائيّة والقاديانيّة إلاّ حركات ظهرت جذورها من الفرق المنحرفة القديمة [٢]، والتي برزت من أجل العمل على إلغاء فريضة الجهاد عند المسلمين.

ويتّضح قلق الغربيين قديماً وحديثاً من تمكُّن عقيدة الجهاد، فقد "كتب كاتب اسمه أشعيا بومان في مجلة **العالم الإسلاميّ** مقالاً عنوانه **الجغرافية السياسية للعالم الإسلاميّ**، ذكر فيه أنّ شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي، ولهذا الخوف أسباب منها: أنّ الإسلام منذ ظهر في مكة لم يضعف عددياً، بل هو دائماً في ازدياد واتّساع، ثمّ إنّ الإسلام ليس ديناً فحسب، بل إن من أركانه الجهاد، ولم يتّفق قط أنّ شعباً دخل في الإسلام ثمّ عاد نصرانيّاً"[٣].

---

(١) الحاج، ساسي سالم، الظاهرة الاستشراقية، الجامعة المفتوحة– طرابلس (بدون رقم الطبعة والسنة)، ص42.

(٢) انظر: مراد، عباس كاظم، البابية والبهائية ومصادر دراستهما، ظهير، إحسان إلهي، القاديانية : دراسات وتحليل.

(٣) فروخ، عمر ؛ خالدي، مصطفى، التبشير والاستعمار، المكتبة العصرية، لبنان– بيروت، صيدا، ط 5، 1973م، ص131.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً: الدافع الاقتصاديّ

إنّ توافر الموارد الطبيعيّة في المنطقة الشّرقيّة –مع كونها تشكّل عصباً أساسيّاً لقوّة تلك الدُّول عند استغلالها–، أثارت مطامع الدُّول الغربية للحصول على تلك الثروات والتحكم فيها، فكان لا بدّ من إرسال البعثات ليتم التعرُّف على البيئة الاقتصادية في الدُّول المستهدفة، وإجراء الدراسات حول الحالة الاقتصادية والجغرافيّة والسياسية والاجتماعيّة وغيرها بما يخدم مصالحهم في إحكام السيطرة على تلك الموارد، وقد شهد العالم قديماً وحديثاً تهافُت الدُّول الغربية –وخاصّة العظمى– على المناطق التي تميّزت بتوافر الثروات الطبيعيّة فيها، متنافسةً فيما بينها على الموارد والثروات، كما فعلت بريطانيا في الهند قديماً، حيث كانت الهند موضع تنافس بريطانيا وفرنسا حول السيطرة عليها، وكما تفعل روسيا الآن في منطقة القوقاز الغنيّة بالنّفط، وما نراه من تهافت الشّركات الأجنبية على الدُّول النفطيّة للسيطرة على آبار النفط في الخليج والقوقاز، وجنوب إفريقيا.

ولا ريب أنّ المخاوف قد سيطرت على الدُّول الغربية خاصة إذا ما قامت الدُّول الأخرى باستغلال مواردها، وبالتالي بروزها كقوّة في المنطقة، فسعت بشتّى الوسائل والطُّرق لفرض التبعية الاقتصاديّة عليها، وتحويل تلك الدُّول إلى أسواق تجاريّة للمصنوعات الغربيّة، فتصدّى بعض المستشرقين بهذا الدّافع إلى إنجاز الدراسات المطلوبة.

ويظهر ذلك جليّاً في مرحلة ما بعد النّزاعات العسكريّة خاصة، من خلال السيطرة الغربيّة على الموارد الطّبيعيّة للدُّول المُحتلّة، وعدم تمام ذلك لهم لولا الدّراسات والمشورات التي يُقدّمها المستشرقون الذين يسبق وجودهم الاحتلال العسكري.

زاد اكتشاف النفط من حاجة بريطانيا إلى المستعربين الذين انخرطوا –حسب الاحتياجات البريطانية– في الشؤون الاقتصادية والسياسية في الدُّوَل المُستَهدفة كما أصبح لهم نفوذٌ كبير[١].

وعند اكتشاف النفط تنافست الدُّول الاستعمارية الغربية لاستخراجه والتنقيب عن مصادر جديدة، ففي عام 1892م استطاع الأرمني كالوست جولبنكيان (Calouste Gulbenkian) إقناع السُّلطان العثماني في اسطنبول آنذاك بوجود النفط في بلاد ما بين النهرين وتأسّست شركة البترول التركية واستخدمت المُستَعربين البريطانيين للمساعدة في

---

(١) McLoughlin, Leslie, In A Sea of Knowledge, British Arabists in the Twentieth Century, p.27.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا المجال. وفي عام 1908م تمّ العثور على البترول في بلاد الفرس من قِبَل شركة بريتيش بتروليوم (British Petroleum)[١].

وتهافتت الدُّوَل الغربية الكبرى على تأسيس شركات التنقيب عن النفط، وبانتهاء الحرب العالمية الأولى أصبح النفط حاسماً لدرجة أن بعض المؤرّخين يُفسِّرون هزيمة ألمانيا في الحرب بأنه يعود بشكل رئيس إلى تفوُّق الحلفاء في موارد النّفط والمركبات ذاتية الدفع[٢].

ومع نهاية القرن التاسع عشر كان قد وصل الاستعمار الاقتصادي ذروته. فالولايات المتحدة كانت تتوسّع عبر الباسيفيك لانتزاع الفلبين من سيطرة إسبانيا التي هُزِمَت في كوبا عام 1898م، مما أقلق بريطانيا، ولذا فإنّ الأمور تغيّرت من قبل الحرب العالمية الأولى عما بعدها[٣].

وبرز دور المستشرقين في هذه المرحلة بقيامهم بدراسات عن الدول النفطيّة وعن شعوبها، ليكونوا على دراية تامّة بما يُقدِمون عليه من احتلال اقتصادي لتلك الدُّول.

ثالثاً: الدافع الاستعماري

إنّ بعض المستشرقين كان لهم ارتباطات بالدّوائر العسكرية والمخابراتية في بلادهم، مثل: جون آرميتاج، الذي خدم في الجيش البريطاني في المدة ما بين 1943م إلى 1949م، كما كان فعالاً في شؤون العالم العربي 1990م، عبر مشورته بعد تقاعده من وزارة الخارجية سنة 1978م وكان يعرف جيداً عدداً من الدول العربية مثل: ليبيا وعُمان والسعودية والإمارات العربية المتّحدة"[٤].

ويظهر من هذا المثال تمكُّن المستشرقين من التّغلغل بين المسلمين، بل ووصولهم إلى أعلى المراتب في الدول العربية، و إحكامهم السيطرة على الأعمال والمناصب المهمّة والمؤثّرة فيها حتى صاروا المحرّك الرئيس لها، وبذلك يظهر جلياً دورهم الفعّال في خدمة الاحتلال العسكري الغربي، حتّى إنّ بعضاً منهم عمل بعد خبرته الطويلة في خدمة القوات

---

(١) المرجع السابق، ص29.

(٢) المرجع السابق، ص29.

(٣) المرجع السابق، ص32.

(٤) McLoughlin, Leslie, In A Sea Of Knowledge: British Arabists in the Twentieth Century, p.167.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المستعمِرة، وجيمس روبسون موضوع الدراسة قد خدم مع جمعية الشبان المسيحيين في بلاد ما وراء النهرين والهند(١).

وقد كان الاستشراق اليد الضّاربة للاستعمار بتقديمه الخدمات الموطِّئة للاستعمار، وأيضاً "يقوم الاستشراق بهجوم ثقافيّ بديلاً عن الاستعمار في هجومه المسلّح، يهدف منه إلى التّأثير على نفسيّات وعقول الجماعة الإسلاميّة؛ كي يصيبها بعوامل التّفسُّخ والانحلال، مما يُهيّئها بالتّالي إلى توجيهها وجهة مخالفة لأهدافه ومصالحه، وإذا كان الاستعمار عمليّاته بالشّعوب مفاجئة وسريعة، فإنّ عمليّات الاستشراق تكون هادئة تعتمد على التدرُّج والتّهيُّؤ، ووسيلته إلى ذلك هي إبراز السّلبيّات الثّقافيّة من ثقافات شعبيّة أو أساطير وتسليط الأضواء عليها، وإيهام القارئ بأنّ التّراث الإسلاميّ هو تلك الخرافات الشّعبيّة"(٢).

وتُعدُّ مرحلة اكتشاف النفط في دول الخليج من أهمّ المراحل التي أبرزت عدداً من المستشرقين للمهمّات التي أُنيطت بهم، ومن هؤلاء: هاري سانت جون بريدجر فيلبي (Harry St. John Bridger Philby)، (1885– 1960م)، وعُرِفَ باسم جاك فيلبي (Jack Philby)، وكذلك بـــ (عبد الله فيلبي)، وقد عُيّن فيلبي عام 1915م وزيراً للتمويل في إدارة الاحتلال البريطاني في بغداد، وكان من أهداف الإدارة حماية آبار النفط بالقُرب من البصرة وشط العرب، التي كانت المصدر الوحيد للنفط للأسطول البريطاني.

وفي عام 1931م، دعا فيلبي تشارلز كرين إلى جدة –أثناء وجوده في المملكة العربية السعودية– لتسهيل التّنقيب عن النّفط في المملكة. وفي سنة 1933م، عقد فيلبي –حيث كان له شأن في السعودية– عقد امتياز حصري لمدة 60 عاماً مع شركة ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا (Standard Oil of California) (SOCAL)(٣).

هذا أحد النماذج التي تُعطي انطباعاً عن مهامّ المستشرقين –التي تُناط بهم– عند بروز حدث جديد في المنطقة العربية.

رابعاً: الدافع السياسي

يرتبط هذا الدّافع ارتباطاً وثيقاً بالدّافع الاستعماري، "وإن كان الدّافع الاستعماري قد توقّف مع التّوقُّف الفعليّ للاستعمار بالطريقة التي كان عليها، إلاّ أنّ الدّافع السّياسي

---

(١) الكنيسة المتحدة الحرة في اسكتلندا United Free Church of Scotland، سيأتي تفصيل ذلك في المبحث الثالث من هذا الفصل إن شاء الله.

(٢) الفيومي، محمد بن إبراهيم، الاستشراق رسالة الاستعمار، دار الفكر العربي– القاهرة، (بدون رقم طبعة)، 1993م، ص109.

(٣) www.marefa.org

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للاستشراق لا يزال قائماً"[١]، ولا تزال سياسات الدُّول الغربيّة تجاه دول المنطقة تعتمد بشكل أساسي على رؤية المستشرقين ممّن لديهم باعٌ طويل في رسم السياسات بما يضمن ديمومة مصالح الدُّول الغربيّة، وفرض السّيطرة السّياسيّة على العالم الإسلامي.

فقد قام المستشرقون بدراسات تحليليّة لنواحٍ عديدة حول دول العالم الإسلاميّ، وقد تقلّد هؤلاء المستشرقون أعمالاً عديدة أثناء وجودهم في الدُّول الإسلاميّة فكان منهم الدبلوماسيّون، والأكاديميون والتّجّار وغيرهم، وقدّموا دراسات وافية حول المناطق التي رحلوا إليها.

"إنّ الحقبة التي تلت حقبة الاستعمار جعلت اهتمام المستشرقين يتحوّل من خدمة الاستعمار إلى خدمة السياسة بشكل أوسع، ووجد المستشرقون أنفسهم عملاء وصُنّاع سياسة، ولم يعد الاستشراق مجرّد تخصّص علمي أكاديمي بحت، كما كان يتوقّع منه، أو كما أوحى البعض بذلك، وأصبح جزء غير يسير من المستشرقين أدوات، في أيدي حكوماتهم"[٢].

وأصبحوا هم المنفِّذين لقرارات رؤسائهم المموّلين والدّاعمين، وإن كان منهم أيضاً مَن يعمل جنباً إلى جنب مع أصحاب القرار وليس فقط من المنفِّذين.

خامساً: الدافع العلمي

إذِ اصطبغ المستشرقون بالصّبغة العلمية، و أقدموا على دراسة علوم الشرق بدافع الرغبة العلمية البحتة لِما رأوا من تطوُّر العلوم عند المسلمين في شتّى المجالات وكانت لديهم اليد الطولى في إحداث النّهضة العلمية في أوروبا، فقام بعض الغربيين بدراسة علوم المسلمين ونقلها وترجمتها إلى لغات بلادهم رغبةً في الاستفادة من النهضة العلميّة العامرة في ديار الإسلام. وقد دفعت الرّغبة العلميّة الصّادقة بعضاً من المستشرقين إلى الثّناء على دين الإسلام ونبيه ﷺ، بل ومنهم مَن دخل في بوتقة هذا الدين تيقُّناً منه بصحّته.

لم يخلُ الأمر من أن يكون الهدف العلميّ النّزيه أحد أهداف المستشرقين في دراساتهم للإسلام، وغلب هذا الهدف على مستشرقي الدُّول التي لم تحمل أهدافاً استعماريّة للدُّول الإسلامية، فقد كرّس بعض المستشرقين حياته ووقته وماله في تنفيذ مشروعات علميّة، بنيّة صادقة لا تشوبها الضّغائن والأحقاد، أو حمل أفكار مسبقة.

---

(١) النملة، علي بن إبراهيم الحمد، الاستشراق: مناقشات في المفهوم والارتباطات، ص53.

(٢) المرجع السابق، ص71.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هؤلاء المستشرقين "توماس كارلايل[١] Thomas Carlyle"، الذي ما زال عمله يُذكَر إلى اليوم، حيث كتب عن النبي ﷺ بإنصاف، ولا شكّ من وجود غيره من المستشرقين المدفوعين بالرغبة العلمية البحتة، وقد قدّم العديد منهم خدمات جليلة للتُّراث العربي والإسلامي، كالاعتناء بالمخطوطات وتحقيقها بكل أمانة وإخلاص وعبر المناهج العلمية ونشرها. ولا نكون مجاملين لأحد عندما نقول إن دراسات المستشرقين أدت خدمات في مجالين:

1. استيعاب المصادر وجمع المعلومات بشكل واسع، وربما ساعدهم على ذلك اهتمامهم بالتخصص.
2. الترتيب والتنسيق في منهج البحث والتأليف، والإحصاء والفهرسة وعنايتهم بهما عناية كبيرة وكان ذلك شيئاً جديداً على الدارسين في المدة التي ظهرت فيها دراسات المستشرقين إلى عالم القراء[٢].

وتنبهت الأوساط العلمية والدارسون في العالم الإسلامي إلى هذا المنهج المنسق الذي ظهر في دراسات المستشرقين فاستفادوا منه في بحوثهم ودراساتهم.

نعترف بهذه الخدمات التي أدتها دراسات المستشرقين مع أننا نتحفَّظ على الدوافع والأهداف!

إلا أننا مع ذلك نجد في دراسات المستشرقين عيوباً علمية عديدة تكشف لنا عوار تلك الدراسات بشكل يغضُّ من قيمتها العلمية.

ولا نتجنى في الحكم ولا نجزم بغير دليل وكتب المستشرقين في متناول كل باحث.

ومن المتفق عليه بين الباحثين أنه لكي يصدر الباحث حكماً صحيحاً ودقيقاً في أي قضية علمية أو تاريخية ينبغي أن تتوفر له أسباب أساسية:

فنظرته للإنسان يجب أن تكون نابعة من تصور سليم وفهم دقيق للنزعات والخصائص الإنسانية، ولكي يستطيع تفسير الحادثة التاريخية يجب أن يكون متفهماً ليس لملابساتها فحسب

---

(١) كاتب وناقد ومؤرّخ اسكتلندي (1795–1881م)، تخرّج من جامعة إدنبره، وعمل بعدها مدرّساً للرياضيات، بعدها عاد إلى الجامعة لدراسة القانون، ثم شرع بدراسة الفكر الألماني، وله سلسلة من المقالات في ذلك الموضوع وعن الشعراء وغيرهم، وشكّلت هذه المرحلة الخطوة الأولى في عالم الأدب الذي تميّز فيه لاحقاً، ولكارلايل كتاب (الأبطال) الذي اشتهر به، حيث تضمّن دراسة أدبية تاريخية للبطولة جسّدها في عدّة أشخاص مثل: البطولة الأسطورية في شخص الإله أودين –الأسطوري–، والبطولة النبوية في شخص نبيّنا محمد ﷺ، حيث مجّد النبي ﷺ وعظّمه، وأبدى إعجابه وتقديره بقيادة النبي ﷺ للأمة في انظر: موسوعة ويكيبيديا: http://ar.wikipedia.org

(٢) انظر ص15 من هذا البحث، وتمّ التكرار في هذا الموضع للمناسبة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بل لطبيعة الأمة التي تتعلق تلك الحادثة بتاريخها، ومتفهما للتاريخ كله التي تعد تلك الحادثة جزءا صغيرا من أجزاء بنائه المتكامل..

وعندما يناقض ثقافة أو شريعة ما ينبغي أن تصدر مناقشته عن تصور سليم كُلّيّ لخصائص تلك الثقافة ومميزات تلك الشريعة وأسسها وإلا فإنه يخلط بين الأشياء خلطا يفقد رأيه كل قيمته العلمية.

وكذلك الأدب تختلف فيه المقاييس والأذواق من أمة لأخرى، ولكل أمة لون من ألوان الفنون والآداب يكون مستحسناً لديها حسب أذواقها ومقاييسها وقد لا يكون كذلك في أذواق أمة أخرى ومقاييسها.. فلا يكون الحكم دقيقاً ولا التحليل سليماً إذا لم يتذوق الدارس لأدب أمة ما بذوقها هي أولاً. وهذا الأساس في الدراسات الأدبية لا شك مفقود لدى المستشرقين فتذوقهم للغة العربية وآدابها ضعيف لأنهم لم يستطيعوا التخلص من تأثير أذواقهم الأوروبية.

فإذا انتقلت من العربية لغتها وآدابها إلى الإسلام عقيدته وشريعته وتاريخه وحضارته فهناك ترى الخلط العجيب، إذ كيف يتسنى للمستشرقين أن يتفهموا طبيعة الإنسان المسلم وخصائصه أولاً وهم ينظرون إليه بل إلى أهل الشرق جميعاً من نافذة أوروبية ترى أن الشعوب الأوروبية أعلى وأشرف عرقاً وجنساً وأن بقية الشعوب دونها رتبة؟

ولذلك لا نستغرب إن رأينا جميع المستشرقين يطبقون تقسيم التاريخ الأوروبي إلى ثلاثة عصور–العصور الأولى والعصور الوسطى وعصر النهضة الحديثة– يطبقون هذا التقسيم على تاريخ الشعوب جميعاً حتى المسلمين، وهذا يعد منهم نقصاً علمياً فاحشاً وجموداً عجيبا إذ إن لكل أمة تاريخَها المستقلَّ بأدواره ومراحله وخصائصه.

فدراسة عقيدة الإسلام أو شريعته أو حضارته أو تاريخه تحتاج إلى فهم كُلّي شامل لطبيعة هذا الدين وخصائصه ومقوماته حينئذ فقط تكون دراسة أي جزء من أجزاء البناء الإسلامي المتكامل سليمة ومجدية.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن دراسة أي جزء من أجزاء بناء الثقافة الإسلامية يجب أن تكون وفق المنهج الإسلامي المتميز باصطلاحاته وقواعده إذ أن كل جزء من أجزاء ثقافتنا له مصطلحات ورموز وقواعد إن لم يدركها الدارس يتخبط في دراسته فلا يصل إلى حقائق علمية لكننا نرى المستشرقين في سائر دراساتهم فقدوا هاتين الناحيتين أيضاً(١).

---

(١) انظر مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، مكتب التربية العربي لدول الخليج– الرياض، (بدون رقم الطبعة والسنة)، بحث بعنوان: منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي، للباحث: محمد بن عبود، ج1، ص346، 348، 364.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: تاريخ الاستشراق البريطاني

المطلب الأول: الاستشراق البريطاني: النشأة والتطوّر

بدايات الفكر الاستشراقي عموماً:

اختلف الباحثون في تحديد بدايات الفكر الاستشراقي، حيث تعدّدت الآراء في تحديد انطلاقته، ويمكن استعراض هذه الآراء وترتيبها زمنيّاً على النحو التالي:

الرأي الأول: يرى أصحاب هذا الرأي أنّ البدايات الأولى للاستشراق كانت مع ظهور الإسلام **(**في عصر النّبوّة**)**، وبدأ في المرحلة المدنية حيث يرون أنّ الهجرة النبوية إلى المدينة التي كان يسكنها اليهود أدّت إلى تحوّل الصّراع بين الإسلام والكفر من صراعٍ عسكري إلى صراعٍ فكريّ يقوده اليهود في المدينة؛ إذ لجأوا إلى تشكيك المسلمين بعقيدتهم وإثارة الشبهات على بعض المسائل الشّرعية، كالقضاء والقدر وخلق الأفعال، وغيرها من أمور الدين(١).

ويرى بعض الباحثين أنّ الاستشراق بدأ من خلال إرسال النبي ﷺ الرسائل إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الإسلام، وبالتالي تحديد العلاقة ما بين الشرق والغرب(٢).

الرأي الثاني: يرى أنّ البدايات تعود إلى الفتوحات والغزوات العسكرية التي قام بها المسلمون، حيث إن توسُّع الدولة الإسلامية في الشّرق والغرب أدّى إلى ازدياد الصّلة بين الشّرق والغرب فكانت سبباً لظهور الحاجة للرّد على الإسلام والمسلمين، ودراسة حضارة الدولة الإسلامية ومعارفها، فكانت الفتوحات هي نقطة بدء الاستشراق(٣).

الرأي الثالث: ويرى أصحابه أن الحملات الصليبية هي المنطلق الحقيقي لظهور الاستشراق؛ لأنها جاءت بدافع ديني نابع عن الخوف على بيت المقدس من المسلمين(٤).

الرأي الرابع: يرى أصحابه أنّ انطلاقة الاستشراق رسميّاً تعود إلى سنة 1312م، عندما أصدر مجمع فينا الكنسي قراره –بناءً على اقتراح قدمه المنصّر ريموند لال– بإنشاء أول كرسي لدراسة اللغات السامية ومنها اللغة العربية في جامعات أوروبا، وكان ذلك في

---

(١) شلبي، أحمد، الاستشراق: تاريخه وأهدافه .. شبهات المستشرقين ضد الإسلام مناقشتها وردها، مكتبة النهضة المصرية– القاهرة، ط3، 1993م، ص15–17.

(٢) النملة، علي بن إبراهيم الحمد، ظاهرة الاستشراق: مناقشات في التعريف والارتباطات، ص31.

(٣) المرجع السابق، ص32.

(٤) المرجع السابق، ص34.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا، وكان المستشرقون بشكل عام مختصّين بالدراسات السامية أو بالإسلام أو بالصّين[١].

ومما يُلحظ على الآراء الثلاثة الأولى أنّها تعبّر عن مراحل علاقة الشّرق والغرب، ويمكن القول إنّ ظهور الإسلام وازدهاره والقيام بالفتوحات الإسلامية وراء نشوء الاستشراق إلا أنّ هذا لا يعني ظهور الاستشراق بالصّورة التي هو عليها الآن، وإنما يُؤرّخ لبدء ظهوره ظهوراً رسمياً سنة 1312م، وهذا يُعدُّ مؤشّراً إلى وجوده قبل ذلك الوقت حيث تنامت المعرفة بالعلوم الشرقية وتطوّرت خاصّة مع قيام الدولة الإسلامية في الأندلس، التي عكست الحضارة الإسلامية المزدهرة، فكانت محطّ أنظار طلبة العلم والرّحالة الأوروبيين، حيث تنبّهت أوروبا إلى عظمة تلك الحضارة ومعارفها هناك.

وبعد أن قام الغربيون بدراسة الدين الإسلامي في الأندلس، عادوا إلى بلادهم يحملون في جعبتهم مختلف المعارف والعلوم والفنون الإسلامية، وتنبّه الغربيون إلى ضرورة إنشاء كراسيٍّ لتدريس العلوم الشّرقية في جامعاتها.

الاستشراق البريطاني:

وكغيرهم من الأوروبيين رحل البريطانيون إلى الأندلس –وكانوا من السّبّاقين– ليدرسوا اللغة العربية ويأخذوا من العلوم والمعارف ما يعود بالنفع على بلادهم، وليروا الآثار الحيّة والشّواهد الجليّة التي تشهد بعظمة تلك الحضارة التي خرجت من صحراء الحجاز، فبدأوا يدرسون أسباب النهضة وعوامل الارتقاء فيها لتكون إسهاماً منهم بل سبباً في تغيير الحضارة في بلادهم وتطويرها، وتوسّعت هذه الرحلات فلم يقتصروا على الأندلس، بل رحلوا إلى معظم بلاد الشرق.

وإنه لجديرٌ بالإشارة إلى أنّ الاستشراق البريطاني كان من أقدم ما عُرف في أوروبا، وذلك يعود إلى كون بريطانيا دولةً عظمى –فهي الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس آنذاك–، والتي لها أهداف ومآرب وأطماع تسعى إلى تحقيقها في الشرق، فكان لا بدّ لها من دراسة المناطق المستهدفة لتسهيل تحقيق أطماعهم، ولتكون الوسيلة في فهم شعوب البلاد المحتلّة.

وقد سعى المستشرقون البريطانيون إلى طلب العلوم العربية من خلال طريقتين:

الأولى: استقدام العلماء من الأندلس لغرض التدريس، مثلما وفد الفيلسوف الأندلسي إبراهيم بن عزرا (1158–1159م) من مدينة طليطلة إلى لندن ودرّس فيها.

---

(١) سعيد، إدوارد، الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، ص81.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والطريقة الثانية، هي: رحلة طلاب العلم من بريطانيا قاصدين صقلية والأندلس، حيث أخذوا الثقافة العربية على أعلامها في مدارسها، ومن هؤلاء: "توماس براون Thomas Brown"، و"إدلرد أُف باث Adelard of Bath"، و"روبرت أوف تشستر Robert of Chester"، وغيرهم الذين درسوا اللغة العربية، وقاموا بترجمة العديد من الكتب العربية، كما صنّفوا النفيس فيها[١].

وكان رائد الحركة الاستشراقية البريطانية "إدلرد أُف باث Adelard of Bath" (1070–1135م)، حيث كان من أوائل الإنجليز الذين رحلوا إلى صقلية والأندلس ومصر ولبنان وأنطاكيا واليونان، ودرسوا العربية وتوغّلوا في علومها إلى أقصى حدٍّ ممكن، حتى فضّل مناهج البحث العربية آنذاك على أية مناهج أخرى[٢].

وفي عام 1632م أنشأ السير "توماس آدمز Thomas Adams" أول كرسي للدّراسات العربية في جامعة كامبريدج، وتلا ذلك تأسيس كرسي آخر للعربية في أكسفورد سنة 1636م[٣]، وبرز عددٌ من المستشرقين في ذلك الوقت، من أهمّهم: "وليم بدويل William Bedwell" (1561– 1632م) الذي كان يعد أباً للدّراسات العربية في بريطانيا، وهو خرّيج جامعة كامبريدج وأستاذ العربية فيها، وكان قد أُثِرَ عنه أنه دعا إلى ضرورة دراسة العربية، ونبّه على قيمتها[٤].

ومن الشخصيّات البارزة في القرن السابع عشر: "إدموند كاستل Edmond Castel" وهو كان من أوائل أساتذة اللغة العربية في كامبريدج ومن أشهر مصنّفاته **قاموس مجمل للغات السامية**، حيث كرّس ثمانية عشرة سنة في تأليفه، وتمّ نشر الكتاب لأول مرة سنة 1669م[٥].

وفي القرن الثامن عشر توالى الاهتمام بالدّراسات الشّرقية، وتخصّصت الدراسات الاستشراقية البريطانية كما ازداد اهتمام المستشرقين بالإسلام، ونشطت حركة التأليف في العلوم الشرعية، وإلى جانب ذلك ظهرت جهود مكثّفة على الدراسات الهندية على يد "ويليم جونز William Johns"(1746– 1794م) الذي لُقِّب بأبي الدراسات الهندية وذلك عائدٌ إلى رغبة بريطانيا باحتلال الهند (1772– 1835م) وقيامها فعلاً بذلك عن طريق الشركة

---

(١) العقيقي، نجيب، المستشرقون، ج2، ص7.

(٢) ar. Wikipedia.org

(٣) العقيقي، نجيب، المستشرقون، ج2، ص10.

(٤) ar. Wikipedia.org

(٥) المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الهندية الشرقية، التي استطاعت القضاء على الشركة الهندية الفرنسية، مما أدّى إلى أفول نجم فرنسا في الهند، وكانت متطلّبات الشركة تفرض بقوة هذا التواجد للمستشرقين في الهند، حيث تمّ إرسال المختصّين بالشؤون الهندية إلى هناك سعياً إلى تثبيت الوجود العسكري البريطاني، والقضاء على أي مقاومة للشّعب الهندي(١).

ومن أبرز مستشرقي هذا القرن: "جورج سيل George Sale" (1697–1736م)، الذي قام بأول ترجمة إنجليزية للقرآن الكريم، وتُعدُّ أوّل ترجمة كاملة بلغة أوروبية، و"جان جانيه J. Gagnier" (1670– 1740م)، ومن أشهر مؤلفاته **حياة محمد** (أمستردام دحض به افتراءات المتعصِّبين عليه ﷺ ويصنف هذا المستشرق في عداد المنصفين(٢).

وسعت بريطانيا إلى تأمين جميع الطرق المؤدّية إلى الهند، ففي القرن التاسع عشر قامت باحتلال مصر والسيطرة على قناة السويس، كما احتلّت العراق والجزيرة العربية أيضاً، وكانت مهمة المستشرقين تقديم المشورة لبريطانيا، وغزو الشعوب المُحتلّة غزواً فكرياً يؤدّي إلى هدم الوحدة الإسلامية من الدّاخل، فمنهم مَن لجأ إلى الكتابات المشوّهة للإسلام المُشكّكة فيه، إضافةً إلى قيامهم بابتعاث الطلبة المسلمين إلى بريطانيا، حيث يتمّ تلقّيهم العلم على أيدي مستشرقين ضليعين في مختلف ميادين المعرفة، وتطلّع المستشرقون من ذلك إلى انبهار الطلاب بالحضارة والثقافة الغربية والتقدم العلميّ هناك، وبالتالي انسلاخ المسلم من عقيدته وثقافته الإسلامية فيعود إلى بلده عضواً مؤثّراً في نشر الأفكار الغربية بين أبناء المسلمين والدّعوة إليها، مما يؤدّي إلى تنشئة أجيال لا هوية دينية لها ولا ثقافية، وتطوّرت الدراسات في تلك المدة تطوّراً عظيماً، وأُنشأ كرسي الدراسات العربية في جامعة لندن عام 1828م، كما أنشأت الجمعية الآسيوية الملكية التي بدأت بإصدار الدوريات التي تُعنى بأبحاث المستشرقين(٣).

ومن أبرز المستشرقين في ذلك القرن: "ويليم كَريتون William Cureton" (1808–1864م) الذي درس العربية والسريانية، وتخرّج من أكسفورد، ومن أبرز ما قام نشر كتاب **الملل والنحل** للشهرستاني سنة 1846م، وكتاب **عمدة عقيدة أهل السنة والجماعة** للحافظ النسفي سنة 1843م(٤).

---

(١) انظر: الحاج، ساسي سالم، الظاهرة الاستشراقية، ص147.

(٢) العقيقي، نجيب، المستشرقون، ج2، ص55.

(٣) المرجع السابق، ص55.

(٤) المرجع السابق، ص55.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنهم كذلك "وليم هوك مورلي William H. Morley" (1815- 1860م)، وقد درس الحقوق والأدبين العربي والفارسي، ومن آثاره **الشريعتان الإسلامية والهندية** ، وفهرس المخطوطات العربية والفارسية والتركية والهندوستانية في مكتبتي الجمعية الملكية الآسيوية وجمعية الترجمة (لندن 1838م)، وفهرس المخطوطات العربية والفارسية في مكتبة الجمعية الملكية الآسيوية[١].

وفي القرن العشرين كان لبريطانيا حضورٌ بارزٌ في المنطقة العربية، إثر تأثّر المنطقة العربية بالأحوال السياسية التي فرضتها بريطانيا، إذ قامت بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، حيث تعهد وزير خارجيّتها آنذاك "آرثر بلفور Arther Belfor" بذلك، كما كانت ما تزال القوة المهيمنة على منطقة الخليج العربي ومصر والسودان، وكانت جميع المهمّات السياسية والعسكرية تتمّ عن طريق إرسال المستشرقين إلى المناطق المستهدفة، من أمثال: "جون فيلبي John Philpy" (سمي فيما بعد بحاج عبد الله فيلبي)، الذي أُرسل لأداء مهامّ سياسية إلى الجزيرة العربية، وكذلك "إيون كيث[٢] Ion Keith" الذي كان منصّراً أيضاً في الجزيرة العربية، كما ازدادت حاجة بريطانيا إلى المستشرقين المتخصّصين بالعربية وشؤون العالم الإسلامي لاستخدامهم في أوقات الطوارئ العسكرية مثل الحربين العالميّتين؛ الأولى 1914- 1918م، والثانية 1939-1945م، أو في الأزمات والاضطرابات المدنية كالتي وقعت في مصر سنة 1919م، والثورة القبلية في العراق سنة 1920م، والثورة العربية في فلسطين (ثورة البراق)، سنة 1936-1939م[٣].

ومنهم أيضاً: المستشرق "توماس إدوارد لورانس Thomas Edward Lawrence" الذي اشتهر بـــ "لورانس العرب Lawrence of Arabia" (1888- 1935م)، وقد ساهم في القضاء على الخلافة العثمانيّة عام 1916م، وأُنيطت به مهام أخرى أيضاً هامّة تتعلّق بشؤون العالَم العربي[٤].

---

(١) المرجع السابق، ج2، ص57-58.

(٢) إيون كيث Ion Keith (1856- 1887م)، مبشّر اسكتلندي ومدرّس للغة العربية، وُلد في إدنبرة، درَس في كلية الثالوث في كامبريدج، وكان أستاذ العربية في جامعة كامبريدج، يُتقن بعضاً من اللغات السّ اميّة منها: العربية والعبرية والسريانية، اتّخذ من مدينة عدن مقرّاً للتبشير، وتوفي فيها إثر إصابته بالملاريا.

انظر: موسوعة ويكيبيديا: http://en.wikipedia.org/wiki/Ion_Keith-Falconer

(٣) MacLoughlin, Leslie, In A Sea of Knowledge: British Arabists in the Twentieth Century, p.3.

(٤) www.discover-syria.com/bank/304

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما برز في نهاية القرن التاسع عشر اثنان من المُستعربين البريطانيين الذين يتوضّح من خلال سيرة حياتهما الترابط بين المجال الأكاديمي والاحتياجات الاستراتيجية الاستعمارية، الأول منهما هو: السير تشارلز جيمس ليال (1845–1920م) حيث التحق بالخدمة المدنية بالهند وهو في العشرين من العمر إثر توقُّف شركة الهند الشرقية عقب ثورة الشعب الهندي، وفي نهاية القرن كان موظفاً كبيراً في مكتب الهند بلندن باعتباره مدير الدائرة القضائية والحكومية إلا أنه وجد الوقت الكافي للكتابة والنشر في مجال الأدب العربي وانصبّ اهتمامه على القصائد الجاهليّة الأكثر صعوبة(١).

والمُستَعرِب الثاني هو من الأشخاص البيروقراطيين وهو: "وليم موير William Muir"(٢) الذي كتب حول مسائل الخلافة وحياة النبي محمد، وهو رئيس الجمعية الملكية الآسيوية من عام 1884م، ورئيس جامعة إدنبرة حتى وفاته عام 1905م، وُلِد سنة 1819م والتحق بشركة الهند الشرقية في الثانية عشرة من عمره، وبعد عشرين سنة لاحقاً كان مدير دائرة المخابرات في Agra. وتزامن تعيينه مع الثورة الهندية الذي كتب بخصوصه بعد سنوات كثيرة كتابه: أجرا أثناء التمرد (1896م). وقد أدّت الأحداث إلى التركيز على المعرفة المتخصّصة للمجتمعات الإسلامية التي كانوا مسؤولين عنها في الهند وما بعدها(٣).

وتجدر الإشارة إلى مُستَعرِبٍ آخر بارز وهو "بالمر E. H. Palmer" أستاذ اللغة العربية في كامبريدج، بدأ بتعلُّم الرومانية من الغجر والإيطالية من اللاجئين السياسيين، كما تعدّدت مواهبه فمنها أنه كان كاتباً للمسرحيات الشهيرة، ومواهبه الجديرة بالملاحظة لفتت أعيُن زملاء كلية سينت جونز الذين أدخلوه في الحياة الأكاديمية وهو في الثالثة والعشرين من عمره(٤).

ونتيجة لمقابلته أعداداً من المسلمين الهنود الذين يدرسون في كامبريدج، تحمّس لدراسة اللغات الإسلامية فتعلّم العربية بسرعة فائقة والفارسية والهندوستانية. وكان تقدّمه سريعاً جداً وكان يأمل بأن يحصل على كرسي اللغة العربية في كامبريدج إلا أنّ المستشرق وليم رايت(٥) William Wright سبقه إليه. ونتيجة لمعرفة بالمر الواسعة باللغة العربية

---

(1) MacLoughlin, Leslie, In A Sea of Knowledge: British Arabists in the Twentieth Century, p.24.

(2) انظر ترجمته ص18 من هذا البحث.

(2) المرجع السابق، ص24.

(3) المرجع السابق، ص24.

(1) وليم رايت William Wright (1830– 1889م): بريطاني وُلِد في البنغال، "كان والده قائداً في الجيش البريطاني، ووالدته ابنة الحاكم خبيرة بعدّة لغات شرقية فشجّعته على تعلُّمها، فدرسها في اسكتلندا، وفي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنطوقة وكلام البدو على الأخص من خلال الحملات التي قام بها لصالح صندوق استكشاف فلسطين من عام 1870م فصاعداً. وفي إحدى هذه الحملات بالذات أثناء مروره بدمشق تعرّف على ريتشارد بيرتون ومن ثم عمل قُنصُلاً بريطانيّاً هناك[١].

ولِكِبَر حجم علاقاته، وفي عام 1881م أصبح بالمر مُنخَرِطاً في عمل العباءة-الخنجر[٢]، حيث تلقّى تعليمات سرّيّة من رئيس مجلس وزراء بريطانيا المستر جلادستون Gladston بأن يحاول فصل القبائل العربية في مصر عن العناصر الوطنية، الدّاعمة للمقاومة التي يتزعّمها عُرابي باشا ضد الاحتلال البريطاني[٣].

فحمل معه الذهب وعمل تحت إمرة القائد العسكري البريطاني في الميدان وأجرى اتّصالات مع البدو في المناطق الصّحراوية المُحاذية للقنال وذلك للوقاية من الأعمال التخريبية. وفي أغسطس/ آب 1882م وقع بالمر مع رفاقه البريطانيين في كمين وقُتِل من قِبَل البدو. وقبره الآن في كاتدرائية سنت بول، باعتباره أول مُستَعرِب ضمن مجموعة مُستَعرِبين في القرنين التاسع عشر والعشرين ويتم إحياء ذكراه هناك[٤].

وبعد الحرب العالمية الثانية عام 1939-1945م وبروز الولايات المتّحدة الأمريكية كقوّة عظمى، كان لا بدّ من تقديم بريطانيا المساعدة لها عبر إرسالها مجموعات من المستشرقين البريطانيين لإعداد مستشرقين أمريكيين مؤهّلين لإدارة كافة شؤون الدّولة المتعلِّقة بالشّرق الأوسط.

وفي الألفية الثالثة تضاعفت أعداد البريطانيين المهتمّين باللغة العربية بشكل أكبر بكثير من السّابق، ويعود ذلك إلى ثلاثة أمور رئيسة:

ليدن على دوزي". من المناصب التي شغلها: أستاذاً للغة العربية في جامعة لندن (1856م)، وجامعة دبلن (1858م)، وأستاذاً في كامبريدج (1870م) وحصل منها على الدكتوراه في الحقوق وفي الفلسفة، كما عمل في مكتبة المتحف البريطاني (1861م)، وقد كان عضواً في جمعيّات آسيوية كثيرة . من آثاره: في الأدب العربي: ديوان شعر طهمان بن عمرو الكلابي، الملاحن لابن دريد (ليدن 1859م)، كما نشر كتاب الكامل للمبرد لأول مرة في العالم مع فهارس وافية (ليبزسج- كامبريدج 1864- 1892م)، وترجم كليلة ودمنة إلى الإنجليزية. انظر: العقيقي، نجيب، المستشرقون، ج2، ص62- 63.

(1) المرجع السابق، ص24-25.

(٢) هذا المصطلح اشتهر بسبب الدور الذي قام به المستشرقون بالاغتيالات السياسية بالجزيرة العربية؛ حيث كانوا يتنكّرون بزيّ العربي –الذي يتضمّن العباءة- لتسهل حركتهم ثم يقومون بتنفيذ مهامهم بالاغتيال.

(3) MacLoughlin, Leslie, In A Sea of Knowledge: British Arabists in the Twentieth Century, p.25.

(4) المرجع السابق، ص25.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأمر الأول: دخول اللغة العربية في الكثير من أوجه الحياة البريطانية، والكثير من المعاهد البريطانية.

والأمر الثاني هو: أنّ بريطانيا مسؤولة عن أكبر مشكلة في العالم العربي وهي قضية زرع إسرائيل في قلب العالم العربي.

والأمر الثالث هو: العدد الملفت للنظر لأصحاب المراكز في بريطانيا من الرجال والنساء الذين لديهم معرفة باللغة العربية(١).

كما يتّضح أنّ التّوجّه الرّئيس في الدراسات الاستشراقية البريطانية كان مُنصبّاً بشكلٍ بارز على الدراسات العربية؛ لكونها مفتاح دراسة الإسلام؛ فهي لغة القرآن، واللغة التي يتكلّم بها عامّة المسلمين، وهي وسيلة التواصل والتعايش معهم، كما يتنامى دَوْر المستشرقين في كلّ زمان تبعاً للأحداث السياسية، الذين قُدِّر لهم في هذا الوقت أن يكونوا محوراً أساسياً في العلاقات العربية الأوروبية.

المطلب الثاني: الاستشراق حالياً

لقد أصبحت كلمة **الاستشراق** مقترنة بالرفض والكراهية من قبل شعوب العالم الإسلامي، وأنّ هذا المصطلح "بالمقارَنة مع الدراسات الشّرقيّة أو الدّراسات الإقليميّة، أقلّ تفضيلاً اليوم لدى المُختصّين لسببين اثنين: كونه غائماً وعامّاً إلى درجة مُفرِطة، وكونه يتضمّن الموقف التّنفيذي السُّلطوي للاستعمار الأوروبي في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. بيد أنّ الكتب ما تزال تُكتَب، والمؤتمرات تُعقَد، ومحركها الرّئيس (الشّرق) والسُّلطة المرجعيّة فيها المُستشرق في قناعه الجديد أو القديم. والنُّقطة الدّالّة هي أنّ الاستشراق، حتى إذا لم يستطع البقاء كما كان ذات يوم، يستمرّ في الحياة جامعيّاً عبر معتقداته المذهبيّة وأُطروحاته عن الشّرق والشّرقيّ" (٢)، مما أدى إلى وقوع الاستشراق في أزمة، ومن تلك الأسباب أيضاً التي أسهمت في تشكيل تلك الرؤية السلبية تجاه الاستشراق، "ارتباط بعض المستشرقين بالدّوائر السياسية والمخابراتية لبلادهم، حيث قدّموا خدمة الأغراض السياسية على الإخلاص للبحث العلمي، كما أنّ بعضهم كان مدفوعاً بأحقاد الماضي التي لم يستطع التخلُّص منها" (٣)، فقد كان بعض المستشرقين اليد الضّاربة للقوى

---

(١) المرجع السابق، ص2.

(٢) سعيد، إدوارد، الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، ص38.

(٣) مطبقاني، مازن بن صلاح، الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام، دار إشبيليا- الرياض، ط 1، سنة1421هـ، ص34.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاستعمارية الغربية، حيث أدّى هؤلاء دوراً أساسياً في التمهيد للاستعمار الغربي لدول العالم الإسلامي والتوطئة له، عبر قيامهم بدراسات وافية –مُسبقاً – ودقيقة حول أوضاع البلاد المستهدفة بما يخدم المستعمرين في احتلالهم لتلك الدول، وتقديم المشورة للدوائر العسكرية –على الدوام– بما يسهّل على الاحتلال التّعامل مع ردود أفعال شعوب البلاد المحتلة، ومحاولة تقديم الغزو العسكري بصورة أكثر تقبُّلاً، إضافة إلى تكريس المستشرقين جهوداً جبّارةً في البعثات التنصيرية في العالم الإسلامي، عبر وسائل عديدة ...، وقيامهم بالطّعن في الدين الإسلامي، فكان كثيرٌ منهم أفراداً تمّ إعدادهم إعداداً لاهوتيّاً كنسيّاً مكيناً، وتشريب عقولهم بخطر المدّ الإسلاميّ على النّصرانيّة، وبالتالي ضرورة مواجهة هذا الزّحف ومحاربة أهل هذا الدين، فكان المستشرقون –غالباً– طلائع الاستعمار، و"في الواقع: إنّ علماء أوروبا عالجوا صورة الإسلام، وبرزت أمامهم ثلاث نواحٍ كانت تؤلّف ردّ فعلٍ لهم:

1. أنّ العالم الإسلاميّ بنية سياسية وأيديولوجية عدائية.
2. أنه حضارة متميزة ومختلفة.
3. وهو إقليم اقتصادي.

وكانت هذه الأمور الثلاثة تُسبب ردّ فعل تجاه فهمهم للإسلام حتّى لدى عامّة النّاس.

كان الخوف يُسيطر على المسيحيين لاعتقادهم بأنّ الوحدة –برغم الانقسامات السياسية الإسلامية– يمكن أن تعود في أي وقت ضدّ العالم المسيحيّ، وكانوا يدركون أنه يمكن أن تُستغلّ هذه الانقسامات، كما يمكن التّغلغل في صفوف المسلمين"(١).

"فالاستشراق والتبشير يسعى كلاهما لهدف واحد، كلاهما كان وما يزال ردءاً للاحتلال بأشكاله المختلفة الظاهرة والكامنة، والفرق بينهما أنّ الاستشراق غلب عليه الأخذ بصورة البحث، وادّعى لبحثه الطابع العلمي، على حين غلب على التبشير الاهتمام بمظاهر العقليّة العامّة وهي العقليّة الشعبية"(٢).

"وبرغم كل شيء فإنّ نيّة النفاذ إلى أعماق الفكر الدّيني الإسلامي كانت هي الحقيقة المسيطرة على عقول المفكّرين الغربيين"(٣)، أضف إلى ذلك مساعي المستشرقين الرامية إلى فرض التبعية السياسية والاقتصادية والعلمية أيضاً للغرب، مما أدّى إلى عدم التزامهم

---

(١) المسلاتي، مصطفى نصر، الاستشراق السياسي في النّصف الأول من القرن العشرين، ص34.

(٢) الدسوقي، محمد، الفكر الاستشراقي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع– المنصورة, ط 1، 1995م، ص126.

(٣) المسلاتي، مصطفى نصر، الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، ص46.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالنزاهة العلمية المطلوبة في الدراسات الإسلامية؛ لغلبة الميول والأهداف على الحياد العلمي، والخروج بنتائج مغلوطة عن الدين الإسلامي وغزو المسلمين فكريّاً بتلك الأفكار.

يتّضح مما سبق أن الاستشراق مقدّم في صورة الفكر الخاضع للتنصير والاستعمار، كما أنه لا يتّصف بالاستقلالية التي تتّصف بها بعض الحركات الفكرية أو العلوم الإنسانية، بحيث يكون علماً مجرّداً له حدوده وهويته التي تحميه من التبعية أوفرض أية سيادة عليه. مما أدى إلى سعيهم إلى التّنصّل من صفة الاستشراق ووصفهم بأنهم مستشرقون واجتناب تلك الصّفة السلبية وتفضيل مُسمّ يات جديدة، مثل: مُستَعرِب Arabist، أو مُتَخصِّص في الإسلام Islamist، أو مُتَخصِّص في الشرق الأوسط، أو في التاريخ الإسلامي، أو غير ذلك من المُسَمَّيات[١].

المطلب الثالث: خصائص الدراسات الاستشراقية البريطانية[٢]

تتميز الدراسات الاستشراقية البريطانية بعدّة خصائص لا يمكن فصلها عن الدّوافع والأهداف التي وضعوها لأنفسهم، ويمكن إجمالها فيما يلي:

1. **الشّمول**: "لأنها تناولت سائر الدراسات الشرقية من علم وفن وأدب وتاريخ وفلسفة وعمارة وآثار، كما أنّ هذه الدراسات لم تقتصر زماناً على فترة تاريخية محددة ولكنها تناولت الشرق القديم والحديث، وأما مكان هذه الدراسات فإنها قد شملت الشرق بكامله ولم تقتصر على الشرق الأوسط فقط، والسبب في ذلك يعود إلى اهتمام بريطانيا السياسي بالهند وجنوب شرق آسيا، غير أنّ مصالحها السياسية المُتجدِّدة دفعتها إلى التّركيز على منطقة الشرق الأوسط إبان وبعد الحرب العالمية الأولى لأهمية قناة السويس الإستراتيجية، ولاكتشاف النفط بكميات ضخمة في هذه المناطق، ولاتّساع المبادلات التجارية بينها وبين أقطار الخليج والسعودية والهند"[٣]، كما أنّ الدافع الديني أدّى بهم إلى دراسة أديان الشرق، والتركيز على الدين الإسلامي.
2. **التّخصّص**: إذ نشأت التّخصُّصيّة نتيجة للاحتياجات البريطانية أيام التّوسُّع الاستعماري، فبرزت الحاجة إلى وجود مستشرقين متخصّصين في كلّ مجال من مجالات الدولة

---

(١) حسن، محمد خليفة، أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (عمادة البحث العلمي)- الرياض، ط1، 2000م، ص23-25.

(٢) هنا ذِكر لأبرز خصائص الاستشراق البريطاني، وهذا لا يُنافي وجود هذه الخصائص عند مستشرقي دولٍ أخرى.

(٣) الحاج، ساسي سالم، الظاهرة الاستشراقية، ص152.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المُستَهدَفة وعلومها وخاصة بحلول عام 1900م؛ حيث إن الاستتخدام الأكاديمي من قِبَل بريطانيا لأغراض استعمارية كان نتيجة حاجتها إلى التّخصُّصية في الدراسات، لغوية، دينية، تاريخية.. [١]، حيث اعتنى بعض المستشرقين بالفكر السياسي الإسلامي، مثل: المستشرق "سيمون أوكلي Simon Ockley" (1678– 1720)، الذي كتب عن التاريخ الثقافي والسياسي الإسلامي [٢]، وآخرون بالآداب العربية كالمستشرق "وليم رايت William Wright"(1830– 1889م)، الذي نشر كتاب **الكامل** للمبرد وترجم **كليلة ودمنة** وألف في النحو العربي وغير ذلك [٣]، وتخصّص البعض بالآثار الإسلامية، أو بالخطوط الشّرقية، كالمستشرق "ف. ج. شتاينجاس F. J. Steingass" (1835– 1903)، الذي ألّف مجموعة من الدراسات عن تاريخ الخطوط والكتابات الساميَّة [٤]، كما اعتنى بعضهم بدراسة جغرافيّة البلاد المَعنيّة، أو بالتاريخ الإسلامي، وغيرها من العلوم، أما التّخصّص بالدراسات الإسلاميّة فقد كان تقريباً بحلول سنة 1896م، وذلك زمن احتلال بريطانيا للهند وتعرّضها لمقاومة المسلمين الهنود آنذاك، فاحتاجت بريطانيا إلى وجود دارسين للدين الإسلامي وللشعب الهندي وبيئته [٥]، وعموماً نشأ التّخصّص في مختلف المجالات بحلول عام 1900م.

3. **المؤسسية:** وإن كان الأمر لا يخلو من وجود استشراق فردي، إلا أنّه تمّ تأسيس جمعيات وهيئات تُعنى بدراسات المُستَشرقين، والكثير من تلك المؤسسات الاستشراقية اهتمّت بتطوير إصدارات المستشرقين كما وحّدت جهودهم في اتجاهٍ علميّ وقد تبنّت بعض المجامع الكنسية الإنفاق على إصداراتها، ومن تلك المؤسسات الاستشراقية:

- رابطة المستشرقين البريطانيين[٦] Association of British Orientalists.
- الجمعية الملكية الآسيوية Royal Asiatic Society.
- مركز الشرق الأوسط للدراسات العربية Middle East Centre for Arab Studies (MECAS).
- المركز العربي البريطاني The Arab British Centre.

---

(١) McLoughlin, Leslie, In A Sea of Knowledge: British Arabists in the Twentieth Century, p.25.

(٢) العقيقي، نجيب، المستشرقون، ج2، ص46.

(٣) المرجع السابق، ج2، ص63.

(٤) المرجع السابق، ج2، ص64.

(٥) McLoughlin, Leslie, In A Sea Of Knowledge: British Arabists In The Twentieth Century, p. 24.

(٦) لم تعد موجودة الآن.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهناك مؤسسات تُعنى بتدريس العربية، مثل:

- تدريس العربية كلغة أجنبية Teaching Arabic as a Foreign Language (TAFL).
- الجمعية البريطانية لمدرّسي العربية British Association of Teachers of Arabic (BATA).

وهناك العديد من المجلات الاستشراقية، مثل:

- المجلة البريطانية لدراسات الشرق الأوسط British Journal of Middle East studies.
- صحيفة الجمعية الملكية الآسيوية Journal of Royal Asiatic Society.

المطلب الرابع: مقارنة بين الاستشراق البريطاني والاستشراق الألماني[١]

يُعَدُّ نشوء الاستشراق الألماني سابقاً لنشوء الاستشراق البريطاني، وكذلك يُعَدُّ من أهم وأثرى الدراسات الاستشراقية الغربية، ويُؤَرَّخ لأول محاولة لتدريس العربية في ألمانيا سنة 1613م على يد كريستمان الذي ألف كتاباً لتعليم كتابة الحروف العربية، وأما أول مَن درس العربية والحضارة الإسلامية ودرّسهما رسميّاً، هو المستشرق يوهان جاكوب رايسكه Johnan Jacob Reiske (1716– 1774م)، فهو يُعَد مؤسس الدراسات العربية والإسلامية في ألمانيا، وتبعه المستشرقون من بعده[٢].

وتميّز الاستشراق الألماني بعدّة مزايا منها:

1 – أن الاستشراق الألماني كان الأقل خضوعاً لغايات سياسية واستعمارية، من الاستشراق البريطاني، حيث لم يُتَح لألمانيا استعمار البلاد العربية والإسلامية كما أُتيح لبريطانيا، وهذا لا يعني أنهم لم يرغبوا في الاستعمار، إلا أنّ تلك الرّغبات لم تُعلَن إلا بعد الوحدة الألمانية سنة 1840م، حيث كانت ألمانيا مُختنِقة من الحصارات البريطانية والفرنسية والنمساوية، واتّجهت ألمانيا إلى إفريقيا لانتزاع بعض الأقاليم، ثم إلى آسيا التي كانت تحت الحكم العثماني، وتحالفت ألمانيا مع الدولة العثمانية لمواجهة خطر بريطانيا وفرنسا، واستعانت ألمانيا في

---

(١) هذه الفكرة مأخوذة من تعليقات فضيلة الدكتور محمد خازر المجالي على هذه الدراسة بتاريخ 2010/8/2م، وتم اختيار الاستشراق الألماني لأسبقيّته، ولغزارة إنتاج المستشرقين الألمان فيما يتّصل

(٢) بالتظين: الإبسلاميجد، الاستشراق الألماني أهم من الإنجليزي والفرنسي...لكنه أقل انتشاراً عربياً . انظر: 3aql.maktoobblog.com/644952

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك بالمستشرقين الألمان وعلماء الدراسات العربية والإسلامية. فلم تكن ألمانيا إمبراطورية استعمارية كما كانت بريطانيا(١).

2 - نتيجة لما سبق، كانت دراسات المستشرقين الألمان أقل تَعَصُّباً من دراسات المستشرقين البريطانيين.

3 - كذلك تميّز الغالب منهم –أي المستشرقون الألمان– بمنهجيّة علميّة دقيقة، أصبحت نموذجاً يُحتَذى به، مثل: تحقيق رايسكه لتاريخ الطبري، فقد كانت منهجيّته في التحقيق على درجة عالية من التميُّز والدّقّة(٢).

4 - بذل العديد من المستشرقين جهوداً واضحة في صناعة الوئام بين الثقافات، وكانوا وسائط لتعريف الغرب بالإسلام والثقافة الإسلامية، من خلال دراساتهم وبحوثهم، أما دراسات المستشرقين البريطانيين فلم تخلُ من تلك الجهود إلا أن التّحيُّز بدا واضِحاً في دراساتهم بسبب دور بريطانيا غير المسبوق في السياسات الاستعمارية(٣).

---

(١) انظر: السيد، رضوان، المستشرقون الألمان: النشوء والـتأثير والمصائر، دار المدار الإسلامي، بيروت– لبنان، ط1، 2007م، ص7، وأيضاً: شبر، ماجد، الاستشراق الألماني أهم من الإنجليزي والفرنسي...لكنه أقل انتشاراً عربياً، انظر: 3aql.maktoobblog.com/644952، وأيضاً: جينكينز، جينفر، الاستشراق الألماني: مدخل، ترجمة: غسان نامق، انظر: alnoor.se/article.asp?id=825525.

(٢) انظر: شبر، ماجد، الاستشراق الألماني أهم من الإنجليزي والفرنسي...لكنه أقل انتشاراً عربياً . انظر: 3aql.maktoobblog.com/644952

(٣) انظر: النملة، علي بن إبراهيم، عوامل التأثر والتأثير في العلاقات بين الشرق والغرب: العرب والألمان نموذجاً. انظر:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث: ترجمة جيمس روبسون

بعد البحث الدقيق والعناء في محاولة تحصيل شيء في حياة المستشرق جيمس روبسون، استطعتُ في نهاية المطاف تحصيل أهمّ المعلومات من خلال مراسلتي مع الكنيسة المتّحدة الحرّة في اسكتلندة عبر البريد الإلكتروني، ومراسلتي لمركز ماكدونالد لدراسة الإسلام والعلاقات المسيحية – الإسلاميّة في الولايات المتّحدة الأمريكية، ومن موسوعة who was who، ومن جامعة جلاسجو البريطانية، وفيما يلي ترجمة روبسون:

- **حياته الشّخصيّة:**

هو جيمس تشارلز روبسون James Charles Robson ابن الكاهن الدكتور الذي كان وزيراً في الكنيسة المتحدة الحرة في اسكتلندة ووُلِد –أي الأب– عام 1861م، وأمه ماري جين براونلي[١] Mary Janw Brownly.

وُلد جيمس روبسون في 30 نوفمبر من عام 1890م في بورت جلاسجو، وتزوّج في 9 سبتمبر 1919م من آني ابنة جون كويننجهام في دونبلين [٢]، وله ابن واحد وابنة واحدة[٣]. ومن أنشطة الاستجمام لديه: العمل بالحديقة[٤].

- **دراسته:**

درس في أكاديميّة "ألبرت رود Albert Road Academy"، وأكاديميّة "ألوا Alloa Academy"، و"مدرسة سترلينج الثانوية Stirling High School"، و"كلية إنفرنس Inverness college"، و"كلية الثالوث المقدّس Trinity College" في جلاسجو، و"جامعة جلاسجو University of Glasgow"، التي التحق بها عام 1909م ونال درجة الماجستير عام بتاريخ 18 يونيو 1912م قسم أ بدرجة شرف في اللغات السامية[٥].

وقد حاز أيضاً عام 1940م درجة الدكتوراه في الأدب من جامعة جلاسجو، وكانت رسالته[٦] المقدمة لنيل الدرجة بعنوان: "الأصل في سماع الموسيقى Tracts on listening to Music"، وهي عبارة عن تحقيق مخطوطة.

---

(١) الكنيسة المتحدة الحرة في اسكتلندة: United Free Church of Scotland، وقد راسلتها عبر البريد الالكتروني وزوّدني بالمعلومات السكرتير العام فيها وهو جون فالتون يوم 12/1/ 2009.

(٢) المرجع السابق.

(٣) موسوعة مَن كان مَن: who was who، وزودني بالمعلومات قيّم مكتبة جامعة مانشستر.

(٤) المرجع السابق.

(٥) الكنيسة المتحدة الحرة في اسكتلندة: United Free Church of Scotland.

(٦) المرجع السابق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحصل على درجة ال دكتوراه الفخرية في اللاهوت من "جامعة سانت أندروز University of Saint Andrews"، وحصل على شهادة الماجستير الفخرية من "جامعة مانشستر University of Manchester"[١]، ولا تتوافر لدي معلومات عن سنة الحصول على الدرجات العلمية السابقة.

- **المناصب العلمية والدينية التي تقلَّدها:**

كان جيمس روبسون وزيراً في الكنيسة المتحدة الحرة، غير أنه خدم رعايا الكنيسة لفترة قصيرة جداً[٢].

عُيِّن جيمس روبسون سنة 1915–1916م مساعداً لأستاذ اللغة العبرية بجامعة جلاسجو University of Glasgow، وبعد ذلك وتحديداً في المدة 1916–1919م أدى خدمة الحرب مع جمعية الشبان المسيحيين Young Men's Christian Association[٣] في بلاد ما وراء النهرين والهند، وتخلل تلك المدة تعيينه محاضراً في اللغة الإنجليزية في كلية فورمان المسيحية Foreman Christian College بلاهور– باكستان سنة 1918–1919م، وفي 13 يوليو 1919م كُلِّف من قبل مجلس الكنيسة المشيخية في بومباي بالعمل في إرسالية كيث بالشيخ عثمان [٤] في عدن، ثم في 14 يونيو 1927م أُدخل زميلاً ووريثاً في كنيسة شاندون Shandon Church (غرب اسكتلندة)، واستقال إثر تعيينه محاضراً في اللغة العربية بجامعة جلاسجو University of Glasgow في 3 سبتمبر 1928م، وفي عام 1948م عُيِّن أستاذاً للغة العربية بنفس الجامعة المذكورة، واستقال منها بتاريخ 30 سيبتمبر 1949، وذلك لتعيينه أستاذاً للغة العربية في جامعة مانشستر University of Manchester في سنة 1949م[٥].

---

(١) موسوعة من كان من: who was who.

(٢) الكنيسة المتحدة الحرة في اسكتلندة: United Free Church of Scotland.

(٣) منظمة تبشيرية لا تزال موجودة وتُعرف الآن باسم جمعية الشبان المسيحيين والتي تُعرَف اختصاراً ب: Y.M.C.A.

(٤) منظمة تبشيرية بريطانية تؤدي مهامها التنصيرية في اليمن.

(٥) الكنيسة المتحدة الحرة في اسكتلندة: United Free Church of Scotland، قسم الأرشيف في مكتبة جامعة جلاسجو التي راسلتها عبر البريد الإلكتروني بتاريخ 2009/3/6 ووردني الرّد من: كلير دانيال Claire Daniel.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان عضواً في الجمعية الشرقية في جلاسجو Glasgow Oriental Society، والجمعية الملكية الآسيوية Royal Asiatic Society، ورابطة المستشرقين البريطانيين Association of British Orientalists[١].

- **فيما يتعلق بفترة عمله وزيراً:**

عُيّن وزيراً في شاندون Shandon بدانبارتورشاير Danbertourshire في المدة الواقعة ما بين 1926- 1928م، ثم عيّن سكرتير تسجيل الجمعية الاستشراقية بجامعة جلاسجو في الـمدّة الممتدة ما بين 1931-1949م، وكذلك في الـ مدّة ما بين 1959- 1968م. وعُيّن مناقشاً خارجياً للرسائل في الدراسات العليا في:

مانشستر Manchester 1933- 1936، 1942- 1945، 1961- 1964.

أدنبره Edenburgh 1945- 1947، 1952-1954، 1961-1963.

سانت أندروز St Andrews 1957-1960.

أبردين Aberdeen 1960- 1962.

جلاسجو Glasgow 1960،1962.

لندن London 1955- 1966.

وأحياناً للدكتوراه في كامبرج بملبورن، كما كان زميلاً فخرياً في الجمعية البريطانية للدراسات الشرق أوسطية[٢].

- **الوفاة:**

توفي بتاريخ 9يناير 1981[٣][٤]، بعد حياة حافلة بالتدريس والتأليف في مختلف العلوم والموضوعات والتي كان من أبرزها الدين الإسلامي عامةً والحديث النبوي خاصّة.

- **إنتاجه العلمي:**

لم أجد مرجعاً معيَّناً يضمّ عناوين أعماله، وإنما استطعت الوصول إلى إنتاجه العلمي عبر المواقع الأكاديمية على الإنترنت [٥]، وعبر بحثي في مواقع الكتب الإنجليزية، ومن

---

(١) الكنيسة المتحدة الحرة في اسكتلندة: United Free Church of Scotland.

(٢) موسوعة من كان من: who was who.

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر: جامعة جلاسجو: University of Glasgow، www.special.lib.gla.ac.uk ومركز ماكدونالد لدراسة الإسلام والعلاقات المسيحية الإسلامية: Macdonald Center for the study of Islam and Christian- Muslim Relations، حيث راسلتها عبر البريد الالكتروني وزودني بالمعلومات ستيفن بلاكبيرن، مدير المكتبة ومساعد الكلية في مجال المخطوطات، يوم 2009/1/5.

(٥) الموقع الذي احتوى على بيبلوغرافيا للحديث:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السيرة الذاتية التي حصلتُ عليها ، حيث وجدتُ أنّ إنتاجه العلمي تنوَّع ما بين تحقيقٍ وإصدار أبحاث علميّة نُشِرَت في المجلاّت الاستشراقية، مثل: مجلة العالم الإسلامي، ومجلة الجمعية الملكيّة الآسيويّة، ومجلة الدراسات السّاميّة، وغيرها.

وقد بلغ مجموع هذا الإنتاج –حسب حصري له– ست ين بحثاً؛ واحد وعشر ون منها متعلِّقٌ بالحديث النبوي وعلومه، والباقي مُرتبط بعددٍ من المو ضوعات المختلفة المُتعلِّقة بالإسلام.

وجميعها فيما يبدو أنها كُتِبَت في المدّة الواقعة ما بين 1923–1971م، ولا يظهر أنّ روبسون كتب بعد هذا التاريخ الأخير شيئاً حتّى وفاته سنة 1981م.

ولكي تتّضح الصّورة أكثر، أذكرُ فيما يلي عناوين بحوثه التي استطعتُ الحصول على أكثرها، مرتَّبةً حسب موضوعاتها وكل مجموعة منها مرتبة ترتيباً زمنيّاً حسب نشرها.

- **الأبحاث المُتعلِّقة بالحديث النبوي:**

1. رواية صحيح مسلم، مجلّة الجمعيّة الملكيّة الآسيوية، 1949، من ص49 إلى ص60.

The Transmission of Muslim's Sahih, JRAS, 1949, 49-60.

2. الحديث–الأساس الثاني للإسلام، مجلة العالم الإسلامي، 1951، مجلد 41، العدد1، من ص22 إلى ص 33.

Tradition- the second foundation of Islam, Muslim World, 1951, Volume 41, no.1, pp.22-33.

3. الحديث: بحثاً وتصنيفاً، مجلة العالم الإسلامي، 41، 1951، من ص98 إلى ص 112.

Traditional: Investigation and Classification, Muslim World, XLI (1951), 98-112.

4. مادة الحديث، مجلة العالم الإسلامي، 41، 1951، من ص166 إلى ص 180(1).

The Material of Tradition, Muslim World, XLI (1951), 166-180.

5. الحديث الإسلامي: مسألة التعديل، الجمعية الأدبية الفلسفية بجامعة مانشستر، 1951–52، ص84–102.

Muslim Tradition: the question of Authenticity, Memories and Proceedings of the Manchester Literary and Philosophical Society, XCLIII (1951-52), 84-102.

6. رواية سنن أبي داود، نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية 14 (1952): 579–588.

---

www-personal.umich.edu/~beh/islam hadith bibl.html

(١) هذا البحث عبارة عن جزأين؛ مادة الحديث 1، ومادة الحديث 2.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

The Transmission of Abu Dawud's Sunan, BSOAS 14 (1952): 579-588.

7. رواية جامع الترمذي، نشرة مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية 16 (1954): 258-270.

The Transmission of Tirmidhi’s Jami', BSOAS 16 (1954): 258-270.

8. صياغة حديث المسلمين، صحيفة جمعية جلاسجو الشرقية، 6، (1955-56)، 38-50.

The form of Muslim Tradition, Transactions of the Glasgow University Oriental Society, VI, (1955-56), 38-50.

9. استخدام ابن إسحاق للإسناد، نشرة مكتبة جون رايلاندز، مجلد 38، العدد 2، مارس 1956، من ص449 إلى ص 465.

Ibn Ishaq's use of Isnad, Bulletin of the John Rylands Library, Volume 38, number 2, March 1956, pp.449-65.

10. المعايير المُطبَّقة من قبل المحدثين، نشرة مكتبة جون رايلاندز، مجلد 43، العدد 2، من ص459 إلى ص 479.

Standards Applied by Muslim Traditionists, Bulletin of the John Rylands Library, Volume 43, number 2, pp.459-79.

11. رواية سنن النسائي، مجلة الدراسات السامية 1، (1956): 38-59.

The Transmission of Nasa'i's Sunan, JSS 1, (1956): 38-59.

12. رواية سنن ابن ماجه، مجلة الدراسات السامية 3 (1958): 129-141.

The Transmission of Ibn Maga's Sunan, JSS 3 (1958): 129-141.

13. أنواع الحديث الحسن، مجلة الدراسات السامية، 6 (1)، الصفحات: 47-61.

Varieties of the Hassan Tradition, Journal of Semitic Studies, 6 (1), pp.47-61.

14. أحاديث الآحاد، مجلة الدراسات السامية، 1964، الصفحات: 327-340.

Traditions from Individuals, Journal of Semitic Studies, 1964, pp.327-340.

15. الإسناد في الحديث الإسلامي، صحيفة الجمعية الشرقية بجامعة جلاسجو ، 15، 1965، ص15-26.

The Isnad in Muslim Tradition, Transactions of the Glasgow University Oriental Society, XV (1965), pp.15-26.

16. مشكاة المصابيح، ترجمة إنجليزية مع ملاحظات توضيحية، (المؤلف: الخطيب التّبريزي، محمد بن عبد الله)، لاهور، م. أشرف.

Mishkat al-Masabih, English Translation with explanatory notes, (Author: Khatib al-Tabrizi, Muhammad ibn 'Abd Allah, fl. 1337), Lahore, M. Ashraf, (1953-1965).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

17. مجموعة الأحاديث الإلهية عند الشيعة، صحيفة الجمعية الشرقية بجامعة جلاسجو، 22، 1970، ص1-13.

A Shia Collection of Divine Traditions, Glasgow University Oriental Society Transactions, 22, 1970, pp.1-13.

18. الحديث، الموسوعة الإسلامية، طبعة جديدة ليدن، مجلد 3.

Hadith, in the Encyclopedia of Islam, New ed. Leiden, Vil. 3, E.J. Brill, 1971, pp.23-9.

19. الجرح والتعديل،

Al-Djarh wa'l-Ta'dil, E12, ii, 462.

- **الأبحاث ذات الصلة بالدين الإسلامي:**

1. المسيح في الإسلام، لندن، 1929.

Christ in Islam, London 1929.

2. الإعجاز في القرآن، صحيفة الجمعية الشرقية بجامعة جلاسجو، (1929-33).

3. السحر الطريف عند عامة المسلمين، مجلة العالم الإسلامي، مجلد 24، الإصدار الأول، التاريخ: يناير 1934، الصّفحات: من 33- 43.

Magic Cures in Popular Islam, The Muslim World, Volume 24, Issue 1, Date: January 1934, Pages: 33-43.

4. هل تكلم الكتاب المُقَدّس عن النبي محمّد؟، مجلة العالم الإسلامي، مجلد 25، الإصدار الأول، التاريخ: يناير 1935، ص17- 26.

Does the Bible speak of Muhammed?, The Muslim World, Volume 25, Issue 1, Date: January 1935, Pages: 17- 26.

5. محمّد في الإسلام، مجلة العالم الإسلامي، مجلد 25، الإصدار الثالث، التاريخ: يوليو 1935، ص226-235.

Muhammad in Islam, The Muslim World, Volume 25, Issue 3, Date: July 1935, Pages: 226-235.

6. صلوات على النبي، مجلة العالم الإسلامي، مجلد 26، الإصدار الرابع، التاريخ: أكتوبر 1936، ص365-371.

Blessings on the Prophet, The Muslim World, Volume 26, Issue 4, Date: October 1936, Pages: 365-371.

7. هل جحيم المسلمين أبديّة؟ مجلة العالم الإسلامي، مجلد 28، الإصدار الرابع، التاريخ: أكتوبر 1938، ص386-393.

Is the Muslim Hell eternal?, The Muslim World, Volume 28, Issue 4, Date: October 1938, Pages: 386-393.

8. التسليم في الإسلام، صحيفة جمعية جلاسجو الشرقية، (1938-39).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

9. التعاليم المحمدية عن المسيح، مجلة العالم الإسلامي، المجلد 29، الإصدار 1، التاريخ: يناير 1939، الصفحات: 37-54.

Muhammadan teaching about Jesus, The Muslim World, Volume 29, Issue 1, Date: January 1939, Pages: 37-54.

10. المسيح في الإسلام، مجلة العالم الإسلامي، (1939).

11. حكايات المسيح ومريم، مجلة العالم الإسلامي، المجلد 44، الإصدار الثاني، التاريخ: أكتوبر 1950، الصفحات: 236-243.

Stories of Jesus and Mary, The Muslim World, Volume 40, Issue 4, Date: October 1950, Pages: 236-243.

12. الإسلام اصطلاحاً، مجلة العالم الإسلامي، المجلد 44، الإصدار الثاني، التاريخ: إبريل 1954، الصفحات: 101-109.

Islam as a Term, The Muslim World, Volume 44, Issue 2, Date: April 1954, Pages: 101-109.

13. شرط الإسلام، مجلة العالم الإسلامي، (1954).

14. الغزالي والسنّة(١)، مجلة العالم الإسلامي، المجلد 46، الإصدار الثالث، التاريخ: يوليو 1956، الصفحات: 324-333.

Al-Ghazali and the Sunna, The Muslim World, Volume 46, Issue 4, Date: October 1955, Pages: 324-333.

15. من عادات المسلمين، الجمعية الشرقية بجامعة جلاسجو 18، (1959- 61).

16. القرآن، الدراسات السامية 4، (1959).

17. الإسلام، معجم الأديان المقارنة، لندن، 1970.

18. بشائر الخلاص في القرآن- في الإنسان وخلاصه، دار نشر جامعة مانشستر، 1973.

- **أبحاث ذات الصلة بمراجعات كتب:**

1. مراجعات كتاب، بقلم جيمس روبسون، مجد خضوري، ل. ب. إيلويل ساتون، دينيس بالي مجلة العالم الإسلامي، المجلد 46، الإصدار الثالث، التاريخ: يوليو 1956، الصفحات: 272-277،.

Book reviews, by: James Robson, Majid Khadduri, L. P. Elwell-Sutton, Denis Baly Muslim World, Volume 46, Issue 3, Date: July 1956, Pages: 272-277.

2. مراجعات، مجلة الدراسات السامية، 1964.

Reviews, Journal of Semitic Studies, 1964.

---

(١) يتحدّث هذا البحث عن الإمام الغزالي وتصوُّفه وأنه يرى أن للأمور بواطن.. وهكذا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **أبحاث ذات الصلة بموضوعات أخرى:**

1. إيون كيث[١]– صقر الجزيرة العربية، لندن، 1923.

Ion Keith-Falconer of Arabia, London 1923.

2. في طرف الصّحراء، ادنبره، 1928.

On the edge of the desert, Edinburgh 1928.

3. تضحية مُنتَصِر: رؤية مسيحية، مجلة العالم الإسلامي، المجلد 38، الإصدار 3، التاريخ: يوليو 1948، الصفحات: 157–162.

Vicarious Sacrifice: The Christian view, The Muslim World, Volume 38, Issue 3, Date: July 1948, Pages: 157-162.

4. عيون شبه الجزيرة العربية، 1923.
5. آلات الطرب العربية القديمة، 1938.
6. الأحمدية في كتاب دين الشرق الأوسط تأليف آريري، دار نشر جامعة كمبريدج 1969.
7. عدن وشعبها، صحيفة جمعية جلاسجو الشرقية، (1923–28).
8. أولياء العرب، صحيفة جمعية جلاسجو الشرقية، (1923–28).
9. معنى لفظة المُعلَّقات، مجلة الجمعية الملكية الآسيوية، (1936).
10. استعمال عربي، مجلة الجمعية الملكية الآسيوية، (1937).
11. مقامات الشطرنج في مكتبة جون ريلاندز، نشرة مكتبة ريلاندز،(1953).
12. معنى الغناء، مجلة جامعة مانشستر، (1947– 53).
13. الاحتفال بشهر محرم، مجلة هيبرت، (1955– 56).
14. آلات الموسيقى العربية، الثقافة الإسلامية 32، (1958).

- **المخطوطات المحققة:**

1. مقدمة في علوم الحديث، لكتاب المدخل إلى معرفة الإكليل للحاكم أبي عبد الله محمد ابن عبد الله النيسابوري، لندن، 1953.

An Introduction to the Science of Tradition, being Al-Madkhal ila ma’rifat al-iklil by Al Hakim Abu ‘Abdallah Muhammad b. Abdallah al Naisaburi, London, 1953.

2. الآلات الموسيقيّة العربية القديمة: كما وُصِفَت من قِبَل المُفَضّل ابن سلامة (القرن التاسع) في مخطوطة اسطنبول الفريدة لكتاب الملاهي بخطّ ياقوت المُستعصِمي (ت 1298).

Ancient Arabian Musical Instruments: As Described by Al-Mufaddal Ibn Salama (9th century) in the unique Istanbul Manuscript of

---

(١) سبقت ترجمته ص 41.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

the Kitab Al-Malahi in the handwriting of the Yaqut Al-Musta'simi (D.1298)., Civic Press, (1938).

3. الأصل في سماع الموسيقى، ذمّ الملاهي لابن أبي الدنيا وبوارق الإلماع لمجد الدين الطّوسي الغزالي، مجلة الجمعية الملكية الآسيوية، 1938.

Tracts on listening to Music, being Dhamm al-Malahi Ibn Abi lDunya and Bawariq al-Ilma' by Majd al-Din al-Tusi al-Ghazali, the Royal Asiatic Society (1938).

4. مخطوط عن السحر، صحيفة جمعية جلاسجو الشرقية، (1944−46).

5. مخطوط مغربي عن سماع الموسيقى، الثقافة الإسلامية، 1952.

- **فهارس المخطوطات:**

1. فهرس المخطوطات الشرقية في جامعة جلاسجو، الدراسات السامية والشرقية، 1945.

2. فهرس المخطوطات الشرقية لآلات الطرب في مكتبة جامعة جلاسجو، وقد نشره مولر وير، الدراسات السامية الشرقية، جلاسجو 1945.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني: منهج روبسون في الحديث النبوي
وموقفه من مكانة الكتب الستة ومصنِّفيها

المبحث الأول: منهج روبسون في الحديث النبوي

من الأهمّية بمكان قبل الحديث عن المنهج بيانُ الجوّ العام للدراسات الاستشراقية البريطانية الذي نمت فيه كتابات روبسون وجاءت جزءاً لا يتجزّأ منه.

لا يمكن إغفال الأساس الفكري والدّينيّ الذي قامت عليه الدراسات الاستشراقية المرتبطة بالدّين الإسلاميّ، إذ إنها تُشكّل اللبنة الرئيسة التي أثّرت على المستشرقين، ووجّهت كتاباتهم المتعلّقة بالإسلام، وفيما يخصّ روبسون؛ فإنّ هذا الأثر بيِّنٌ في كتاباته حيث نشأ في أحضان الكنيسة؛ فقد كان أبوه كاهناً، كما درس اللاهوت ودرس النّصرانيّة في كليّة الثالوث المقدّس، ولا شكّ ما لهذا من أثر على توجّهاته وأفكاره، وتشكيل عقليّة تتّسم بالعداء للإسلام وتعاليمه، كما كان أيضاً مبشِّراً ورحل إلى العديد من أقطار العالم الإسلاميّ، كالباكستان واليمن والهند، ضمن إطار عمله في منظمات الت نصير البريطانية ومؤسساته، وهذا يعني: أنه اختلط بالمسلمين عن قرب، كما تميّزت تلك المدة التي كتب روبسون فيها أبحاثه بحدوث صراعات دامية، واستمرار انحدار الأوضاع في العالم الإسلامي وتفاقم الأزمات، وشيوع الجهل والتّبعية بين أبناء المسلمين، ودخول الصراع بين العالمين الإسلامي والغربي مرحلة الصّراع الفكري، إلى جانب الغزو العسكري، وسيطرة الدول الاستعمارية الأوروبية على معظم بلاد العالم الإسلامي، كما كانت الظروف السياسية آنذاك تسير لصالح الدول العظمى، ومنها: بريطانيا، وقد مرّت الأمة الإسلامية –في تلك المدة– بأحداثٍ جسام أولها الحرب العالمية الأولى (1914–1918م)، تلاها سقوط الخلافة الإسلامية سنة 1924م، وإعلان تركيا دولة علمانية، ومن ثمّ تمهيد بريطانيا لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وتوالي حدوث الثّورات الشّعبية الرّافضة للاحتلال المقاومة له، إلى أن تمّ زرع الدّولة العبرية في قلب العالم الإسلامي، وأثناء ذلك: حدوث الحرب العالمية الثانية (1939–1945م)، ثم بدء تشكيل حركات المقاومة في البلاد المحتلّة، ثمّ نيل الدّول العربية استقلالها خلال الخمسين عاماً الماضية، ومضاعفة جهود الدّول الاستعمارية فيما تقوم به من غزوٍ فكري لمواجهة المسلمين، وكان لبريطانيا –موطن روبسون– أثرٌ بالغٌ على مجرى الأحداث السياسية التي مرّت بها دول العالم الإسلاي، إضافة إلى تلك المؤثّرات توفُّر قناعات ذاتيّة لدى روبسون بصحّة ما يصدر عنه، كلّ تلك العوامل ساهمت في تشكيل العقلية الغربية الدارسة للإسلام، ولا يقتصر تأثيرها على روبسون فقط، ويتّضح هذا التّأثُّر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من خلال دراساته، حيث إنه يتكلّم من منطلقات وثوابت يسعى من خلالها إلى تحقيق أهداف مرسومة بدقّة، وهذا يظهر من خلال دعواته وأفكاره.

المطلب الأول: مُنطَلَقات روبسون الفكرية تجاه الحديث النبوي

<u>أولاً:</u> دعوته المسلمين إلى العلمانية واتّباع تركيا الحديثة في ذلك ، إذ يقول: "في العهود الحديثة شعر كثيرٌ من المسلمين بأنّ الحديث عائقٌ؛ لأنّهم يدركون بأنه ليس في الحقيقة رواية موثوقة لما قاله النبي وفعله، وبأنّ كثيراً من التّعاليم الأخلاقيّة الموجودة فيه لا تتلاءم والعالم الحديث، وأكبر انفصالٍ ملحوظ عن التّشريع الإسلاميّ قد حدث في تركيا حيث تمّ إيقاف العمل به والمصلحون يسيرون إلى الأمام في الوقت الحاضر في معظم الأقطار العربية"(١).

يتّضح من كلام روبسون السّابق أنه يزعم –كما لو كان أمراً مُسلَّماً به– أنّ المسلمين شعروا أنّ السّنّة عائقٌ، ويعود ذلك الاعتقاد إلى سببين؛ الأول: أنّ المسلمين وجدوا أنه لا يمكنهم الوثوق بأي حديث من حيث صحّة نسبته إلى النبي ﷺ؛ والسبب الثاني: أن في هذا العصر الحديث أصبحت التّعاليم الأخلاقية التي تدعو إليها السُّنّة لا تتلاءم مع العالم الحديث.

يترتَّب على ذلك أن الحديث أصبح لا يصلح لهذا الزمان ولهذه العصور الحديثة، وأنّ ما يدعو إليه من أخلاق لا يمكن التّمسّك بها وتطبيقها في هذا العصر، فلتتّبع الدول الإسلاميّة الطريق الذي سلكته تركيا التي تُعدّ نموذجاً للدّولة التي حقّقت أكبر انفصال ملحوظ عن الشريعة الإسلامية، وتركها للحديث جانباً، والمُضيّ قُدُماً في هذا العصر الحديث؛ إذ قامت بفصل الدّين عن الحياة وأوقفت العمل بالشّريعة الإسلامية و تبنّت العلمانية، وهؤلاء الذين شاركوا بهذا العمل هم المصلحون وما زالوا يسيرون في مختلف الأقطار العربية على خطى تركيا.

إنّ التحدّث عن عدم صلاحية تطبيق الأخلاق التي يدعو إليها الحديث النّبويّ، وكأنه من المسلّمات والبدهيّات أمرٌ خاطئ، فهل أعرَبَ المسلمون عن ضيقهم مما يدعو إليه الحديث النّبويّ؟ أم أنّ عنده بيّنة في ذلك فيُخرِجها لنا ليُدَلِّل على كلامه أنّ المسلمين شعروا بضيق؟

---

(١) Robson, James, The Muslim Tradition: the question of Authenticity, Memories and proceedings of the Manchester literaryand philosophical society XLLIII (1951-52),p.101.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما هذه التّعميمات جعلت من كلامه حيّزاً للتّلاعب بالألفاظ، فهل كلّ المسلمين شعروا بما ذكره روبسون؟، فهذا الشعور المزعوم لا أساس له ولا أصل له بل هو افتراء وتكذيب للواقع وخروج عنه بل إن كافة الأقطار الإسلامية تحيا بتعاليم النبي ﷺ، ولم يرفض الحديث النّبويّ وتعاليم النبي ﷺ سوى المستغربون الذين يجهلون حقيقة هذا الدّين.

إنّ هذا من منهج الإسقاط عنده حينما ضاقت الشّعوب الغربيّة من تعاليم الكنيسة فثارت عليها وأنتج ذلك الثورة الفرنسية.

وإنّ دعوى روبسون أنه لا توجد رواية موثوقة لما قاله النبي ﷺ وفعله، يُناقضه الواقع العمليّ، فالمسلمون مُجمِعون على حجّيّة الحديث النبوي وعلى ثقتهم بصحّة أحاديث كثيرة في الصحيحين.

أما فيما يتعلّق بالأخلاق التي يدعو إليها الحديث النبوي، فهي صالحة لكلّ زمان ومكان وليس كما يدّعي روبسون، ولو حدّد روبسون ما هي التّعاليم الأخلاقيّة التي لا تُناسِب العالَم الحديث، فهل هي الربا والخمور والعلاقات المحرّمة؟ أهذه السلوكيات والأخلاق التي يدعو الحديث إلى تركها هي التي تعارض العالَم الحديث؟

اتّخذ روبسون من تركيا نموذجاً للدّولة المُتَحَضِّرة التي ما وصلت إلى ما هي عليه الآن من تقدُّم إلا عندما نحّت الحديث النبويّ وتبنّت العلمانية.

والعلمانية (secularism) تعني: فكّ الارتباطات الدستورية والقانونية حيث تمّ تجنُّب حدوث تداخُل بين الكنيسة والدولة[١].

ونادت العلمانية بالفصل بين الدولة والكنيسة، وقد أُرجِعت أصولها إلى ما هو منسوب إلى المسيح، ففي إنجيل متى (20:22) يقول المسيح: "دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله". مارس النصارى الأوائل هذا المفهوم بسبب الاضطهاد، كذلك أدّى الاضطهاد فيما بعد إلى نشوء قناعة بضرورة الفصل بين الكنيسة والدولة[٢].

وبرزت الفكرة –الفصل بين السلطتين السياسية والدينية– كحلّ لمشكلة النصارى؛ وهي مُشكلة التعايُش فيما بينهم في ظلّ الانقسامات التي شهدتها الكنيسة على مرّ التاريخ والتي أدّت إلى نشوء حروبٍ دينيّة في أوروبا خاصّة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر[٣].

---

(١) لويس، برنارد، الإسلام والغرب، ترجمة: قسم التأليف والترجمة بدار الرشيد، دار الرشيد– دمشق، بيروت، مؤسسة الإيمان، بيروت– لبنان، ط1، 1994م، ص182.

(٢) المرجع السابق، ص178.

(٣) المرجع السابق، ص178.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى برنارد لويس [١] أن لا حاجة للفصل بين الدين والدولة في الإسلام لأن هناك درجة عالية من الاستعداد للتسامح والعيش السّلمي مع هؤلاء الذين يُؤمنون بعقائد أخرى، فلم تظهر الحاجة مُلِحّة عند المسلمين كما كانت الحاجة مُلِحّة لدى النّصارى [٢]، أما في العلمانية فيقول لويس: "وفي ديانة العلمانية يبدو أن لا مكان للتسامح، ناهيك عن التعايش"[٣].

كانت العلمانية بالنسبة إلى العالم النّصراني الحل لمشكلة الصّراع الطويل والمُدَمِّر بين الكنيسة والدّولة، وقد تبنّتها أولاً الثورة الفرنسية والأمريكية، وهدفت العلمانية بشكلٍ رئيس إلى:

أولاً: منع الدولة من استخدام الدين من أجل فرض سلطتها.

ثانياً: منع استخدام رجال الدين سلطة الدولة من أجل فرض عقائدهم وقوانينهم على الآخرين.

وهذه مشاكل متعلِّقة بالنّصرانية في ذلك الوقت[٤].

ومن الجدير بالذكر أنّ تركيا أُجبِرت على إلغاء الشريعة الإسلامية وتبنّي العلمانية وليس بسبب ضيق المسلمين من تطبيق الشريعة الإسلامية، حيث أسّس أتاتورك الجمهورية التركية العلمانية انتقاماً من العثمانيين لرفضهم بيع فلسطين إلى الحركة الصّهيونيّة، ودولة روبسون التي كانت تُسمّى الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس لها ضلعٌ كبير في زجّ تركيا إلى هذا التّوجُّه بعد إسهامها في إسقاط الخلافة[٥].

---

(١) برنارد لويس Bernard Lewis (المولود عام 1916م): مستشرق أمريكي، بريطاني المولد، تخرّج من جامعة لندن مع مرتبة الشرف الأولى (1936م)، كما حصل على دبلوم الدراسات السامية من جامعة باريس (1937م)، والدكتوراه من جامعة لندن (1939م)، كما حصل على الدكتوراه الفخرية من الجامعة العبرية بالقدس (1974م). من المناصب التي شغلها: أستاذ الدراسات الخاصة بالشرق الأدنى في جامعة برنستون، وعضو دائم في معهد الدراسات المتقدّمة في برنستون- نيوجيرسي (1974م)، مساعد محاضر في التاريخ الإسلامي في مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن (1938م)، وأستاذ زائر في عدة جامعات أوروبية (1955-1969م)، وعضو شرف في الجمعية التاريخية التركية (1972م)، وفي وزارة الثقافة التركية (1973م)، ومن آثاره: أصول الإسماعيلية (كامبريدج 1976م)، العنصرية واللون الإسلامي (نيويورك 1971م) الإسلام في التاريخ (لندن 1973م)، الشيوعية والإسلام (الشؤون الدولية 1954م)، وغيرها. انظر: عقيقي، نجيب، المستشرقون، ج2، ص143-144.

(٢) المرجع السابق، ص183.

(٣) المرجع السابق، ص181.

(٤) المرجع السابق، ص191.

(٥) انظر: برنارد، لويس، الإسلام والغرب، ص 187- 189، وأيضاً: الحوالي، سفر، العلمانية: نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المُعاصِرة (رسالة ماجستير)، مكتب الطيب- مصر، ط 2، 1999م، ص536- 569.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي ظلّ غياب الحكم الإسلامي غابت قيم التسامح والتعايُش الديني والقيم الاجتماعية الصحيحة، وظهرت قيم أخرى تدّعي التسامح وتزعم أنها تدعو إلى التّعايُش، وهي في الواقع تهدف إلى إجبار المسلمين التّخلّي عن القيم الدّينيّة الأساسية التي لا غنى عنها لدى المسلمين، وإبعادهم عن دينهم قدر المُستطاع، بحجّة القضاء على التّعصُّب الدّيني.

يُلاحَظ عدم إدراك روبسون للأمور؛ إذ لو كان الإسلام عائقاً لتلاشى تدريجيّاً في ظلّ التّقدُّم والتّطوُّر الحضاري الذي –في زعم روبسون– لم يستطع الإسلام مجاراته، فللواقع أثبتَ خلاف ما يراه روبسون، بل إن المُصلحين–كما يُسمّيهم روبسون– اعترفوا بعد فشلهم أن لا حلّ لجميع القضايا إلا بـتطبيق الشريعة الإسلامية، ولم يُجْدِ تطبيق الفصل بين الدين والدولة نفعاً في تركيا أو في أوروبا بحسب شهادات الغربيين أنفسهم؛ يقول برنارد لويس: "ومن التناقض الباعث على الحزن، أنّ ما حدث في القرنين التاسع عشر والعشرين من تَبَنٍّ للدساتير الديمقراطية التي تكفل حقوقاً متساوية لكل المواطنين في الإمبراطورية العثمانية وفي إيران ومصر وأماكن أخرى قد أضعف مكانة الأقليات بدل أن يُقوّيها. فقد حُرِموا من الإمتيازات التي كانوا يتمتّعون بها في ظل الحكم الإسلامي، وفي الوقت ذاته، فشلت تلك الدساتير في ضمان الحريات والحقوق الجديدة التي تحدّثت عنها الدساتير، والتي برهنت على أنها وُلِدَت ميتة، وأنها حبر على ورق"(١).

بل وما زال الإسلام في انتشار، ودخول الأعداد الكبيرة في نطاق الدين إلى اليوم أكبر دليل على فشل الأنظمة العلمانية.

وإنّ تقدُّم تركيا لم يكن بفضل العلمانيّة والعلمانيّين، فبرصد الأوضاع يتّضح العكس من ذلك، ولا يلزم لأمة تريد التّقدُّم أن تفصل عقيدتها عن سياساتها، فاليابان والهند مثلاً لم تتخلّ إحداهما يوماً عن عقيدتها –البوذية والهندوسية– بل وتتمسّك بهما منذ زمنٍ، واحتلّتا مكانة مرموقة بين الدُّول المتقدِّمة.

فلا علاقة بالدين في وصول المسلمين إلى تلك الدرجة من الوهن والضّعف والتخلف عما وصلوا إليه سابقاً من التقدم والازدهار؛ يقول دوديانوس(٢): "جاء الإسلام مُخالِفاً لكثير من الأديان التي ضاعت حقيقتُها، ولكنه جاء مُنَزَّهاً عما لا يُعقَل من الخرافات والأباطيل وإن خالف المسيحيين في تقرير أن المسيح بشر لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً إلا بإذن الله، والإسلام مُكَمّل للإنسانية لا غموض فيه. وهو يُقَرّر الوحدانية فَسَلِمَ من التناقض والمعارضة

---

(١) لويس، برنارد، الإسلام والغرب، ص185.

(٢) أحد وزراء فرنسا السابقين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العقلية. الإسلام أمر بالمساواة والاشتغال بالعمل والتَنَزُّه عن الرهبانية. أما تأخُّر أهله فناشئ من أنهم أعرضوا عن أصوله وتوجَّهوا لغير مرامه"[١].

ثانياً: يدعو روبسون إلى الحكم بالقوانين الوضعية ونسخ الحديث كلّيّةً عن طريق الإجماع، يقول في ذلك: "والتّغيُّرات مبنية على قوانين من المنتظر العثور عليها في المذاهب، حيث لا يكون النظام انتقائياً أو مؤلَّفاً من عناصر مختارة من مصادر مختلفة يكون فيها الاستنباط مقبولاً، ليس فقط من المذاهب الأربعة المشهورة فقط، وإنما من المدارس الزائلة أيضاً؛ فالمبدأ كونها معتبرة بصورة واضحة ملائمة لظروف العصر الحاضر، وهنا يبدو بأنّ الحديث يجري إهماله جانباً من باب تفضيل الأفكار الجديدة، ومع ذلك يمكن المجادلة بأنّ هذه التّغيُّرات الحديثة لا تُناقض عقيدة الحديث؛ إذ إنّ المحدّثين الأوّلين كانوا مسؤولين عن حديث بارعٍ يُصوّر النبيّ قائلاً: (لا تجتمع أمتي على ضلالة)[٢]، وهذا يُعطي -من خلال الحديث ذاته- مُرتَكَزاً لما يُعتَبَر المصدر الثالث للتّشريع وهو الإجماع، وبهذا نأتي في الحقيقة إلى أنّ الإجماع يستطيع إحداث تغييرات حيثما تبدو ضرورية، والمرء يشعر بناءً على هذا بأنه لا لزوم لأن يكون الحديث كابوساً مميتاً كما قد شعر بذلك كثيرون، فهو قد أتاح إمكانية نسخه"[٣].

يظهر مما سبق أنّ روبسون يدعو إلى الحكم بالقوانين التي تُلائِم العالَم المُتَحَضِّر، المُنتَقاة من مصادر مختلفة، إضافة إلى إلغاء الحديث نهائيّاً من حياة المسلمين عن طريق الإجماع الذي يعتمد في شرعيّته على الحديث النبوي، حيث بالإمكان نسخ الحديث كلّيةً عن طريق الإجماع.

إنّ في الكتاب والسنّة ما يفي بالحاجات الإنسانيّة في الحياة، والتّشريع الإسلامي صالح لكلّ زمان ومكان، حيث يتّصف بالشّمول وربّانيّة المصدر، فهو ليس من البشر ليتّصف بالقصور عن تطبيقه في زمانٍ أو مكانٍ ما.

---

(١) آل بوطامي آل بن علي، أحمد بن حجر، الإسلام والرسول في نظر مُنصفي الشرق والغرب، (بدون دار النشر)، ط3، 1403هـ، ص129.

(٢) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، كتاب الفتن، لزوم الجماعة، رقم (2167)، ص، بلفظ: "إن الله لا يجمع أمتي -أو قال: أمة محمد- على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومَن شذّ شذّ إلى النار"، قال الترمذي: هذ حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه، أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، (4253)، ص597، بلفظ: " إن الله أجاركم من ثلاث خلال أن لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعا وأن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق وأن لا تجتمعوا على ضلالة"، ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب السواد الأعظم، رقم (3950)، ص566، بلفظ: "إنّ أمتي لا تجتمع على ضلالة. فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسّواد الأعظم".

(٣) Robson, James, The Muslim Tradition: the question of Authenticity, p. 101.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن الإجماع –وهو اتّفاق المجتهدين في عصرٍ من العصور بعد وفاة النبي ﷺ على حكمٍ من أحكام الدين [١]– لا يُخالف قواعد الإسلام الأساسية –وهما الكتاب والسنة– بل يستقي شرعيّته منهما، والمُجْمِعون لا يكونون إلا من مجتهدي الأمة، فلا يُعتدُّ بقول العامّة في الإجماع، لا بموافقتهم ولا بمُخالفتهم[٢].

ولا يُجمِع المجتهدون على باطل؛ كما في دعوة روبسون إلى نسخ الحديث بالإجماع، فلا يصحّ التّمسُّك فيما يتوقّف الإجماع عليه صحّة الإجماع اتّفاقاً[٣].

وقد جاء الإسلام بكل ما يُناسب التّغيرات الممكن حصولها، فهناك ثوابت ومُتغيِّرات وتلك الأخيرة هي المُتّصفة بالمرونة لكي تُناسب كل زمان ومكان، ولا بُدّ أن يكون الإجماع موافقاً للنُّصوص والتَّوجُّهات الإسلامية العامّة لا مُخالفاً لها كما يدّعي روبسون.

تضمّن القرآن موضوعات مختلفة تتعلق بالعقيدة وبالأمم السابقة، وبقصص الأنبياء السابقين، وبتفاصيل عن يوم الحساب، وبوصف الجنة والنار، وبالإرشاد اللازم للإنسانية، وبالأحكام الشرعية، "وأحكام الله تعالى على أربعة أنواع:

أولاً: عقيدة لا تُنسَخ.

ثانياً: شرائع تُنسَخ.

ثالثاً: أخلاق لا تُنسَخ.

رابعاً: قصص وأخبار لا تُنسَخ"[٤].

والأخذ بالسنة من الثوابت التي يكفر جاحدها، فلا يمكن أن ننسخ الحديث بالإجماع؛ لورود الأمر بالتمسك بها بطريق التواتر، إضافة إلى أنّ النسخ و الإجماع قضايا ثبتت شرعيتها من خلال القرآن والسنة فكيف ينسخ واحداً منهما؟!، "والنّسخ من عند الله تعالى فلا ينسخ الإجماع –وهو بشري– السّنّة –وهي ربانية–"[٥].

كما أن الحديث ليس عبارة عن قضايا بائدة لا علاقة لها بحياتنا، وإنما يتميَّز بالشُّمول في موضوعاته التي تمسّ كافة أوجه العلاقات الإنسانية، فالحديث يأتي بالجديد، ولو نظرنا

---

(١) ابن المنذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم، الإجماع، راجع أصوله وحقّق نصوصه وعلّق عليه وكتب مقدّماته ووضع فهارسه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الصفا– القاهرة، (بدون رقم طبعة)، 1999م، من مقدّمة المحقّق، ص5.

(٢) المَرْداوي الحنبلي، علاء الدين أبي الحسن علي بن سلمان، التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، دراسة وتحقيق: عوض بن محمد القرني، مكتبة الرشد–الرياض، ط1، 2000م، ج4، ص1551.

(٣) المرجع السابق، ج4، ص1685.

(٤) هذا الكلام مأخوذ من تعليقات فضيلة الدكتور باسم الجوابرة على هذه الدراسة بتاريخ 2010/8/2م.

(٥) هذا الكلام مأخوذ من تعليقات فضيلة الدكتور باسم الجوابرة على هذه الدراسة بتاريخ 2010/8/2م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى القضايا الإعجازية فيه لأيقنّا بصدق ما أتى به رسول الله ﷺ، ولوجدنا أنه ليس عبارة عن مُستَحدَثات عصرية وإنما قضاياه ثابتة منذ أكثر من أربعة عشر قرناً.. .

وقول الرسول ﷺ "لا تجتمع أمتي على ضلالة" يُفيد عصمة الأمة بعده ﷺ، وإن كان الحديث كما يزعم روبسون مليئاً بالسّلبيات، والأمة معصومة من الاجتماع على ضلالة، فكيف اجتمعت على التّمسّك بالضلال؟!

<u>ثالثاً:</u> يدعو روبسون إلى إقصاءالحديث لعدم تضمّنه أيَّ معنى زائد غير موجود في القرآن، يقول: "هناك كثيرٌ من المسلمين حالياً غير مؤمنين بصدق الأحاديث ككلّ، إلا أنهم عندما يكون الحديث ملائماً لوجهة نظرهم يكونون على أتمّ الاستعداد لأخذه كما لو كان مُسلَّماً به، لقد لمسنا سبباً للاعتقاد بأنّه يبدو من المستحيل اكتشاف قول ما موثوق للنبي في الحديث، وإذ الأمر كذلك فالمرء لا يكون لديه مبرّرٌ لأن يقول بأنّ النبي قال كذا أو فعل كذا مستشهداً بمادة الحديث، إنّ ما هو بالإمكان تتبّعه حتى الوصول إلى النبي يمكن العثور عليه في القرآن ثمّ القرآن وحده"(١).

يتبيّن أنّ روبسون لا يعترف بحجّيّة الحديث النبوي كمصدر من مصادر التشريع الإسلامي، ولا بأيّ حديث عن النبي ﷺ، فالمصدر الوحيد المعترَف به –لدى روبسون– يمكن أن يوصلنا إلى حقيقة ما قاله النبي ﷺ أو فعله هو القرآن الكريم وحده، ويتّضح أنّ روبسون يسعى إلى إسقاط مصادر التشريع الإسلامي واحداً تلو الآخر، فإذا ما أسقط الحديث النبوي انفرد بالقرآن، وشرع في إثارة الشكوك حوله وهدمه والخلوص إلى نتيجة مطابقة لما توصّل إليه بشأن الحديث النبوي ودعوته إلى التّخلّي عن القرآن ونسخه عن طريق الإجماع!

كما أنه يسعى إلى إثبات بشرية الحديث النبوي وإلغاء ربانية مصدره(٢) عبر لجوئه إلى إثبات الكمية الهائلة الضّخمة الخيالية –التي لا توجد إلا في عقله وعقل أمثاله– من الأحاديث الزائفة التي نمت على مرّ العصور، وهو يتناقض في آرائه، فتارةً يشير إلى شمول الحديث جميع الجوانب التي يحتاجها الفرد المسلم، وتارة يُنكر ذلك، ويُنكر إمكانيّة التّوصُّل إلى حديثٍ صحيح مرويٍّ عن النبي ﷺ.

ومن خلال ما تقدَّم يبدو أنّ الحديث النّبوي يُشكِّل مُعضِلة كُبرى عند روبسون، وأنه قد ازْوَرَّ أو شَرِقَ –!– بهذا المصدر، وهو بهذا لا يخرج عن وظيفته التي رسمها لنفسه تجاه الكتاب والسّنّة.

---

(١) Robson, James, Muslim Tradition: the question of Authenticity, p.101- 102.

(٢) المقصود أن ما أوامر النبي ﷺ ونهيه وحيٌ من عند الله تعالى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن قيام البعض باتّباع الحديث تارةً إن كان موافقاً لوجهة نظره، وتركه تارةً أُخرى إن لم يكن ملائماً، دليلٌ على أنه عدم وجود معايير منضبطة لدى هؤلاء، بل إنّ الأمر القبول والرد متروكٌ إلى ما يُوافق أفكارهم ومعتقداتهم، فقبلوا مع أنّ هناك قواعد لدى أهل التّخصّص تضبط قبول الحديث ورده، ولهذا قال عبد الرحمن بن مَهدي: أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم، وأهل البدع سلكوا طريقاً أخرى ابتدعوها واعتمدوها، ولا يذكرون الحديث، بل ولا القرآن في أصولهم إلا للاعتضادِ لا للاعتماد"[١].

إن عدم اتّباع السنّة مخالفٌ للقرآن الكريم، فالقرآن أمر باتّباع الرسول ﷺ في آياتٍ كثيرة، ولا ينفكّ الارتباط بينهما فكلاهما وحيٌ من الله، قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ﴾ [المائدة: 92]، ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: 80]، ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: 7]، وحذّر الله تعالى من مخالفة الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: 115]، وترك السنّة بالكامل لهي أكبر مخالفة للقرآن الكريم.

ولقد جاء القرآن الكريم، الذي هو الأصل الأول من أصول الدين، بالأصول العامة للأحكام ولم يُفصّلها كلها، إلا ما كان مُتَّفقاً مع الأصول ثابتاً بثبوتها، وهي صالحة لكل زمان ومكان لا تتطوّر بتغيّرهما، وجاءت السّنة موافقة للقرآن الكريم، ومفسّرة لمبهمه، ومفصّلة لمجمله، ومقيّدة لمطلقه، ومخصّصة لعمومه، وشارحة لأحكامه، وأتت بأحكام لم يذكرها القرآن الكريم، وعمل بها المسلمون دون شكٍّ لما أمرت به[٢].

من الأدلّة على حجّيّة السّنّة:

العصمة؛ فالرسول ﷺ معصومٌ من الإخلال العمد في أمرٍ من أمور التّبليغ، أو من السّهو والغلط فيه، إضافة إلى أنه لا يأمر إلا بما أمر الله تعالى ولا ينهى إلا بما نهى عنه الله، وقد أمر ﷺ بالتّمسُّك بسنّته[٣].

تقرير الله تّمسُّك الصّحابة بالسّنّة في عصره ﷺ؛ فقد أمر النبي ﷺ صحابته ﷺ بالتّمسُّك بسنّته والامتثال لأوامره ونهيه [١]، ولم يُفرّقوا بالحجّيّة بين الكتاب والسّنّة بل كانا مصدرَيْن لا ينفكّان عن بعضهما.

---

(١) ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط 1، 1406هـ، ج7، ص37.

(٢) الخطيب، محمد عجاج، السنة قبل التدوين، دار الفكر- بيروت، (بدون رقم الطبعة)، 2005م، ص22-23.

(٣) عبد الخالق، عبد الغني، حجّيّة السّنّة، الدار العالَميّة للكتاب الإسلامي- الرياض، ط معادة 1995م، ص279-281.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكتاب الكريم؛ فقد أمر الله تعالى في كتابه الكريم بطاعة الرسول ﷺ وأنها من طاعة الله، وقد حذّر الله تعالى من عصيانه ومخالفته[٢].

السنّة الشّريفة؛ فقد ورد فيها ما يدلّ دلالة قاطعة على حجّيتها، فقد أخبر النبي ﷺ أنه لا ينطق عن الهوى بل يُوحى له، لذا فإنّ طاعته والتّمسُّك بسنّته واجبة بأمره ﷺ، كما أمر ﷺ بحفظ سنّته وتبليغها لمَن بعده والعمل بها، وهذا يُثبت أنّ الحديث حجّة ويشتمل على بعض الأحكام التي لا تُعرَف إلا من خلال السّنّة[٣].

تعذُّر العمل بالقرآن وحده [٤]؛ فلا يمكن الاستقلال بالكتاب فقط من دون السّنّة فهي شارحة ومفصّلة ومبيّنة للكتاب وآتية بأحكام أخرى.

أنّ الوحي نوعان: وحيٌ، وما هو بمنزلة الوحي ؛ والقسم الأول –وهو الوحي– فهو معصومٌ فيه عن الكذب أو الغلط أو السّهو، ويكون قد أُوحي إليه مصحوباً بلفظ دالّ عليه ومقصودٌ به التّعبُّد والإعجاز وهو القرآن[٥].

وأما القسم الثاني –وهو ما كان بمنزلة الوحي– وهو السُنّة، ومنه ما يكون قد أقرّه الله عليه أولا، فما أُقِرّ عليه فهو بمنزلة الوحي وهو حجّة، وما لم يُقَرّ عليه أيضاً من السّنّة مثل أن تكون أحاديث منسوخة، أو هي من صفاته الخَلْقيّة أو من خصوصيّاته فتظلّ عند المحدّثين سُنّة[٦].

الإجماع؛ فقد أجمع السلف والخلف من مجتهدي الأمة على حجيّة السّنّة والعمل بها.

وليس مُستَحيلاً اكتشاف قول موثوق للنبي ﷺ، فقد تمكّن الأئمة المحدّثون الأوائل من غربلة الأحاديث وحفظها، ، وقد توعّد النبي ﷺ من يكذب عليه مُتَعَمِّداً بعذابٍ شديد.

---

(١) عبد الخالق، عبد الغني, حجّيّة السّنّة، ص283، 286.

(٢) المرجع السابق، ص291.

(٣) المرجع السابق، ص308، 317، 319.

(٤) المرجع السابق، ص322.

(٥) المرجع السابق، ص334–335.

(٦) المرجع السابق، ص339–341.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: منهج روبسون في دراسة الحديث النبوي

1 المنهج الوصفي:

يتّضح من مجموع أبحاثه ككلّ أنّ روبسون ابتدأ بالمنهج الوصفي في دراساته –غالباً–؛ فهو يقدّم في بدايةِ أبحاثه وصفاً لموضوع الدراسة التي سيقوم بها، ويمكن التمثيل على ذلك بالموضوعات الآتية:

أولاً: يقول روبسون في بحث مادة الحديث، واصفاً بإيجاز منهج الإمام البخاري في صحيحه: "البخاري غالباً ما يُدخِل ملاحظات في عناوينه الخاصّة بالأبواب ، كما أنه غالباً ما يضع ملاحظات في نهاية الأحاديث، وأحياناً تكون هذه الملاحظات عبارة عن تفسير كلماتٍ واردة في الحديث. وهو في الغالب يُعطي أسانيد مختلفة قد تتضمّن اختلافاً طفيفاً في الصّيغة، وأحياناً يَذكرُ بأنّ صيغةً معيَّنة هي أصحّ من صيغةٍ أخرى، ويلفت الانتباه أيضاً إلى أحاديث مصنوعةٍ من قبل رواةٍ معيّنين، وأحياناً يلفتُ الانتباه إلى أحاديث غير سليمة إلا أنه لا يقدّمها باعتبارها جزءاً من مادّته مفتَرِضاً بصورةٍ واضحة أنّ القرّاء سوف يعرِفون مثل هذه الأحاديث، وهكذا هو يُراهن على احتراسهم منها"(١).

يتّضح مما سبق إعطاء روبسون وصفاً عامّاً لمنهج الإمام البخاري في الصحيح، تضمّن منهجه في التراجم، تعقيباته على الأحاديث، وأسلوبه في إيرادها، وفي الإسناد؛ في إشارة إلى أنّ البخاري يأتي بأسانيد مختلفة لفائدة في السند أو في المتن، وفيما يأتي به من معلّقات أو آثارٍ موقوفة فهي ليست من موضوع الكتاب وهو جمع الأحاديث الصحيحة المسندة، ووصف روبسون لمنهج الإمام البخاري لا يدخل فيه أية تعقيبات خاصّة أو سرد لوجهة نظره، وإنما كان كلاماً وصفيّاً خالصاً.

ثانياً: كما يقول في مقدّمة ترجمته لكتاب مشكاة المصابيح واصفاً مضمون صحيح البخاري: "إنّ مادة الحديث شاملة جداً، تُغطّي تقريباً كل موضوع يمكن الْتماس إرشادٍ فيما يتعلّق به، وهذا يمكن التّدليل عليه من خلال النّظر في الموضوعات المُغطّاة من قِبَل البخاري في صحيحه المُقَسَّم إلى 97 كتاباً؛ فهو يبدأ بثلاثة كتب تتصّل بابتداء الوحي وبالإيمان وبالعلم، وبعد ذلك يجيء 30 كتاباً حول الوضوء والصلاة والزكاة والحج والصوم، ومعظمها يتّصل بمسائل تتّصل بالصلاة، ويلي ذلك 22 كتاباً يتصّل بمسائل تتصّل بالأعمال التجارية، وبالأمانة وبشكلٍ عام بشروط الاستخدام وبمسائل شرعية متنوّعة، ثمّ تأتي بعد ذلك ثلاثة كتب تتعلّق بالقتال في سبيل العقيدة وبأهل الذّمة يليها كتابٌ واحد يتعلّق ببدء الخلق، والكتب الأربعة التي تأتي بعد ذلك

---

(١) Robson, James, The Material of Tradition 1, Muslim world, XLI (1951), p. 166.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تتعلّق بالأنبياء بما في ذلك بعض وصفٍ لحياة النبي حتى الهجرة، والكتاب الذي يليها يتعلّق بحياة النبي في المدينة، ثمّ يليه كتابان يُعطيان شرحاً لفقراتٍ من القرآن [يقصد: كتاب التفسير] والكتب الثلاثة التي تأتي بعد ذلك تتعلّق بالزواج والطلاق والرعاية المترتّبة على الشّخص تجاه أُسرته، ومن هنا حتى الكتاب الخامس والتّسعين هناك مو ضوعات متنوّعة معالِجة من بينها مسائل كالمأكل والمشرب وال ملبس، والسلوك اللائق [يقصد: الأدب] ، والطّب، والدّعوات، والأيمان وتكفير الأيمان التي يتمّ الحنث بها، والثّأر للدم والمظالم [الديات والقصاص]، وتفسير الأحلام [التعبير]، و "النّزاع الأهلي"، والفتن قبل نهاية العالَم، والكتاب رقم 96 يؤكّد أهمية [الاعتصام] بالقرآن والسّنّة، والكتاب الأخير وهو مطوّل بشكلٍ واضح يتعلّق بتوحيد الله"(١).

اتّخذ روبسون صحيح البخاري نموذجاً؛ إذ أنّ الوصف السابق لمحتوياته كان دقيقاً كافياً للتّدليل على شمول موضوعات الحديث النبوي، وتناولها كافّة شؤؤون الفرد والمجتمع، بما يحقّق لهم مصلحتهم في أمور دنياهم وآخرتهم؛ حيث استعرض روبسون عناوين الكتب –التي يتألّف منها الصّحيح– المتنوّعة من: عبادات، ومعاملات، وأحوال شخصيّة، والجهاد، والأخلاق، والتفسير، وأحداث اليوم الآخر..، وغيرها من الأمور التي شملت الموضوعات الدينية والدنيوية، التي فيها الإرشاد الكافي للمسلمين.

إنّ الموضِعَين السابقَيْن يُعطيان صورةً جليّة عن تطبيق روبسون للمنهج الوصفي حيث قام بوصفِ منهج الإمام البخاري في صحيحه، ووصف محتويات الصّحيح دون إبداء أيّة ملاحظات.

ولكثرة تلك المواضع التي يمكن الاستشهاد بها للتدليل على تطبيق روبسون المنهج الوصفي أكتفي بالإشارة إلى مواضع أخرى من أبحاثه:

<u>ثالثاً:</u> وبحث أنواع الحديث الحسن، حيث قدّم روبسون وصفاً لما ذكره الإمام السيوطي في كتاب **قوت المغتذي** عن مصطلح الحسن، وبعض المصطلحات الأخرى المركّبة، مثل **حسن صحيح** و**حسن غريب**، إضافة إلى أقوال الأئمة في استعمال الإمام الترمذي لهذه المصطلحات، ويقتصر روبسون على الوصف، ولا يَذكر له رأياً إلا في نهاية البحث(٢).

---

(١) Robson, James, Mishkat al- masabih, English Translation with explanatory notes, (Auther: khatib al- tabrizi, Muhammad ibn Abd Allah, f1. 1337), Lahore, M. Ashraf, (1953-1965), p. 5.

(٢) Robson, James, varieties of the Hassan Tradition, Journal of Semitic Studies, 1964, p.49- 59.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعاً: بحث روايات السنن الأربعة التي يتّبع روبسون فيها هذا المنهج في وصفه للروايات؛ بتعريفه للرواة وذكر تواريخ الولادة والوفاة وبيان طرق التحمّل والقدر الذي سمعه كل راوٍ عن شيخه، مُعتمداً في ذلك على المصادر الأصلية التي تتحدّث عن الروايات(١).

خامساً: بحث مجموعة الأحاديث الإلهية عند الشيعة ص 2 يصف روبسون كتاباً للحرّ العاملي في الأحاديث الإلهية يسمّى **الجواهر السَّنِيَّة في الأحاديث القدسيّة**، بما فيه من منهج المؤلف في كتابه، والموضوعات التي تناولها الكتاب(٢).

2 -المنهج التحليلي:

يقوم روبسون بإتباع وصفهِ للمادة بتحليلها، مثل:

يقول روبسون في بحث أنواع الحديث الحسن بعد وصف مصطلحات الإمام التّرمذي: "يُقال بأنّه مرّ وقتٌ طويل قبل أن يُصبح جامع الترمذي مُعتّرَفاً به ، كتاباً جديراً بالاعتماد عليه، وربما كان هذا يُعطي تفسيراً جزئياً للتّأخُّر في محاولة إيضاح مصطلحاته، والمرء يظنّ بأنّ بعض المصطلحات المستعملة من قِبَل الترمذي كانت خاصّة به، وحيث إنه لم يُعطِ إيضاحاً لمعناها فالعلماء الذين سبقوا لم يشعروا بحاجة إلى إيضاحها"(٣)(٤).

---

(١) Robson, James:

1- The Transmission of Tirmidhi's Jami, BSOAS 16 (1954), 258-270.
2- The Transmission of Abu Dawud's Sunan, BSOAS 14 (1952), 579- 591.
3- The Transmission of Nasa'I's Sunan, JSS 1, (1956), 38- 59.
4- The Transmission of Ibn Maga's Sunan, Jss 3, (1958), 129- 141.

(٢) Robson, James, A shia Collection of Divine Traditions, Glasgow University Oriental Society Transactions, 22, 1970, p. 2.

(٣) Robson, James, Varieties of the Hassan Tradition, p.60.

(٤) إنّ هذا التّحليل خاطئ، لأن مُصطلح الحسن كان معروفاً في عصر الترمذي، لكنّه لا يعني أنه لا يوجد عند غيره من المحدّثين، وقد وُجِدَ كلامٌ على الحديث الحسن عند من سبق الترمذي، وقوله: " فللعلماء لم يشعروا بحاجة إلى إيضاحها؛ فهذا كلام فيه تهافت، وقد كان تفسير معاني الحسن عند التّرمذي محلّ اهتمام العلماء إلى يومنا هذا. وأيضاً الجمع بين "الحسن" ومصطلحات أخرى مثل: "حسن صحيح" و"حسن صحيح غريب"، وقد بيّن العلماء مراده بذلك.

كما أنّ التّرمذي قد بيّن مراده بالحديث "الحسن"، حيث قال: وما ذكرْنا في هذا الكتاب (حديثٌ حسن) فإنّما أردنا به حُسْنَ إسناده عندنا. كلّ حديثٍ يُروى لا يكون في إسناده مَن يُتّهم بالكذب ولا يكون الحديث شاذاً ويُروى من غير وجهٍ نحو ذلك فهو عندنا حديثٌ حسن". انظر: الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، كتاب العلل، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض، ط2، 2008م، ص896.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتابه لا يخلص إلى نتيجة أكيدة حول مراد الإمام الترمذي فيها، وقد طبّق روبسون المنهج التحليلي في نظرته إلى كتاب الإمام الترمذي، الذي لم يحظَ بالقبول الفوري –كما يرى روبسون– وعزا السبب في ذلك –بناءً على ما سبق من توضيحات– إلى التأخُّر في إيضاح مصطلحاته، كما يتّضح أنّ روبسون قد اعتمد في تحليله على رأيٍ أورده بصيغة التمريض، ولم يذكر القائل ولا مصدر القول حتى يتمّ التّحقُّق من صحّته، مما أدى إلى رفض رأيه وعدم اعتماده؛ إذ أنّ رأيه لا يستند على دليلٍ علميّ.

3. **المنهج النّقدي:**

ومثاله ما يلي:

قال روبسون ناقداً في بحث أنواع الحديث الحسن: "بعض المصطلحات الفنية المستعملة فيما له علاقة بالحديث قد أثارت بحثاً هائلاً دون التّوصُّل إلى نتيجة مقنعة، هذا يُعزى أحياناً إلى مصطلح يجري استعماله بمعانٍ مختلفة في فتراتٍ مختلفة، بل أحياناً تكون هناك صعوبة تتعلّق بالمصطلحات التي لم تمتلك حتى الآن، مثل هذا التّطوُّر في المعنى، ومن بين مثل هذه المصطلحات: حسن غريب، ومجموعات أخرى من المصطلحات التي تضمّ الحسن، والتي تُشاهَد في جامع الترمذي، وهو من عادته أن يُضيف ملاحظات إلى أحاديثه؛ ليدلّ على صفتها وهذا هو الموضع الذي نرى فيه هذه المصطلحات. وكما يذكر ابن الصّلاح في علوم الحديث: "إنّ كتاب أبي عيسى التّرمذي هو كتاب أساسي يتعلّق بمعرفة الحديث الحسن وهو مَن جعله يشتهر"، ولكن في حين أنّ الترمذي يعطي إيضاحاً في نهاية جامعه لما يعنيه بمصطلح «حسن» فهو لا يُوضّح ما الذي يعنيه عندما يجمع مصطلح حسن مع كلمة أخرى أو كلمات أخرى"[1][2].

4. **المنهج التاريخي:**

اتّبع روبسون هذا المنهج في أهمّ المسائل ذات الصّلة بالحديث النبوي، وهي:

---

(١) Robson, James, Varieties of the Hassan Tradition , p.47- 49.

(٢) إنّ نقد روبسون لعدم توضيح الإمام الترمذي مصطلحاتِه كان خاطئاً؛ إذ قصد روبسون بقوله أنّ مصطلح حسن وما يُضاف إليه من كلمات أخرى هي مصطلحات مبهمة غير محدّدة المعنى وغير واضحة، وكتاب الترمذي مليء بهذه المصطلحات التي استخدمها في الحكم على الأحاديث، بل يُعدُّ كتابه مرجعاً في معرفة الحسن، بالتالي فإنّ جامع الترمذي لا يمكن الوثوق به؛ لوجود تلك المصطلحات الغامضة فيه، وسيأتي الرّد على هذا الخطأ في محلّه إن شاء الله، ومثل هذا النقد هو نقدٌ سلبيّ.

وأنّى لروبسون أن يُدرِك مغازي الإمام الترمذي من مُصطلحاته، كيف وأهل العلم المُتَخصّصون قد اختلفوا في مقصده منها، لكن هذا لا يعني أنّها بقيت ألغازاً مُقفَلة ماتت مع الإمام الترمذي، إلا أنّ سياقات هذه النّصوص من الأحاديث النّبويّة وتعليقات الإمام الترمذي عليها جعلَت العلماء يفهمون إلى حدٍّ بعيد مقاصد الإمام الترمذي بهذه المُصطلحات بشكلٍ دقيق، ويبقى روبسون وأمثاله على جهله بها فذلك لا يُضيرُنا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً: فيما يتعلّق بتبوُّء الحديث لمكانته الحالية، التي يركّز عليها في معظم أبحاثه، لقد عالج روبسون هذا الموضوع تاريخيّاً من وجهة نظره، ووصل إلى نتيجة مفادها: أنّ النّظام الإسلاميّ في العقود الأولى للإسلام كان قائماً بشكلٍ رئيس على القرآن وحده، الذي تمّ جمعه بعد وفاة النبي، وفي عهد عثمان الخليفة الثّالث تمّ جمع النّسخة التي تُعتبر مرجعاً إلى يومنا هذا وجرى في تلك المدة تنقيح أو تنقيحان في أقاليم مختلفة مع فروق طفيفة، إلا أنّ النّسخة المنجَزة برعاية عثمان هي التي فازت في آخر الأمر في المباراة، ولأنّ القرآن لا يتضمّن إرشاداً كافياً أصبح المسلمون بحاجة ماسّة إلى مصدر إرشادٍ آخر، هذا المرجع وُجِدَ في آخر الأمر في الحديث، إضافةً إلى أنه بعد وفاة النبي واتّساع رقعة الدولة الإسلاميّة، حيث امتدّ الحكم الإسلاميّ من الصّين شرقاً إلى إسبانيا غرباً، ازدادت رغبة المسلمين لسماع أخبار النبي وأقواله وأفعاله، إضافة إلى شعورهم بالحزن –بعد الخلافة الراشدة– تجاه أساليب الحكم، واشتياقهم إلى دولة محكومة بمبادئ الإسلام، فآل الأمر إلى اعتبار الحديث المصدر المناسب لجعله في المرتبة الثّانية بعد القرآن، وهذا يعني: أنّ الحديث وُجِدَ منذ عهد النبي، وتمّ تناقله عبر قنوات مرجعية، وفي بداية الأمر كانت دراسة الحديث نوعاً من التّحرّك تحت الأرض، ويُعزى الفضل إلى الشّافعي في انتصار الفريق الدّاعم للحديث، حيث خاض معركة شرسة لتوطيد الحديث مصدراً متفوّقاً بعد القرآن(١).

أكثَرَ المستشرقون من الادّعاء بأنّ النظام الإسلامي في أوله كان مُعتَمِداً على القرآن الكريم وحده، سعياً منهم إلى إبراز أنّ السّنة النبوية أُقحِمَت إلى مرتبة تلي القرآن الكريم لسدّ حاجات المسلمين من حيث المستجدّات التي ظهرت مع نمو واتّساع رقعة الدّولة الإسلامية وتزايد عدد الدّاخلين فيه، والثّابت لدينا عكس هذه الدعوى؛ إذ أنّ القرآن الكريم نفسه يحثّ على الأخذ بالسّنّة، وكذلك الرسول ﷺ أمر بالأخذ بسنّته ﷺ، والصّحابة ﷺ عملوا بها من بعد الرّسول ﷺ.

---

(1) Robson,James

1- Muslim Tradition: The Question of Authenticity, p. 84- 89.
2- Tradition- The Second Foundation of Islam, Muslim World, XLI, 1951, p. 22- 23.
3- Hadith, The Encyclopedia of Islam, New ed. Leiden, Vol. 3, 1971, p. 23- 24.
4-Traditional: Investigation and Classification, Muslim World, XLI, 1951, p.98- 99.
5-Standards Applied by Muslim Traditionists, Bulletin of the John Ryland's Library, Vol. 43, number 2, p. 459.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حيث قال الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: 59] [١].

ومن قول الرّسول ﷺ: (مَن أطاعني فقد أطاع الله ومَن عصاني فقد عصى الله) [٢]، وكذلك قال ﷺ: (ألا إني أوتيتُ الكتابَ ومثله معه، ألا يوشك رجلٌ شبعانُ مُتّكِئ على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدْتُم فيه من حلال فأحِلّوه، وما وجدْتُم فيه من حرام فحرِّموه، ..)[٣].

وعمل الصّحابة ﷺ حُجّة في بيان أنّهم عملوا بسُنّةِ رسول الله ﷺ، فهم أعلم النّاس بما كان عليه رسول الله ﷺ فاهتدوا بهديه، ومن ذلك أنْ جاء في كتاب القضاء الذي أرسله عمر ابن الخطاب ﷺ إلى قاضيه شريح بالكوفة: "انظر ما تَبيَّن لك في كتاب الله فلا تسأل عنه أحداً، وما لم يتبيَّن لك في كتاب الله فاتّبع سُنّةَ رسول الله ﷺ، وما لم يَتبيَّن لك في السُّنّة فاجتهد رأيك"[٤].

---

(١) انظر أيضاً الآيات الآتية: آل عمران: 31–32، النساء: 65، النساء: 80، الأحزاب: 21، النور: 63.

(٢) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز الشبل، دار السلام– الرياض، ط 1، 200م، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب يُقاتَل من وراء الإمام ويُتّقى به، ج6، ص141، رقم (2957) مع زيادة: "ومَن يُطع الأمير فقد أطاعني، ومَن يَعصِ الأمير فقد عصاني. وإنما الإمام جُنّةٌ يُقاتَل من ورائه، ويُتّقى به. فإن أمرَ بتقوى الله وعَدَل فإنّ له بذلك أجراً، وإن قال بغيره فإنّ عليه منه"، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾[النساء: 59]، ج13، ص138، رقم (7137) مع زيادة: "ومَن أطاع أميري فقد أطاعني ومَن عصى أميري فقد عصاني"، مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم ومعه المنهاج للنووي، حقق أصوله وخرّج أحاديثه على الكتب الستة حسب المعجم المفهرس وتحفة الأشراف: خليل بن مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت– لبنان، ط13، 2007م، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، ج12، ص426– 427، رقم (4724) مع زيادة: "ومَن يُطع الأمير فقد أطاعني، ومَن يعصِ الأمير فقد عصاني"، ص427، (4726) مع زيادة: "ومَن أطاع أميري فقد أطاعني، ومَن عصى أميري فقد عصاني".

(٣) أخرجه: أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، دار السلام– الرياض، ط1، 1999م، كتاب السّنّة، باب في لزوم السّنّة، ص651، رقم (4604) (4605)، ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، تحقيق: صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، دار السلام– الرياض، ط 1، 1999م، كتاب السّنّة، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتّغليظ على مَن عارَضَه، ص2، رقم (12) (13). صحّحه الألباني.

(٤) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنّة، باب ما يُذكر من ذمّ الرّأي وتَكَلُّف القياس، ج13، ص352.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتبعهم التّابِعون بعدهم، ومن ذلك "كتب رجلٌ إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القَدَر، فكتب: أما بعد، أُوصيكَ بتقوى الله والاقتصاد في أَمْرِه واتِّباع سُنَّةِ نبيِّه ﷺ وتَرْك ما أَحْدَثَ المُحْدِثون بعد ما جَرَت به سُنّتُه وكُفُوا مُؤْنَتَهُ فعليك بِلُزوم السُّنّة فإنّها لك -بإذن الله- عصمة، ثمّ اعلم أنّه لم يبتدع النّاسُ بدعة إلا قد مضى قَبْلها ما هو دليلٌ عليها أو عِبْرَةٌ فيها فإنّ السُّنّة إنما سَنَّها مَن قد عَلِمَ ما في خِلافِها من الخطأ والزَّلَل والحُمْق والتَّعَمُّق، فارضَ لِنَفسِكَ ما رَضِيَ به القَوم لأنفُسِهم فإنّهم على عِلْمٍ وَقَفوا، وبِبَصَرٍ نافذٍ كَفّوا، ولَهم على كَشْفِ الأمور كانوا أقوى، وبِفَضْلٍ ما كانوا فيه أولى، فإنْ كان الهُدى ما أنتم عليه لقد سَبَقْتُموهم إليه، ولَئِن قُلْتُم: إنّ ما حَدَثَ بَعدَهم ما أَحْدَثَه إلا مَن اتّبَعَ غيرَ سبيلِهم ورَغِبَ بنفسِه عنهم، فإنّهم هُم السّابقون فقد تَكَلَّموا فيه بما يكفي ووَصَفوا منه ما يَشْفي، فما دونَهم من مُقَصِّرٍ وما فوقَهم من مَحْسَرٍ، وقد قَصَّرَ قَومٌ دونَهم فَجَفَوا، وطَمَحَ عنهم أقوامٌ فَغَلَوا، وإنّهم بين ذلك لَعلى هُدىً مُستقيم"(١).

كان السبب الرئيس فى اللجوء إلى هذا الجمع فى هذه المرحلة اختلافَ الناس وتعصبهم لبعض القراءات، إلى حد الافتخار بقراءة على قراءة أخرى، بالإضافة إلى شيوع بعض القراءات غير الصحيحة .

وهذا ما حمل حذيفة بن اليمان ؓ على أن يفزع إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ؓ، ويهيب به أن يدرك الأمة قبل أن تتفرق حول القرآن كما تفرق اليهود والنصارى حول أسفارهم المقدسة. فنهض ؓ للقيام بجمع القرآن فى "مصحف" يجمع الناس عليه.

فندب أمير المؤمنين عثمان بن عفان ؓ لهذه المهمة الجليلة زيد بن ثابت ؓ صاحب الجهد السابق في جمع القرآن ، وثلاثة من قريش: عبد الله بن الزبير، سعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ؓ. وزيد بن ثابت هذا كان هو رئيس الفريق الذى ندبه عثمان ؓ لهذه المهمة الجليلة؛ لأنه أي زيد بن ثابت قد تحققت فيه مؤهلات أربعة للقيام بهذه المسئولية وهي أنه: كان من كتبة الوحى في الفترة المدنية ، وكان حافظًا متقناً للقرآن سماعاً مباشراً من فم رسول الله ﷺ، وكان هو الوحيد الذى حضر العرضة الأخيرة للقرآن من النبي ﷺ على جبريل عليه السلام، وكان هو الذى جمع القرآن فى خلافة أبي بكر ؓ، وقد تم الجمع في هذه المرحلة على منهج دقيق وحكيم للغاية قوامه أمران:

الأول: الجهد السابق الذى تم فى خلافة أبي بكر ؓ، ومكوّناته هى الوثائق الخطية التى سجلها كتبة الوحي فى حضرة النبي عليه ﷺ سماعاً مباشراً منه.

---

(١) أخرجه: أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، كتاب السّنة، باب مَن دعا إلى السُّنّة، ص 652–653، رقم (4612).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكان لا يُقبل شئ في مرحلة الجمع الثاني ليس له وجود في تلك الوثائق التي أقرها النبي ﷺ.

الثاني: أن تكون الآية أو الآيات محفوظة حفظًا مطابقًا لما فى مصحف أبي بكر ﷺ عند رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ على الأقل. فلا يكفي حفظ الرجل الواحد، ولا يكفي وجودها فى مصحف أبي بكر، بل لابد من الأمرين معاً.

قام هذا الفريق، وفق هذا المنهج المحكم، بنسخ القرآن، لأول مرة، في مصحف واحد، وقد أجمع عليه جميع أصحاب رسول الله ﷺ ولم يُعارض عثمان منهم أحدًا ، وتلقت الأمة هذا العمل الجليل بالرضا والقبول، في جميع الأقطار والعصور.

ونسخ من مصحف عثمان، الذى سُمّي "المصحف الإمام" بضعة مصاحف، أرسل كل مصحف منها إلى قطرٍ من أقطار الإسلام، مثل الكوفة والحجاز، وبقي المصحف الأم فى حوزة عثمان ﷺ.

فليس في الأمر تنقيح وإنما الجمع فى خلافة عثمان ﷺ كان نسخًا ونقلاً لما فى الوثائق الخطية، التى حررت في حياة النبي ﷺ وأقرها بعد تلاوتها عليه، وجمعاً لها في مصحف واحد فى مكان واحد. وذلك من أجل الأمور الآتية:

1- توحيد المصحف الجماعي واستبعاد مصاحف الأفراد لأنها لم تسلم من الخلل. وقد تم ذلك على خير وجه.

2- القضاء على القراءات غير الصحيحة، وجمع الناس على القراءات الصحيحة، التى قرأ بها النبي ﷺ فى العرضة الأخيرة على جبريل في العام الذي توفي فيه.

3- حماية الأمّة من التفرق حول كتاب ربّها. والقضاء على التعصب لقراءة بعض القرّاء على قراءة قراء آخرين(١).

فما تمّ في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ فيما يتعلّق بالقرآن الكريم هو جمع المسلمين على القراءات الثابتة عن النبي ﷺ وليس تنقيح القرآن كما هو الحال لدى النصارى مع كتابهم المقدس، فما جرى في عهده أنّ الناس اختلفوا في القراءة، فرفع حذيفة بن اليمان

---

(١) انظر: الألوسي، محمود أبو الفضل، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ج 1، ص7-30، الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث- القاهرة، (بدون رقم الطبعة والسنة)، ج 1، ص235-236؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ، الإتقان في علوم القرآن، ضبطه وصحّحه وخَرَّجَ آياته: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 1، 2004م، ص92-94؛ الجزائري، طاهر بن محمد، التبيان لبعض المباحث المُتعلّقة بالقرآن، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدّة، دار البشائر الإسلامية، بيروت- لبنان، ط 4، 1425هـ، ص102-105.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأمرَ إلى الخليفة عثمان ﷺ، فما كان منه ليُزيل الفرقة ويوحّد الكلمة، إلا أنْ أمر بالصُّحف الموجودة عند حفصة بنت عمر بن الخطاب ﵄ وكلَّفَ زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعد بن أبي وقّاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ﷺ بنسخ الصُّحُف في مصاحف، وبعدها ردّ عثمان ﷺ الصُّحُف إلى حفصة ﵄، وأرسل مُصحفاً إلى الأمصار الإسلامية، وأمر بما سواه من القرآن في الصُّحُف أن تُحرَق(١).

وأما قول روبسون بأنّ القرآن لم يتضمّن إرشاداً كافياً فاحتاج المُسلِمون إلى مَصدَرِ إرشادٍ آخر، فقولٌ لا يستندُ إلى دليل؛ وإنّ القرآنَ الكريم والسُّنّة النبوية المُشَرَّفة موحى بهما من عند الله تعالى، وهما مُتلازِمان، فلا يُمكن إقصاء أحدهما، فالقرآن الكريم أكثر أحكامه من الكُلّيّات والعموميّات التي هي بحاجة إلى تفسير، وهذا التّفسير قد جاء به رسول الله ﷺ، مثل: أنّ القرآن الكريم أمر بالصّلاة، أما كيفيّتها فقد فسّرها رسول الله ﷺ(٢)، فالشّريعة الإسلاميّة (القرآن والسّنّة) جاءت بما يشمل كافّة جوانب الحياة، ويمكن إيجاز هذه التّشريعات بما يلي:

1 - العبادات.
2 - الجهاد للدعوة ونَشْرِ الدّين، وللدّفاع عنه.
3 - النظام الاجتماعي على نطاق الفرد والأسرة.
4 - أحكام الأطعمة والأشربة.
5 - الجنايات وما يترتّب عليها.
6 - المُعامَلات(٣).

أما ادّعاء روبسون بأنّ الفضل يعود للإمام الشافعي في نيل الحديث المكانة التي أصبح عليها، فهو ادّعاء مُجانب للصواب حيث إن المسلمين لم يختلفوا في مسألة حجية حديث النبي ﷺ والأخذ به منذ العهود المبكّرة، وإنما اعتمدوا على الوحيين –القرآن الكريم والسّنة النبوية الشريفة– وهذا ما تدل عليه وقائع من السيرة النبوية وصحابته ﷺ، إضافة إلى أنّ القرآن الكريم أمر باتّباع سنة رسول الله ﷺ، فالاعتماد على القرآن الكريم وحده مُخالفة للقرآن، والإمام الشافعي إنما هدف إلى الدّفاع عن سنة رسول الله ﷺ من شبهات

---

(١) انظر: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص235–236؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ، الإتقان في علوم القرآن، ص 92–94؛ الجزائري، طاهر بن محمد، التبيان لبعض المباحث المُتعلّقة بالقرآن، ص102–105.

(٢) مراد، يحيى، افتراءات المستشرقين على الإسلام، دار الكتب العلميّة، بيروت– لبنان، ط 1، 2004م، ص234– 235.

(٣) المرجع السّابق، ص241.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعتزلة في زمانه، فأصّل لقواعد الرواية في كتابه الأم وبيّن فيها مكانة السنة النبوية وحجّيتها بين مصادر التّشريع الإسلامية، فجاءت مُصنّفاته ردّاً على مَن أنكر حجّيّة السنة في عصره، وهذا يتّضح من خلال قوله: " لم أسمع أحداً نسبَهُ الناس أو نسَبَ نفسه إلى علمٍ يُخالف في أنّ فرض الله عزّ وجل اتباع أمر رسول الله ﷺ والتسليم لحُكْمه بأنّ الله عزّ وجلّ لم يجعل لأحدٍ بعدَه إلا اتباعه، وأنه لا يلزم قولٌ بكلّ حالٍ إلا بكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، وأنّ ما سواهما تبعٌ لهما، وأنّ فَرْضَ الله تعالى علينا وعلى مَن بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد لا يختلف في أنّ الفرض والواجب قبول الخبر عن رسول الله ﷺ إلا فرقةٌ سأصف قولها إن شاء الله تعالى"(١). وقال الشافعي أيضاً: "ثم تفرق أهل الكلام في تثبيت الخبر عن رسول الله ﷺ تفرُّقاً متبايناً وتفرَّقَ غيرُهم ممّن نَسَبَتْهُ العامة إلى الفقه فيه تفرُّقاً. أما بعضهم فقد أكثر من التقليد والتخفيف من النّظر والغفلة والاستعجال بالرياسة وسأمثل لك من قول كلّ فرقة عرفتها مثالاً يدلّ على ما وراءه إن شاء الله تعالى"(٢)، وقوله كافٍ لبيان مقصوده من كتابه.

وزعم روبسون أنّ دراسة الحديث في البداية كان نوعاً من التَّحرُّك تحت الأرض حسب تعبيره، إلى أنْ جاء الشّافعيّ، فهذا ليس له أساس من الصّحّة، فلم تأتِ فترة من أيام الرسول ﷺ إلى زمن الشّافعيّ مُنِعَ فيها من التّحديث عن رسول الله ﷺ.

ويتبيّن من كلام روبسون السّابق أنّ هدفه هو: تشويه المَصْدرين الأساسيَّيْن للتّشريع الإسلامي، وهما القرآن الكريم والسّنّة النّبوية، ويظهر هذا مما يلي: قوله: أنّ النظام الإسلامي في بداياته كان قائماً بشكلٍ رئيس على القُرآن وحده، وأنه تمّت عمليّة تنقيح للقرآن لإعطاء صورة أنّ هذا القرآن ليس الذي أُنزِلَ على النبي ﷺ، وقوله إنّ القرآن لا يتضمّن إرشاداً كافياً، فأُقحِمَت السّنّة النّبوية إلى مرتبة تلي القرآن، وبسبب الوضع أصبح البحث عن حديثٍ صحيح مثل البحث عن إبرةٍ في كومة قشّ، مما يعني إنكار حجّيّة السّنّة النبويّة وإنكار مرتبتها.

ثانياً: مسألة نمو كتلة الحديث، وكانت النتيجة التي توصّل إليها كما يلي: مع اتّساع رقعة الدّولة الإسلاميّة كان من الطّبيعيّ أن يرغب الناس في سماع أخبار النبي، ولا شكّ أنّ بعض تلك القصص سوف يتم تضخيمها أثناء تناقلها من فمٍ لفم، وبخاصّة عندما يكون هناك رغبة في

(١) الشافعي، محمد بن إدريس، الأم، اعتنى به: حسّان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، (بدون رقم الطبعة والسنة)، ص1567.

(٢) المرجع السابق، ص1567.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التأثير على الأجانب الذين أُدخِلوا في الإسلام[١]، وضمن معتنقي العقيدة الجديدة، ثمّ على مرّ الزّمان كان لا بدّ من دخول عوامل لا تمتّ بصلة إلى الحياة الحقيقية للنبي؛ وما من شكّ أنّ كثيراً من الناس دوّن بعض الوقائع وبعض الأحاديث ليسترشدوا بها، غير أنّ النشاط الأدبي الذي أنتج كتب الحديث لم يبدأ حتّى القرن الثاني، وحتّى وقت الشافعي كان الحديث منتشراً جدّاً في دوائر معيّنة، وآخذاً في التّكدّس من حيث العدد. وبازدياد الأسفار التي قام بها طلاب الحديث كان الطّلب كبيراً والعرض تزايد بازدياده، وبالتّدريج انتهى الرّجال إلى أن يُدركوا أنّ الحديث كان سلاحاً قيّماً للغاية، مما نتج عنه نسبة أحاديث زائفة كثيرة إلى النبي من قبل رجال رغبوا في دعم وجهة نظر معيّنة، وبدون نقاش أصبح الناس يعتقدون بأنّ السّنّة في الحقيقة هي من النبي؛ فهم بناءً على ذلك صاغوا، متمشّين مع الفطرة إلى حدٍّ كبير نظرياتهم حول طبيعتها، إلا أنّ ما حدث في الحقيقة هو أنّ الناس في مختلف الأنحاء قد عكفوا على دراسة الأحاديث، بل على المرء أن يضيف عكفوا أيضاً على اختراعها، غير أنّ هذا الاختراع عموماً كان له هدف جيّد وساعد على ترسيخ التّشريع[٢].

ويقول معلّقاً: "ونحن لدينا شيءٌ مماثلٌ في العهد القديم، حيث تمّ تقديم شريعة موسى، وبهذه الوسيلة سيكون هناك استعداد لقبولها، وهكذا في الإسلام وجد الناس بأن أفضل طريقة لترسيخ الشريعة هي تقديمها وكأنها آتية من النبي"[٣]، والنتيجة أنّ هناك نواة حقيقية للحديث الإسلاميّ، إلا أنّ "البحث عنها ضمن هذه الكتلة الضّخمة من محتويات الحديث هو إلى حدٍّ ما كالبحث عن الإبرة التي يُقال عنها في المثل بأنها موجودة في كومة قشّ"[٤].

وإزاء ما تقدَّم فإننا لا نُنكِر بأنّ الحديث النّبوي في فترة مُعيَّنة قد دارت حوله معركة شرسة؛ إذ أدّت عِدّة عوامل إلى ظهور الوضع في الحديث النبوي منها: الخلافات السياسية، وبعض الفرق مثل الخوارج، والخلافات الكلامية، والزنادقة، والقصّاصون، ووضع جهلة الصالحين للحديث، كما كان للعصبية للمدن والجنس والإمام دورٌ كذلك، والوضع لأغراض

---

(١) يُفهم من كلامه هذا أنّ النّاس أُجبروا على اعتناق الإسلام ولم يدخلوه بمحض إرادتهم، وهذا ما لم يرد تاريخياً أبداً وإنما أثبت التاريخ سماحة الإسلام مع غير المسلمين ولم يكره أحد على الدخول في الإسلام.

(٢) انظر: Robson, James ,

1- Muslim Tradition: The Question of Authenticity, p.84- 89.
2- Tradition- The Second Foundation of Islam, p.22- 23.
3- Hadith, The Encyclopedia of Islam, p.23- 24.
4-Traditional: Investigation and Classification, p.98- 99.
5-Standards Applied by Muslim Traditionists, p. 459.

(٣) Robson, James, Traditional: Investigation and Classification, p.98- 99.

(٤) Robson, James, Muslim Tradition: The Question of Authenticity, p.98.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خاصة كالتقرُّب للحكام والأكابر ولإظهار العلم والبراعة [١]. كل تلك العوامل أسهمت في إنماء كمية الحديث النبوي، إلا أنّ الله عزّ وجلّ قد قيَّضَ جهابذة ميَّزوا هذه الأحاديث وبيَّنوا عوارَها، حيث قاموا بالتأكيد على الإسناد، والرحلة طلباً للحديث والتّثبُّت فيه، كما دوّنوا الحديث النبوي، ووضعوا قواعد علوم الحديث [٢]، ونتج عن ذلك في مرحلة تالية تأليف الكتب الصِّحاح التي حَرَصَ أهلها على تطبيق قواعد صارمة في انتقاء الأحاديث الصّحيحة الصّالحة للاحتجاج والعمل بها، كما أنه قد أنتجت حركة الوضع خيراً كثيراً؛ يتمثّل ذلك في ولادة علم الجرح والتّعديل الذي كان أساساً لتأليف الكتب الصِّحاح والسُّنن، وإنّ روبسون يجهل أو يتجاهل أنّ تدوين الحديث قد مرّ بمراحل، كانت الأولى: مرحلة الجمع التي ركَّز عليها، والتي اختلط فيها الغثّ بالسّمين، ولا شكّ أنّ علماء المسلمين كان قصدهم في هذه المرحلة الجمع لا غير، وبدا شكل الجمع في هذه المرحلة على شكل مسانيد، وقد بلغت حوالي 82 مُسنداً، وعلى شكل جوامع وكتب مُصنَّفة على الموضوعات ثمّ جاءت مرحلة انتخاب الصّحيح من كلّ ما جُمِع، وكان البخاري ومسلم فارِسَيْ هذه المرحلة، تُرى هل جهِلَ روبسون هذا التّطوُّر التاريخي في تدوين الحديث أم أنه تعامى عن ذلك؟

إنّ الذي يُطالع دواوين السّنّة النبوية وخاصّة الصّحيحَيْن يجد مادة حديثية كافيّة وشاملة لجميع جوانب الحياة للمسلمين، وتلقّت الأمة أحاديث رسول الله ﷺ بالقبول لأنه لا ينطق عن الهوى، وانتشر الصحابة ﷺ في بقاعٍ مُختَلِفة بعد وفاة النبي ﷺ، ولا شكّ أنهم رووا أخبار النبي ﷺ التي عاصروها معه، إضافة إلى تدوين بعض الصّحابة ﷺ لتلك الوقائع في صحف، وكان التابعون يسمعون من أفواه صحابة رسول الله ﷺ ويكتبون ما يسمعون، وقد توخّى الصّحابة ﷺ حذرهم في رواية الأخبار؛ فكانوا يتثبّتون في الرواية، فيشيرون إلى روايتهم بالمعنى أو باللفظ، إضافة إلى سؤال بعضهم بعضاً، والتابعون من بعدهم حرصوا على التثبُّت في الروايات فكانوا يسألون الصّحابة ﷺ عما بدا لهم فيه شكّ، وهذا أكبر دليل على أن التّثبُّت في الرواية وتحرّي الصّحة في أحاديث رسول الله ﷺ قد بدأ من العهود المبكّرة، وأما الوضع في الحديث فقد بيّنه المحدثون على مرّ العصور، وأشاروا إلى أسبابه، وعرّفوا بالوضّاعين وذلك بيّن في كتب الجرح والتّعديل.

فقد تكلم عددٌ من التابعين في الرجال –عند ظهور الوضع في الحديث– مثل: الشعبي، ومحمد بن سيرين، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، ولم يُشكّل كلامهم مادة وافية

---

(١) انظر: العمري، أكرم ضياء، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، مطبعة الإرشاد- بغداد، ط 2، 1972م، ص17-42.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص43.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتداولها النُّقاد والمحدّثون، وفي حدود منتصف القرن الثاني الهجري ظهر عدد من الأئمة النّقاد الذين تميّزوا بمعرفة أحوال الرواة ونقدهم لهم، كما قبل المعاصرون ومَن بعدهم حكمهم، وخلال القرن الثالث، تطوّر مسار التّصنيف في علم الجرح والتعديل ونشأت ثلاثة أنواع من المصنّفات: فمنها ما انفرد بالثقات، ومنها ما انفرد بالضعفاء، ومنها ما جمع بين الثقات والضعفاء، وكانت أقوال النقاد هي مادة هذه المصنّفات، وأخذت ألفاظ الجرح والتعديل تتحدّد وأصبحت تتّصف بالدّقة، ولاحقاً زاد التخصص في التّصنيف، فظهرت أنواع عديدة من المصنّفات التي رتبها مصنفوها وفقاً لمعايير عديدة؛ كالاقتصار على الصحيح أو غيرها(١).

كما كان للرحلة في طلب العلم أثر بارز في امتزاج علوم الأمصار المختلفة، ومعرفة أحوال الرواة، وعُرف عن عدد من الصحابة ﷺ أنهم رحلوا للتّثبُّت في الحديث، مثل: جابر بن عبد الله وأبي أيوب الأنصاري ﷺ، واشتهر عدد من التابعين بذلك أيضاً، مثل: سعيد بن المسيب، والشعبي، والحسن البصري، وغيرهم، وكان لتلك الرحلات أثرٌ في شيوع العلم وتكثير طرق الحديث، ومعرفة أحوال الرواة(٢).

وادّعاء روبسون نموّ كتلة الحديث وتطوير مادتها ومن ثمّ تقديمها وكأنها آتية من النبي ﷺ تشبيهاً بشريعة موسى غير صحيح، لأن موسى عليه السلام لمّا بلّغ تعاليمه لم يكتب كل تلك التعاليم وإنما كتبها تلاميذه، ومنهم مَن كتبها بعد 200 سنة تقريباً تمّ تناقل الروايات فيها شفهيّاً دون الاعتناء بالسّند مما أدى إلى تضخيم الحوادث واختلاق الحكايات ونسبتها إلى موسى عليه السلام، فالمادّة في الأسفار الخمسة تحتوي على العديد من الأنواع الأدبية مثل الروايات والشرائع والتعليمات الطقسية وسلالات شعر مجموعة من مصادر مختلفة(٣).

وكلام روبسون السابق يُعَدُّ اعترافاً بأنّ التزوير والاختلاق طرأ على العهد القديم وأنها نُسِبَت إلى موسى عليه السلام لتكون مقبولة، ولا يمكن الآن معرفة الصواب وما هو آتٍ من موسى عليه السلام حقّاً وما هو مُختلَق إذ ضاعت الأصول، لذا فإنّ روبسون يُسقِط هذا المبدأ على الحديث النبوي.

أما بالنسبة إلى الحديث النبوي فقد حرص المسلمون على التدوين منذ عهد النبي ﷺ –وإن لم تُدوَّن كلها في عهده– وحرصوا على معرفة الرجال ليتحقّقوا من صحّة الحديث،

---

(١) انظر: العمري، أكرم ضياء، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، ص83–85.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص197.

(٣) جمعيّة الكتاب المقدّس– مجلس كنائس الشرق الأوسط، المرشد إلى الكتاب المقدّس، جمعية الكتاب المقدس– لبنان ومجلس كنائس الشرق الأوسط، بدون رقم طبعة، 1996م، ص122.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هنا نشأ علم الجرح والتعديل وغيره من العلوم التي ساهمت في الحفاظ على السنة النبوية الشريفة من اختلاط الأحاديث، بل بيّنوا الصحيح من غيره. وقد تضمّن كلام النبي ﷺ التّحذير من الكذب عليه، حيث قال: "مَن كذبَ عليّ مُتعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار".

ويتّضح أن روبسون أراد أن يُعطي حُكماً بأنه نتيجةً للوضع في الحديث، فإنّ البحث عن حديثٍ صحيحٍ عن النبي ﷺ كالبحثِ عن إبرةٍ في كومة قشّ، وربما هذا من منهج الإسقاط؛ إذ إنّ الواقع هو أنّ إيجاد نصٍّ منسوبٍ إلى عيسى عليه السلام على الحقيقة مثل البحث عن إبرة في كومة قشّ من جرّاء ما تعرّض الكتاب المقدّس للتّحريف.

ثالثاً: قال روبسون في موضوع بدء ظهور الإسناد: "قال ابن سيرين بأنه لم يبدأ الرِّجال بطلب مراجع إلا بعد الحرب الأهليّة. ويُشير شاخت إلى هذا كما أنه يحتجّ بأنه لا يُمكن أن يكون مَنسوباً على نحوٍ صحيحٍ إلى ابن سيرين الذي توفي عام 110هـ حيث إن الحرب الأهليّة التي ابتدأت بمقتل الخليفة الوليد بن يزيد (عام 126هـ)، قُبَيل انتهاء السُّلالة الأمويّة، كانت هي التّاريخ التّقليدي لنهاية العهد القديم الخَيِّر الذي أثناءه كانت هناك حربٌ أهليّة في العهد المَذكور إلا أنها لم تكن الأولى. فهناك الحرب الأهلية بين عليّ ومعاوية والتي أحدَثَت شَرْخاً في الإسلام ظلّ حتى اليوم. ولكن ربما يكون من المُبَكِّر جدّاً أن ندرُس تلك المدة. وعلى الأرجح فإنّ الحرب الأهليّة نشأت عندما نَصَّبَ عبد الله بن الزُّبير نفسه خليفة. وفي الموطأ يتحدَّث مالك عن رغبة ابن عمر في الذّهاب إلى مكة أثناء الفتنة والذي يقول بأنه لو كان سيواجه صُعوبة في دُخول مكّة فسَيَفعَل فِعْلَ النبي عندما مُنِعَ من زيارة الكعبة في عام صُلْحِ الحُدَيْبية. والظُّروف قد تتوافَق مع سنة 64 أو 72هـ عندما حوصِرَ عبد الله في مكة. ووَفقاً في تلك المدة. ويُمكن للمرء أيضاً أن يُجادِل في تاريخ نهاية العهود القديمة الخَيِّرة وهو عام 126هـ. فهناك حديث يروي عن النبي قوله بأنّ خير القرون قرنه ثم مَن تَبِعوه ثم مَن تَبِعوهم. وثمَّة إحدى الصِّيَغ التي تُعَبِّر عن شكّ فيما إذا ذَكَرَ جيلاً ثالثاً. والفكرة هي أنّ الأشياء سوف تسوء بعد المدة المَذكورة. وهذا يتوافق تماماً مع فترة الفتنة في عهد ابن الزُّبَير. وهو بالتّأكيد لا يتضمّن أنّ بدء فساد الأمور هو في تاريخ مُتأخِّر من القرن الثاني. وعليه فهناك سبب للاعتقاد بأنّ ابن سيرين يجب أن يُنسَب إليه ما نُسِبَ إليه من كلمات. وإذا سَلَّمْنا بذلك إنّ هذا سيُؤيِّد نظريّة هوروفيتس بأنّ الإسناد دَخَلَ أدب الحديث في الثُّلث الأخير من القرن الأوّل حيث إنه لو كان مُستَعمَلاً في وقتٍ مُبَكِّر إلى هذه الدّرَجة لَلَزِمَ أن يظهر في وقت قريب مكتوب"(١).

---

(١) انظر: Robson, James

1- Traditional: Investigation and Classification, p.102.

2−Muslim Tradition: The Question of Authenticity, p.88.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرى روبسون أنّ بدء ظهور الإسناد واهتمام المسلمين به قد بدأ بحدود سنة 64هـ أو 72هـ، وذلك اعتماداً على الأثر المنسوب لابن سيرين وهو: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فيُنظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم"(١)، وقد ناقش روبسون ادّعاء المستشرق شاخت بأنّ هذا الأثر قد نُسِبَ زوراً إلى ابن سيرين استناداً إلى تحديد الفتنة وتاريخها؛ حيث يرى المستشرق شاخت أنّ الفتنة هي فتنة مقتل الخليفة الوليد بن يزيد عام 126هـ، وهذه الفتنة قد حدثت بعد وفاة ابن سيرين بستة عشر عاماً، مما استدعاه إلى إنكار نسبة هذا الأثر إلى ابن سيرين.

وقد ناقش هذه المسألة أكرم ضياء العمري في كتابه "**بحوث في تاريخ السنّة المُشَرَّفة** "، ويرى العمري أنّ شاخت قد أخطأ في تحديد الفتنة وتاريخها، حيث اعتمد -شاخت- على "التوافُق في استعمال كلمة (فتنة) بين قول ابن سيرين ونص ورد في الطبري حيث قال في حوادث سنة 126هـ (اضطرب أمر بني مروان وهاجت الفتنة) وقد جرّ هذا الافتراض شاخت إلى اعتبار كلام ابن سيرين موضوعاً عليه لأنه توفي سنة 110هـ أي قبل الفتنة"(٢).

كما يرى العمري أنّ الفتنة المقصودة هي الفتنة الي بدأت زمن عثمان ﷺ، وأنّ الأحاديث حتى في ذلك الوقت لم تكن تُروى بأسانيد تامّة، إذ إنّ الصّحابة لم يكونوا يلتزمون بذِكْرِ الإسناد عندما لا يكون الحديث مرويّاً عن رسول الله ﷺ مباشرة، ويَعتَبِر أنّ السؤال عن الإسناد قد أخذ موضِعَه في زمن كبار التابعين(٣).

وأما محمد مصطفى الأعظمي، فإنّه يرى أنّ شاخت قد فسّر الفتنة تفسيراً تابِعاً لهَواه، إذ حدثت فِتَنٌ كثيرة في التاريخ الإسلامي المُبَكِّر، وتَخَيَّرَ شاخت ما يُناسب وجهة نظره، ويرى أنّ تفسير روبسون للفتنة بفتنة ابن الزُّبير تفسيرٌ خاطئٌ؛ حيث إن الأمة الإسلاميّة مَرَّت بفتن كثيرة قبل فتنة ابن الزُّبير، مما أدّى إلى ظهور الوضع في فترة مُبَكِّرة عن فتنة ابن الزُّبير، وهذا ما ثبت تاريخيّاً، مما يعني أنّ المحدّثين فتّشوا عن الأسانيد -لصيانة الحديث النبوي من الوضْع- قبل فتنة ابن الزُّبير، وهذا الأمر أيضاً ثابتٌ تاريخيّاً(٤).

وقد أثار هذا الأثر عن ابن سيرين إشكالات عديدة في فهمه لدى المستشرقين خاصّة، وهذه الإشكالات هي:

---

(١) مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، مقدّمة صحيح مسلم ومعه المنهاج للنووي، ص44، رقم (27).

(٢) العمري، أكرم ضياء، بحوث في تاريخ السّنّة المُشَرَّفة، ص 46، نقلاً عن: Shacht, The Origins of Muhammadan Jurisprudence, p.36- 37.

(٣) العمري، أكرم ضياء، بحوث في تاريخ السُّنّة المُشَرَّفة، ص47-48.

(٤) انظر: الأعظمي، محمد مصطفى، دراسات في الحديث النبوي، المكتب الإسلامي، بيروت-دمشق- عمّان، (بدون رقم الطبعة)، 1992م، ج2، ص395- 397.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً: أنّ هذا القول فيه إشارة إلى أنّ الإسناد لم ينشأ ويأخذ أهميّته إلا بعد الفتنة.
ثانياً: مسألة تحديد الفتنة(١).

فيما يتّصل بالإشكال الأول فإنه يُحَلُّ عند معرفة المقصود بقول ابن سيرين "لم يكونوا يسألون عن الإسناد"، والمراد بهم هم الصحابة ﷺ، حيث إنهم برغم أنهم كانوا يستوثقون من الحديث قبل روايته، وِفقاً لِما يقتضيه الحال، أي إنّ الاستيثاق من القول كان منهجاً نبويّاً إلا أنّ الحاجة كانت لا تستدعي شدّة التّحرّي والتّقصّي، وذلك أنهم كانوا خير القرون، وقد كان سموّ أخلاقهم ودينهم يمنعهم من القول على لسان رسول الله ﷺ ما لم يقله، وإنما كان الصّحابي يُعارِض قول صحابيٍّ آخر ليس من باب التّكذيب أو الاتّهام، وإنما من باب تصحيح الخبر الوارد عن رسول الله ﷺ.

وهذا لا يُنافي القول إنهم أوّل مَن تثبّتوا واستوثقوا من الأحاديث النبوية، حفاظاً على الدين، وحِرْصاً على سلامة نقل الحديث النبوي كما ورد عن رسول الله ﷺ، ولا ينفي أيضاً أنّ الاهتمام بالإسناد كان منذ عصر النبوّة.

وممّا يؤيّد هذا التفسير ويُضعِف تفسير روبسون، أنّ ابن سيرين قال: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد.." ولم يقل: "لم نكن نسأل"، وهناك فرقٌ كبيرٌ بين القولين إذ أنّ القول الأول يدلّ على أنّ ابن سيرين أراد به أشخاصاً ليسوا من عصره، ولو أراد به فتنة ابن الزبير لقال القول الثاني لأنه عاصر هذه الفتنة، أما وقد قال القول الأول فهذا يعني أنه أراد به شيوخه وهم الصحابة ﷺ، فهو من التّابعين فيكون المراد بقوله هم شيوخه الصحابة ﷺ(٢).

وأما الإشكال الآخر، فإنّ الأقوال تعدَّدَت في تحديد المقصود بالفتنة، ومن تلك الأقوال قول المستشرق شاخت من أنّ المقصود بالفتنة هي فتنة مقتل الخليفة الوليد بن يزيد سنة 126هـ وانتهاء حكم الأمويين، ومنها أيضاً تفسير المستشرق جيمس روبسون بأنّ المراد بها هي فتنة ابن الزُّبير، مما يؤدّي بنا إلى القول أنّ الإسناد لم يكن ذا قيمة لحين سنة 64هـ أو 72هـ أي في الثُّلث الأخير من القرن الأول، ويستحضر روبسون رأي المستشرق هوروفيتس بأنّ الإسناد قد دخل إلى الحديث النبوي في الثُّلث الأخير من القرن الأول لتأييد زعمه، وهذا ما ينفيه الواقع والتّاريخ المُدَوَّن عن تلك المدة.

---

(١) www. al7ewar.net/forum/showthread.php?p=58009
مقال بعنوان: إشكالات أثر سيدنا ابن سيرين: لم يكونوا يسألون عن الإسناد، كتبه: أحمد الحمّادي.
(٢) انظر: الأعظمي، محمد مصطفى، دراسات في الحديث النبوي، ج2، ص396- 397.
www.sd-sunnah.com/vb/showthread.php?t=1286

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والصّحيح أنّ المقصود بالفتنة هنا هي الفتنة التي عصفت بالخلافة الرّاشدة، فإذا قيل : (الفتنة) بالتعريف"بأل" التي هي للعهد، فهي الفتنة المعهودة التي لا يجهلها أحد(١).

رابعاً: يؤمن روبسون بما آمن به سلفُه من المستشرقين بأنّ نقد الحديث اقتصر على السند ولم يشمل المتن؛ نتيجةً لظهور الأحاديث الزّائفة –حسب تعبيره–، فقد لجأ المحدّثون إلى التّفتيش عن السّند ونقدهم له والتّركيز عليه دون نقد المتن(٢)(٣).

وهذا ما تهافت القول به العديد من المستشرقين، وقد فنّد كثيرٌ من الباحثين المسلمين هذا الرّأي وبيّن خطأه، حيث كان نقد الحديث لدى المحدثين يتضمّن نقد السّند كما تضمّن نقد المتن أيضاً، ومن هنا نشأت علومٌ لدى المحدّثين تُعنى بمتون الأحاديث وأحوالها، وقد ظهر الاهتمام في نقد المتون في عصر الصحابة ﷺ، حيث كان بعضهم يرد بعض ما روى غيرهم لأسباب منها عدم الاتفاق المروي مع الأصول الثابتة للدين، وتبعهم التابعون بعدهم، وفي عصرهم تطورت علوم نقد المتن وظهرت له قواعد علمية دقيقة، واعطى المحدثون ألقاباً اصطلاحية للأحاديث حسب صفات خاصة بالمتن كالشاذ والمقلوب والمضطرب، وكذلك من القواعد التي وضعها المحدثون لنقد المتن ما يلي:

أ. الخبر المخالف لصريح العقل ولا تأويل له فهو باطل.

ب. اعتبار ركاكة اللفظ او ركاكة المعنى سبباً لنقد الحديث.

ج. اعتبار مخالفة القرآن أو السنة المتواترة او الاجماع القطعي سبباً لنقد الحديث.

ويُعَدّ نقد السند خطوة أولى لنقد الحديث، إذ لا يكون الخبر ذا قيمة إلا أذا كان المخبر ثقة، ومتى ما توفرت شروط تصحيح السند تصبح الحاجة أقل –نوعاً ما – لنقد المتنن، ثم إن نقد المتن لا يصح إلا أن يكون ممن له باعٌ في الحديث وعلومه حتى صارت له معرفة علمية كبيرة

---

(١) انظر: الأعظمي، محمد مصطفى، دراسات في الحديث النبوي، ج2، ص395.
www.sd-sunnah.com/vb/showthread.php?t=1286

(٢) Robson, James, the Isnad in Muslim Tradition, p. 21- 22.

(٣) وهي "شنشنة عرفناها من أخزمَ"، فإنّ المُستَشرقين عموماً كانوا وما زالوا يُدندنون حول هذه المسألة: لا يُتقنون إلا نقد السّند، وفاقد الشّيء لا يُعطيه؛ فإنّ كتب دياناتهم ليس فيها أسانيد، فهم قد زوروا الإسناد، ولما وجدوا عند المسلمين هذه الميِّزة أراد روبسون وغيره التقليل من شأنها، مع أنّ المستشرق مرجوليوث قال: "ليفتخر المسلمون ما شاؤوا بعلم حديثهم"، ولم يعتمد روبسون منهجاً علميّاً في هذه المسألة، وليته كان مُنصِفاً وعلميّاً في طروحاته. انظر: أبو غدّة، عبد الفتاح، الإسناد من الدين، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ط1، 1992م، ص34.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وممارسة فيه، ولا يتم نقد المتن وِفق هوى الناقد وميوله وإنما وِفق القواعد التي وضعها النقاد(١).

5. المنهج الاستقرائي الناقص:

لم يقم روبسون في أبحاثه باستقراءٍ تامّ لأحاديث معيّنة ذات الصّلة بموضوع مُعيَّن، وإنما كان استقراؤه ناقصاً، مثل:

أولاً: بحث مادة الحديث (2) التي تحدّث روبسون فيها عن عيسى ﷺ وصفاته الخِلقيّة؛ فإنه اقتصر على بعض الأحاديث من صحيح البخاري(٢).

حيث اهتمّ روبسون بالموضوعات التي تحدّثَت عن: الصِّفات الخِلْقيّة لعيسى ﷺ، ومسألة انفراد عيسى ﷺ وأمّه بعدم وخز الشيطان لهما، ويرى روبسون أنّ هذا الأمر يُوازي مسألة الخطيئة الأصلية(٣) في المسيحيّة التي حُفِظَ منها عيسى ﷺ وأمّه، وكذلك اهتمّ بالأحاديث التي تتكلّم عن نزول المسيح ﷺ في آخر الزّمان.

ثانياً: وكذلك فعل في أبحاث روايات السنن الأربعة، فقد تخيّر من الروايات ولم يقم بدراستها جميعاً.

---

(١) السلفي، محمد لقمان، اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم، دار الداعي للنشر والتوزيع – الرياض، ط2، 1420هـ، ص473- 475.

(٢) انظر: .Robson, James, The Material of Tradition 1, p.166

(٣) الخطيئة الأصليّة عند علماء اللاهوت هي: خطيئة آدم ﷺ، إذ ارتكبَ ما نهاه الله عنه.

انظر: صليبا، جميل، المُعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، دار الكتاب المصري- القاهرة، (بدون الطبعة والسّنة)، ج1، ص535.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثالث: خصائص المناهج والدراسات الحديثية عند روبسون

أولاً: اعتمد روبسون في دراساته حول الحديث النبوي على الكتب السّتة بشكل رئيس، إضافة إلى اعتماده على الموطأ والسيرة لابن إسحاق، كما اعتمد في تناوله علوم الحديث على مؤلفات علماء الحديث، كالترمذي وابن الصلاح والتهانوي وابن حجر وغيرهم.

وينبغي الإشارة إلى اعتماده فيما يتعلّق بالإسناد على دراسات سلفه من المستشرقين أمثال شاخت[١] (Shacht) وجولدزيهر[٢] (Goldziher) وهوروفيتس[٣] (Horovets) وجب[٤] (Gibb) وسانتيلانا[٥] (Santillana) وسنوك[٦] (Snock)، وكايتاني[٧] (Caetani)، وشبرينجر[٨] (Sprenger)، ولامينس[٩] (Lammens)، ولوث[١٠] (Loth)، وتتّسم جميع كتابات هؤلاء حول الإسناد بالتشكيك والاتهام، ولم يعتمد على المصادر الإسلامية فظهرت أخطاءٌ فادحة في نتائجه التي توصّل إليها.

---

(١) سبقت ترجمته في التمهيد، ص17.

(٢) سبقت ترجمته في التمهيد، ص17.

(٣) سبقت ترجمته في التمهيد، ص17.

(٤) سبقت ترجمته في التمهيد، ص17.

(٥) ديفيد سانتيلانا (1855- 1931م) David Santillana، مُستشرق إيطالي، وُلد في تونس، نال درجة الدكتوراه في القانون من جامعة روما، وعُني بالفقه الإسلامي وفلسفته، وكان قد شارك لجنة إعداد القوانين التونسية، فوضع القانون المدني والقانون التجاري في تونس، وكان له معرفة واسعة في المذهبَيْن المالكي والشافعي، كما كان أستاذاً لتاريخ الفلسفة (1910م)، وأستاذاً في جامعة روما لتدريس القانون الإسلامي فيها. انظر: العقيقي، نجيب، المستشرقون، ج1، ص428.

(٦) سبقت ترجمته في التمهيد، ص12.

(٧) سبقت ترجمته في التمهيد، ص16.

(٨) سبقت ترجمته في التمهيد، ص16.

(٩) الأب لامينس (1862- 1937م) Lammens, P. H.، من المستشرقين الرهبان، بلجيكي المولد، فرنسي الجنسية، أصبح راهباً سنة (1878م)، درس تخصص اللغة العربية في جامعة القديس يوسف في بيروت، وشغل مناصب منها: أستاذ البيان في جامعة القديس يوسف ثم رحل حيث كان مدرّساً للاّهوت في إنجلترا، ودرّس في لوفان، وفيينا وروما، وعاد إلى جامعة القديس يوسف ببيروت وعُهد إليه بالدراسات الشرقية وبرع فيها، توفي في بيروت، عُني بتاريخ الشرق الأدنى، وبتاريخ نصارى الشرق، وبتاريخ الإسلام والإسلاميات، وبالتاريخ المعاصر، وبالعقائد والتصوف والنظم والعادات الإسلامية، وبالفرق، وبفقه اللغة واللغات والأدب العربي، وبالعلوم، وبالرهبنة. انظر: العقيقي، نجيب، المستشرقون، ج3، ص293-296.

(١٠) أو لوث (1844- 1881م) O. Loth، مستشرق ألماني، درس على يد المستشرق الشهير فلايشر في لايبزيج، وحصل على درجة الدكتوراه، وكانت أطروحته متعلّقة بابن سعد، "عمل مدة في مكتبة المتحف البريطاني في لندن". انظر: العقيقي، نجيب، المستشرقون، ج2، ص386.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واعتمد فيما يتعلّق بروايات صحيح مسلم والسنن الأربعة، على أسانيد ابن حجر وابن عبد البر إلى المُصنِّف.

ثانياً: اهتمّ روبسون بموضوعات علوم الحديث والسيرة النبوية وعلامات اليوم الآخر وتحديداً مسألة نزول عيسى عليه السلام؛ ويعود تخصّصه في الحديث واهتمامه به إلى مكانته لدى المسلمين، ولأنّ الطّريق الأوّلي لهدم الأسس الإسلامية هو التشكيك بالحديث النبويّ الشّريف، كما أنّ اهتمامه بالسيرة يعني اهتمامه بالعهود المبكّرة للإسلام، والتركيز على تلك المدة أمرٌ مهم للتّشكيك في الدين في تلك المرحلة، وبالتالي القضاء عليه في مهده، كما يعود اهتمامه بموضوعات اليوم الآخر ونزول عيسى في آخر الزمان إلى البعد العقائدي، ولم يتطرّق إلى موضوعات أسباب ورود الحديث، أو استقصاء الأحاديث التي تتعلّق بموضوعٍ معيّن.

ثالثاً: اعتمد على المصطلحات الإسلامية في قضايا علوم الحديث، كالحسن والغريب وغير ذلك، كما يذكر روبسون التعريفات الاصطلاحية للمصطلحات الحديثية التي يتناولها في بحثه.

رابعاً: التناقض في الكلام؛ ويمكن التدليل على ذلك من خلال أقواله، حيث قال: "القرآن لا يتضمّن إرشاداً كافياً"، وقال في موضعٍ آخر: "إنّ ما هو بالإمكان تتبّعه حتى الوصول إلى النبي يمكن العثور عليه في القرآن ثمّ القرآن وحده"[١].

خامساً: يُكثر روبسون من الحكم في قضايا الحديث النبوي بواسطة شعوره وإحساسه اللذين لا يصلحان أن يكونا فيصلاً علمياً موضوعياً في الحكم على الحديث، فمثلاً، قال روبسون: "**والمرء يشعر شعوراً مقبولاً بتأكيده من أنه بحلول الوقت الذي تمّ فيه وضع كتب الحديث المُعتَرَف بها أثناء القرن الثالث الهجري ؛ فإنّ مؤلِّفيها لم تكن لديهم فكرة عن الصِّفة المَشكوك فيها للأسانيد التي قبلوها على أنها صحيحة...**" [٢].

سادساً: تحريف النّص وإخضاعه بما يتّفق مع فكرته؛ مثل: حكايته لقصّة الغرانيق، حيث يقول: "إنّ النبي أثناء وجوده بمكة قد اعترف بثلاثة آلهة موجودة لدى العرب، باعتبارها وسائط لدى الله، ثم أدرك استحالة ذلك لاحقاً، فتمّ عزو الخبر إلى إيحاءات الشيطان"[٣]، نلاحظ هنا التّمسّك بما يؤيّد فكرته ولو كان حديثاً موضوعاً؛ فحادثة الغرانيق – وبصورتها المحرّفة–

---

(١) Robson, James, Muslim Tradition. The Question of Authenticity, p.84, 102.

(٢) Robson, James, Ibn Ishaq's use of Isnad, p. 449.

(٣) المرجع السابق، ص84.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تخدم وجهة نظر روبسون؛ لذا فهو يرى أنّ لها أصلاً، يقول: "من الصّعب جداً رؤية كيف أنّ مثل هذه القصّة قد نشأت دون أن يكون لها أساس في الحقيقة"[١][٢].

---

(١) المرجع السابق، ص98.

(٢) ويتّضح أنّ روبسون لم يلتفت إطلاقاً إلى درجة صحّة هذه الحادثة؛ حيث إنها موضوعة لا أصل لها !، انظر: الألباني، محمد ناصر الدين، نصب المجانيق نسف قصّة الغرانيق، منشورات المكتب الأسلامي – دمشق، 1952.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الرابع: دعوة روبسون لتطبيق نقد الشكل على الحديث النبوي

يدعو روبسون إلى إسقاط المناهج الغربية على الحديث النبوي وهي لا يصلح تطبيقها عليه، وإخضاع الحديث للنقد العقلي، وعدم الالتفات إلى خطورة ما يمكن التّوصّل إليه؛ فهو يدعو –بطريقة أو بأخرى– إلى تطبيق منهج نقد الشكل Form Criticism –وهو أحد المناهج المتّبعة في نقد الكتاب المُقَدّس– على الحديث النبوي؛ للتّمكّن من غربلة الحديث، إلا أن روبسون لا يُعطي أية نتائج مُتَوقّعة، حيث قال: "**إذا سلّمنا بوجود احتمالٍ ما بأنّ تكرار النثر بصورة دقيقة هو أصعب من تكرار الشعر فإننا نكون ما زلنا قادرين على الاعتقاد بأنه كان هناك أناسٌ قادرون على الأقل على إعادة تقديم عرض قريب من الدّقة للكلمات التي سمعوها. ولكن إذا كان علينا أن نقرّر على أي مُستوى من مستويات الاحتمال ماهي النواة الحقيقية فإنّ دراسة الأسانيد وحدها لا تكفي بحدّ ذاتها سواءً أخذنا بعين الاعتبار جميع الأسانيد المُتَعدّدة التي لا بدّ أن نُشاهدها في الكتب المُعتَرَف بها للأحاديث أو قَصَرْنا دراستنا على الأسانيد المُشاهدة فقط فيما نملكه من أقدم المؤلّفات. فالمرء بناءاً على ذلك يجب أن يُقرِن دراسة الأسانيد بطريقة فهم أُخرى للموضوع**"[١].

شكّك روبسون في كلامه السابق بإمكانية التوصُّل إلى قول النبي ﷺ بنفس الألفاظ التي رواها عبر دراسة الإسناد فقط (النقد الخارجي)، وزعم أن المسلمين لم يتطرّقوا إلى نقد المتن (النقد الداخلي) الذي عبره فقط يمكن معرفة ما قاله النبي ﷺ بنفس اللفظ، ونقد المتن هو عين المنهج المُعتَمد في نقد الكتاب المُقَدَّس والذي أثبتَ جدواه –كما يرى روبسون– ولم يشعروا معه إلى الحاجة إلى السند وإلى نقده.

ويزعم أن دراسة الأسانيد لا تنفعنا في التوصُّل إلى النواة الحقيقية للحديث، سواءً درسنا الأسانيد العديدة الموجودة في كتب الحديث أو الأسانيد الموجودة في أقدم المؤلَّفات.

ينتمي الحديث النبوي إلى شكلٍ أدبيٍّ واحد وهو النثر، وبالتّأكيد كان العرب في ذلك الوقت مُعتَمدين –في الغالب– على الحفظ والرواية الشفوية في نقل الكلام سواءً كان شعراً أو نثراً، وهذا الأمر ليس بمُستَغرَب فحتى الآن نجد مَن يحفظ النثر ويؤدّيه كما سمعه وقد تصل قدرة الفرد على الحفظ والنقل درجة عالية فيؤدي الكلام حرفيّاً كما سمعه، وهذا ما كان عليه العرب سابقاً على الأعم الأغلب وليس كما يوحي روبسون بأنه أمر محتمل الوقوع أو نادر الوقوع، فترى العديد من كتب الأدب وصلت إلينا مُسنَدة من مُصنّفيها...

---

(١) Robson, James, Ibn Ishaq's use of Isnad, Bulletin of the John Rylands Library, Volume 38, number 2, March 1956, p.464- 465.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكيف بأرفع أنواع الأدب وأجلّه وهو كلام رسول الله ﷺ الذي اتّبع فيه المحدّثون قواعدهم النقدية منذ بدء الرواية؟

وما ذكره روبسون يتعلّق بمسألة الرواية باللفظ أو بالمعنى، فالنواة الحقيقية في نظر روبسون هي الرواية باللفظ ولا يعتقد أنه عبر دراسة الأسانيد سوف نتحقّق من قول النبي ﷺ على الحقيقة.

لقد اعتنى المُحَدّثون عنايةً كبيرة في نقد السند والمتن، وزعْم روبسون أن نقد السند لا يجدي نفعاً وأن المتون لم تُنقَد فزعمٌ باطل، هذه الدعاوى ردّدها المُستَشرِقون قبله من أمثال: شاخت[١] (Schacht) وجولدزيهر[٢] (Goldziher) وكايتاني[٣] (Ceitani)، وروبسون لم يُدرك أهمية الإسناد في الدين الإسلامي، وأنها ميّزة انفرد بها المسلمون عن سائر الأمم، وقد وردت أقوالٌ للأئمة السابقين في أهمية الإسناد ومكانته من الدين الإسلامي؛ قال الإمام عبد الله بن المبارك: "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال مَن شاء ما شاء، ولكن إذا قيل له: مَن حدّثك؟ بقيَ"[٤]، وعن سفيان الثوري قال: "الإسناد سلاح المؤمن"[٥].

وقال الحافظ أبو سعد السّمعاني: "وألفاظ رسول الله ﷺ لا بدّ لها من النقل، ولا تُعرَفُ صحّتها إلا بالإسناد الصّحيح، والصّحة في الإسناد لا تُعرَفُ إلا برواية الثقة عن الثقة، والعدل عن العدل"[٦].

وقال الإمام أبو حاتم الرازي: "لم يكن في أمّة من الأمم، منذ خلق الله آدم، أُمَناء يحفظون آثار نبيّهم، وأنساب سلَفِهم، إلا في هذه الأمة"[٧].

وبالمقارنة مع كتب أهل الكتاب –الكتاب المُقَدّس أو التلمود– فإنّ تلك الميّزة لم تكن موجودة عند أي ديانة أُخرى، فمحمد ﷺ خاتم الأنبياء وكتابه وسنته خاتمة الرسالات السماوية لذا تكفّل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية والإسناد كان عمود هذا

---

(١) سبقت ترجمته في التمهيد، ص17.

(٢) سبقت ترجمته في التمهيد، ص17.

(٣) سبقت ترجمته في التمهيد، ص16.

(٤) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، كتاب العلل، ص887.

(٥) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ، تدريب الراوي، تحقيق: أبي قتيبة نظر محمد الفاريابي، مؤسسة الريان، بيروت– لبنان، ط1، 2005م، ص434.

(٦) السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور، أدب الإملاء والاستملاء، تحقيق: ماكس فايسفايلر، دار الكتب العلمية– بيروت، ط1، 1981م، ص8.

(٧) السخاوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن، فتح المغيث، تحقيق وتعليق: علي حسن علي، مكتبة السنة– القاهرة، (بدون رقم طبعة)، 2003م، ج3، ص330.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحفظ، قال محمد بن حاتم بن المُظَفَّر: "إن الله تعالى أكرم هذه الأمة وشرَّفها وفضَّلَها بالإسناد، وليس لأحدٍ من الأمم كلِّها قديمها وحديثها إسناد، وإنما هي صُحُف في أيديهم، وقد خَلَطوا بكتُبِهم أخبارَهم، وليس عندهم تمييز بين ما نَزل من التوراة والإنجيل مما جاءَهم به أنبياؤهم، وبين ما ألحقوه بكتُبِهم من الأخبار التي أخذوها عن غير الثقات، وهذه الأمة الشريفة –زادها الله شرفاً بنبيِّها–، إنما تَنُصُّ الحديث –أي ترويه– عن الثقة المعروف في زمانه، المَشهور بالصّدق والأمانة، عن مثلِه، حتى تتناهى أخبارُهم، ثمّ يبحثون أشدَّ البحث حتى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ، والأضبط فالأضبط، والأطول مُجالَسةً لمَن فوقه ممَن كان أقصرَ مُجالَسة، ثمّ يكتبون الحديث من عشرين وجهاً –أي طريقاً– وأكثر، حتّى يُهذِّبوه من الغلط والزَّلل، ويضبطوا حُروفَه، ويَعُدُّوه عدّاً. فهذا من أفضل نعم الله تعالى على هذه الأمة"[(١)].

كما يجب في هذا المقام توضيح نقطة أساسية أثارها روبسون وهي: إن كان الحديث مروياً بالمعنى فهذا ليس أسلوب النبي ﷺ.

ويمكن الإجابة بأنه " لا يجوز أن نهدر نصوصاً جميلةً رائعة أياً كان قائلها. شهد بسحرها البالغ عمالقة في التذوُّق من أمثال الجرجاني وحلّلوا بعضاً منها... من أجل ذلك فإننا نرى أنّ هذه النصوص تستحقّ الدراسة... فإن لم يكن –كما تزعم هذه الشبهة– للنبي ﷺ لفظها كاملاً فإنّ له معناها ومعظم لفظها وغاية ما يفعل الراوي أن يضع لفظاً محل لفظ في أكثر الأحيان"[(٢)].

وأما فيما يتعلّق بالرواية بالمعنى فلها شروطها، وهي:

1 -أن يكون الراوي عارفاً بدلالات الألفاظ ومعانيها.
2 -أن تكون روايته للمعنى لخبرٍ ظاهر وليس للخبر المحتمل فربما لا يؤدي مراد رسول الله ﷺ بألفاظه –أي بلفظ الراوي–.
3 -أن لا تكون رواية الراوي بالمعنى قاصرة عن الأصل في إفادة المعنى، وأن لا يكون فيها زيادة أو نقصان[(٣)].
4 -"أن لا يكون الخبر من جوامع كلم رسول الله ﷺ"[(٤)].

---

(١) المرجع السابق، ج3، ص330.

(٢) الصباغ، محمد لطفي، التصوير الفني في الحديث النبوي، المكتب الإسلامي- بيروت، ط 1، 1988م، ص30.

(٣) المرجع السابق، ص31.

(٤) ملأخوذة من تعليقات فضيلة الدكتور باسم الجوابرة على هذه الدراسة بتاريخ 210/8/2م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال روبسون أيضاً: **"قد يكون مثل هذا الأسلوب مُشاهداً في صورة نقد شكلي مُطبّق على الأناجيل. غير أن الموقف بالتأكيد ليس هو الموقف ذاته حيث إننا لا نجد العناصر المُتَعَدِّدة للمصادر مفروزة لنا في الأناجيل كما نجدها في أسانيد الحديث الإسلامي حيث تكون الرواية على الأقل راجعة إلى الوراء حتى الوصول إلى المصدر. وعلاوةً على ذلك فإنّ دارسي العهد الجديد بشكلٍ مُطلَق مُتّفِقون حول قيمة أسلوب نقد الشكل. وعليه فأنا لا أقترح بأنّ تطبيق النّقد الشّكلي سوف يحلّ المشاكل ولكن أقترح بأنّ تفحُّص الشّكل الذي تُعرَض فيه مُختَلَف أنواع المادة مع وجود ومع عدم وجود أسانيد قد يُفضي إلى نتيجة مُعَيَّنة فيما يتعلَّق بالطريقة التي أصبحت بها التّفاصيل الخاصّة بالنّبي معروضة، ومن ثمّ يُمكننا عن طريق دراستنا بصفة خاصّة للمادة التي نجدها في أقدم المصادر أن نكتشف فيما إذا كانت الرواية المُتَعَلِّقة بأفعال النبي وأقواله قد طرأ عليها تحوير أو تعديل في تاريخ مُبَكِّر نسبياً"**(١).

يقترح روبسون أن ننقد شكل الحديث بدلاً من أن ندرس الإسناد، وذلك راجعٌ إلى أن ربسون قد شَرِقَ وغصَّ بمسألة الإسناد فهو خصمٌ له وعدو شرس، لأن العهدين القديم والجديد ليس فيهما هذه الخصيصة، وهو يعني بذلك أن ندرس المتون بنفس الطريقة التي يُدرَس فيها الكتاب المُقَدَّس، وعليه فإن نتائجَ ما ستتبيّن بعد الدراسة والتجربة العَمَلية، واقتراح روبسون ناشئ من عدم إيمانه بجدوى دراسة السند.

يمكن تعريف نقد الشكل (Form Criticism) بأنه منهج "يقوم بدراسة أسلوب الكتابة في الكتاب المُقَدَّس. وتختلف الأساليب باختلاف الكتابات. فالمقال الأدبي يختلف في أسلوبه عن الشعر. وترتيب الشريعة يختلف عنه في المزامير. وغالباً ما يُلقي أسلوب قطعة أدبية الضوء على طبيعة هذه القطعة وخلفيَّتها أو (ظروفها الحياتية). والطريقة الأساسية لنقد الصيغة الأدبية هي في مقارنة النصوص المُتَشابهة، من أجل تحديد الخصائص المميّزة لنوع معيَّن من الأدب، ثم العمل على تحديد أسباب هذه الخصائص"(٢)(٣).

---

(١) Robson, James, Ibn Ishaq's use of Isnad, p. 465.

(٢) جمعيّة الكتاب المقدّس– مجلس كنائس الشرق الأوسط، المرشد إلى الكتاب المقدّس، ص183.

(٣) بسبب التناقضات الموجودة في الأناجيل الأربعة فإنهم يدّعون أن الاختلافات ما هي إلا حيلة أدبية! والمُقارنة بين نصوص الأناجيل حسب منهج نقد الشكل يُعَرِّفنا بالخصائص الأدبية –الناشئة من تلك الحيل– للأناجيل!

ويعني روبسون بـــ"مقارنة النصوص المُتشابهة"، مثلاً لو كان لدينا نصّ فلسفي فإننا حتى نحتاج لمقارنته مع نصّ آخر إلى أن يكون فلسفياً أيضاً، أي؛ نص له نفس الأسلوب الأدبي، وللتمثيل قصّة شفاء الأعمى المذكورة في الأناجيل تختلف روايتها في إنجيل مرقص عن متى، ففي إنجيل مرقص (10: 46– 52)،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقصد روبسون هنا بـــ"العناصر المتعدّدة للمصادر مفروزة لنا"، أي أنّ النّص (المتن) هو الذي يعكس الصحّة والأصالة؛ فمن خلال النّص نستطيع أن نعرف مدى صحّة القول، والقائل، والزمن الذي قيلت فيه، والثقافة السائدة في ذلك الوقت، وتاريخ الأمة التي كُتِبَ فيها هذا النّصّ، فالنّص نُقِلَ عن طريق التّقليد، وحتى نقد التّقليد هو في المحصّلة دراسة للمتن.

كما وقد كان يُطلَق على هذا العلم "النقد الاجتماعي الأدبي" [١] ويُعتَبَر الألماني هيرمان جونكل Hermann Gunkel[١] وهو أحد دارسي العهد القديم ، أوّل مَن طبَّق هذا المنهج على سفر التكوين Genesis في أبرز إسهام له في هذا المجال سنة 1901م في كتاب بعنوان[٢]:

شفاء برتيماوس الأعمى: "ووصلوا إلى أريحا، ومعه تلاميذُه وجمهورٌ كبيرٌ، كان برتيماوس، أي ابن تيماوس، وهو شحّاذٌ أعمى، جالساً على جانب الطريق. فلمّا سمع بأنّ الذي يمرُّ من هناك هو يسوع النّاصريّ، أخذ يصيح: (يا يسوع ابن داود، ارحمني!) فانتهره كثيرٌ من الناس ليسكت، لكنّه صاح بصوتٍ أعلى: (يا ابن داود، ارحمني!) فوقف يسوع وقال: (نادوه!) فنادوا الأعمى وقالوا له: (تشجّع وقُم! ها هو يُناديك!) فألقى عنه عباءَتَه وقام وجاء إلى يسوع. فقال له يسوع: (ماذا تُريد أن أعمل لك؟) قال: (يا معلِّم، أن أُبصِر!) فقال له يسوع: (اذهب! إيمانك شفاك). فأبصر في الحال وتَبِعَ يسوع في الطّريق".

وفي متى (20: 29-34)، يسوع يشفي أعمَيَيْن: "وبينما هم خارجون من أريحا، تَبِعَت يسوع جموعٌ كبيرة. وسمِعَ أعميان جالسان على جانب الطريق أنّ يسوع يمرُّ من هناك، فأخذا يصيحان: (ارحمنا يا سيّد، يا ابن داود!) فانتهرتْهما الجُموعُ ليسكُتا. لكنّهما صاحا بصوتٍ أعلى: (ارحمنا، يا سيّد، يا ابن داود!) فوقف يسوع وناداهما وقال لهما: (ماذا تُريدان أن أعمل لكما؟) أجابا: (أن تفتح أعيُننا، يا سيّد!) فأشفق يسوع عليهما ولَمَسَ أعيُنَهُما، فأبصرا في الحال وتَبِعاه".

وفي لوقا (18: 35- 43)، يسوع يشفي أعمى: "واقترب يسوع من أريحا، وكان رجلٌ أعمى جالِساً على جانب الطّريق يستعطي. فلمّا أحسّ بمرور الجُموع سأل: (ما هذا؟) فأخبروه أنّ يسوع النّاصريّ يمرُّ من هناك. فصاح الأعمى: (يا يسوع ابن داود، ارحمني!) فانتهره السّائرون في المُقَدِّمة ليسكت. لكنّه صاحَ بصوتٍ أعلى: (يا ابن داود، ارحمني!) فوقف يسوع وأمَرَ بأن يُقَدِّموه إليه. فلمّا اقترب سأله: (ماذا تُريد أن أعمل لك؟) فأجابه: (أن أُبصِر، يا سيّد!) فقال له يسوع: (أَبصِرْ، إيمانُكَ شفاك!) فأبصَرَ في الحال وتَبِعَ يسوع وهو يحمد الله. ولمّا رأى الشَّعبُ ما جرى، مَجَّدوا الله كُلُّهُم".

استنتج النُّقّاد من مقارنة النّصوص المتشابهة خصائص الأسلوب الأدبي لدى كلّ إنجيل، فمرقص اهتمّ بإثبات أن يسوع هو المسيح، وأما متّى فقد قَصَدَ بالأعمَيَيْن اليهود والوثنيّين؛ حيث اهتمّ بوعظ اليهود والوثنيّين، وأمّا لوقا فقد ناسبتْ كتاباته الجميع وخاصّة الأمم الوثنيّة.

(١) بوزيه، لويس؛ سنّو، أهيف؛ فاروقي، نائلة؛ مينيه، رولان، طريقة التحليل البلاغي والتفسير: تحليلات نصوص من الكتاب المقدّس ومن الحديث النبوي الشريف، تعريب: جرجورة حردان وهنري عويس، من منشورات معهد الدراسات الإسلامية المسيحية، جامعة القدّيس يوسف- بيروت، دار المشرق- بيروت، ط2، 2004م، ص21.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

“The Legends of Genesis: The Biblical Saga and History

كما يُعَدّ: كارل لدويج شميدت Karl Ludwig Schmidt(٣) في عمله: "الأطر الخارجية لقصّة المسيح *The Framework of the Story of Jesus*" سنة 1919م، ومارتن ديبيليويس Martin Dibelius(٤) في كتابه: "من التقليد إلى الإنجيل *From Tradition to Gospel*" سنة 1935م، ورادولف بولتمان Rudolf Bultmann(٥) في كتابه: "تاريخ تقليد الأناجيل الإزائية(٦) *History of Synoptic Tradition*" سنة 1921م، مؤسّسي قواعد وأصول هذا العلم، إلا أنه عملياً يُعتَبر مارتن ديبيليوس Martin Dibelius أول مَن طبّق هذا المنهج على العهد الجديد، كما أنه وضّح الأشكال الأدبية الموجودة في الكتاب المقدّس وتطورّها، ومثله فعل رادولف بولتمان Rudolf Bultmann (٧).

وأصل التسمية جاءت من الكلمة الألمانية: Formgeschichte التي تعني "تاريخ الأشكال" حيث نشأت هذه المدرسة –مدرسة "تاريخ الأشكال"– سعياً لتفسير نصوص الكتاب المقدس(٨)، ومارتن ديبيليوس Martin Dibelius هو مَن أطلق تلك التسمية على هذا المنهج(١).

---

(١) هيرمان جونكل Hermann Gunkel (1862–1932م)، ألماني بروتستانتي، درس اللاهوت في جامعة جوتنغن وجيسن، عُرِفَ بإسهامه الكبير في مجال نقد الشكل ودراسة التقليد الشفهي في نصوص الكتاب المُقَدَّس.

المصدر: موسوعة ويكيبيديا: www.wikipedia.com؛ والموسوعة البريطانية: www.britannica.com.

(٢) McKnight, Edgar V., What is Form Criticism?, Wipf & Stock publishers, 2nd Edition, 1997, p.10.

(٣) كارل لدويج شميدت Karl Ludwig Schmidt (1891–1956م)، ألماني، وهو أحد أبرز دارسي الكتاب المقدس –وبخاصة العهد الجديد–، سعى إلى إثبات وجود الأنواع الأدبية في الأناجيل.

(٤) مارتن ديبيليويس Martin Dibelius (1883–1947م) ألماني، وهو أحد دارسي الكتاب المُقَدَّس وأول مَن طبّق نقد الشكل على العهد الجديد.

المصدر: الموسوعة البريطانية: www.britannica.com.

(٥) رادولف بولتمان Rudolf Bultmann، ألماني (1884–1976م)، دَرس اللاهوت في توبنغن، كان تلميذاً لهيرمان جونكل Hermann Gunkel.

المصدر: الموسوعة البريطانية: www.britannica.com.

(٦) الأناجيل الإزائية هي: متى ومرقص ولوقا الذين أخذوا من نفس المصادر.

(٧) McKnight, Edgar V., What is Form Criticism?, p.14.

(٨) بوزيه، لويس؛ سنّو، أهيف؛ فاروقي، نائلة؛ مينيه، رولان، طريقة التحليل البلاغي والتفسير: تحليلات نصوص من الكتاب المقدّس ومن الحديث النبوي الشريف، ص20.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"يزعم نُقّاد الشكل أن الأناجيل تتألف من وحدات أو فصول صغيرة مُستَقِلّة. هذه الوحدات الصغيرة المُنفَردة تمّ ترويجها ونشرها بشكلٍ مُستقلّ كل على حدة. ويُعَلِّم النُّقّاد أن هذه الوحدات اتّخذت تدريجياً شكل أنماط متنوعة من الكتابة والأدب الشعبي مثل الأساطير والحكايات والخرافات والأمثال.

وتبعاً لنقد الشكل، فإن تكوين وحفظ هذه الوحدات كان مُصَمّماً ومُحَدّداً على أساس احتياجات الجماعة المسيحية الأولى. بمعنى آخر، عندما كانت الجماعة تواجه مشكلة فإنها كانت تلجأ إما إلى اختلاق أو إبراز مقولة أو حادث ليسوع للتعامل مع متطلَّبات هذه المشكلة بالذات. ومن ثمّ فإنّ هذه الوحدات ليست شواهد أساسية على حياة المسيح ولكن بالأحرى يمكن اعتبارها مُعتقدات وممارسات الكنيسة الأولى"(٢).

وتُعنى هذه المدرسة بالنصوص، خاصّة بما تحمله من معلومات حول البيئة التي تألّفت هذه النصوص فيها، ويعمد نقد الشكل –أو كما يُسمى أيضاً بالنقد الاجتماعي الأدبي– أولاً إلى "ترتيب الوحدات الأدبية الصغيرة التي تؤلّف كتب العهدين القديم والجديد (من رواية سببية تهدف إلى تفسير مصدر اسم أُطلق على أحد الأمكنة بحادثة وقعت في ذلك المكان..)" (٣)، وثانياً يسعى إلى اكتشاف وتحديد أشكال النصوص "الأكثر بدائية ونقاوة، وإلى ربطها بالبيئة الحياتية (مؤسسة اجتماعية، تقليد طقسي، أو غيرهما) التي أنتجتها"(٤)، وهذا قد يُفسّر هذه النّصوص.

ويهدف هذا المنهج إلى:

1 -اكتشاف صحّة النّصوص، ومعرفة نسبتها؛ إذ يُقر نقاد الكتاب المقدس بوجود تحريفٍ فيه، وأرادوا من تطبيق هذا المنهج استعادة النّص الأصلي –قدر الإمكان– وإعادته إلى ما كان عليه في الأصل.

2 -ربط حياة الكنيسة الأولى بالحياة اليومية.

3 -تسليط الضوء على الظروف الحياتية للكنيسة الأولى.

ويمكن التوضيح أكثر عبر المثال التالي(٥).:

---

(١) نظر: McKnight, Edgar V., What is Form Criticism?, p.15- 16.، وأيضاً موقع: www.burhanjadeed.com.

(٢) انظر: موقع: www.burhanjadeed.com.

(٣) بوزيه، لويس؛ سنّو، أهيف؛ فاروقي، نائلة؛ مينيه، رولان، طريقة التحليل البلاغي والتفسير: تحليلات نصوص من الكتاب المقدّس ومن الحديث النبوي الشريف، ص21.

(٤) المرجع السابق، ص21.

(٥) هذا المثال مأخوذ من:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عاموس (3: 1-2):

اسمعوا يا بني إسرائيل هذه الكلمة التي أتكلّم بها أنا الرّب على جميع عشيرتكم التي أصْعَدْتُها من أرض مِصْرَ: "إياكم وحدكم عرفتُ من بين جميع عشائر الأرض، فلذلك سأُعاقبكم على جميع آثامكم".

البُنْية (التركيب):

أولاً: دعوة مُفَصّلة للإنتباه.

أ -دعوة للانتباه.

ب -التفصيل في الدعوة.

من النقد التطبيقي:

1 -ما يتعلّق بالكلمة ("التي تكلّمها يهوة").

2 -ما يتعلّق بالمُخاطَبين:

ب -تحديد هوية المُخاطبين.

(ضدَّكَ يا شعب إسرائيل)

ت -وصف المُخاطَبين بصيغة من صيغ تاريخ الخلاص.

ثانياً: كلام يهوة (أسلوب رسول (أو حامل رسالة)).

أ -"أسباب العقوبة": اختيار يهوة لإسرائيل.

ب -إعلان العقوبة:

1 -انتقال أو تحوُّل ("ولذلك..")

2 -الإعلان ("سأُعاقبكم على جميع آثامكم").

الدعوة التمهيدية للانتباه تدلّ دلالة واضحة تمام الوضوح بأنّ وحدة جديدة قد بدأت. هذه الخطبة القصيرة أو الكلام القصير كيان مستقلّ يجب تمييزه عما هو قبله وما هو بعده بالاستناد إلى الشكل والمضمون.

ومع ذلك ففي سياق جميع خطب عاموس المجموعة فالسِّمة العامّة والسِّمة التأمليّة إلى حدٍّ ما تسمحان لها بأن تكون مقدّمة مُناسبة لجميع الإعلانات المُتَعلِّقة بالعقوبة في عاموس 3: 1-6: 14.

وعموماً فالخطبة تتّبع نمط بيانات أو إعلانات العقوبة. البنية العريضة (أو التركيب الإنشائي) للدعوة التمهيدية ولأسباب العقوبة ولإعلان العقوبة التي يتم التّقديم لها بكلمة

Tucker, Gene M., Form Criticism of the Old Testament, Fortress Press, Philadelphia-U.S.A., 1971, p.74-77.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"ولذلك" واضحة، غير أن الأسباب مذكورة فقط بطريقة فيها تناقُض ظاهريّ. أي أنه بدلاً من الاتّهام الأكثر نموذجيّة لإسرائيل من خلال أوصاف محدّدة جداً لمخالفات محسوسة فإنه يتم تذكير إسرائيل بعلاقتهم الخاصّة بيهوة. الإختيار يجري التّذكير به بلغة مُقَوْلَبة (أي على نمط مكرّر ثابت لا يتغيّر) آتية من حديث العهد. ليس هناك ما يدلّ بحدّ ذاته على أنّ ذلك الإختيار (كَوْن شعب إسرائيل معروفاً من قِبَل يهوه) هو سبب العقاب إلا أنّ البنية (أو التركيب الإنشائي) التي تربط اختيار إسرائيل بإعلان العقوبة عبر كلمة "ولذلك" تتضمّن كون الأسباب تكمن بالضّبط في ذلك الإختيار ذاته.

العقاب قادم لأنّ بني إسرائيل لم ينهضوا بالمسؤوليّات المُتَرَتّبة على عهدهم.

من نواحٍ أخرى فإنّ بنية هذه الخطبة القصيرة متميّزة بعض الشيء. فالمقدّمة أكثر إحكاماً من معظم ما سواها. ليس هناك صيغة حامل رسول بحدّ ذاتها ولا صيغة وحي إلهي ("يقول الرب") وإنما هناك دلالة على مصدر الكلمة. إنّ بيانه للعقوبة مع تلميحه للأسباب ("آثامكم") بيان عامّ ومطلق. السّامعون لا يتم إخبارهم كيف ومتى يتدخّل يهوه وإنما سوف يتدخّل. ولا توجد إشارة إلى نتائج تدخّله.

يوجد عدد من الصِّيَغ المقولبة (المتكرّرة). ومن ضمنها الدعوة إلى الانتباه (التي ترد في عاموس 4: 1، و 5: 1) ومصطلحات العهد- الاختيار وربما أيضاً هذه الصّيغة الخاصّة لإعلان العقوبة.

<u>النوع (أيُّ ضربٍ من ضروب الأدب):</u>

على الرغم من بعض السِّمات المميزة فالبُنية والنية (أو القصد) المرادة من تلك الوحدة تجعلانها خطبة حامل رسالة. وكما قد رأينا لا توجد صيغة حامل رسالة بحدّ ذاتها ("يقول الرب") كما أنّ هذه الدعوة الخاصّة للإنتباه لا تحدّد الوحدة باعتبارها خطبة حامل رسالة حيث إن مثل هذه الدعوات قد تتصدّر كلاماً ذا أنواع مختلفة. ومع ذلك فإنّ تفصيل الدعوة إلى الإنتباه يُحدّد الكلمات التي تلي بأنها كلمات الرب ومن ثمّ يقوم النبي –واقفاً موقف حامل رسالة- بنقل كلام يهوه مُباشرة. وبشكلٍ أكثر تحديداً فإنّ الوحدة (أو المقطع) هي إعلان نبويّ للعقوبة المُقَرّرة لشعب إسرائيل. إنّ مقدّمة النبي لكلام يهوه واردة في الآية 1 أما في الوحدة أو المقطع 2 فإنّ يهوه يتكلم الكلمة بضمير المُتكلِّم (الأنا) من خلال النبي.

<u>زمان ومكان المشهد:</u>

حيث إن النوع هو خطبة فإنّ الخطاب ينتمي على نحوٍ مُحَدّدٍ تماماً إلى الدور النبوي في شعب إسرائيل القديم. فهنا يفعل عاموس ما يفعله أي نبي: إعلان العقوبة باسم يهوه. هذه الخطبة بالذات قد يتم إلقاؤها على الشعب في سياقٍ يفترض شيئين: (1) معرفة وقبول تقاليد أو أحاديث الخلاص فيما يتعلّق بالخروج [يعني من مصر] والعهد و (2) الرضى الآثم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للشعب عن نفسه. فعلياً فإن الإعلان بشكله النهائي ينطبق على شعب إسرائيل برمّته الشمال والجنوب. غير أنّ هذه الحقيقة يمكن أن تكون نتيجة لإضافات المُحَرّرين. والعبارة التي تُطَبّق العقوبة بصورة غير مُبهمة على شعب إسرائيل برمّته يمكن أن تكون قد أُضيفَت فيما بعد. (التعبير يورد تحوُّلاً متمزِّقاً إلى حدٍّ ما بجملة مفردة –من الإشارة بضمير الغائب إلى يهوه إلى ضمير المُتكلِّم (أو الأنا)– ومعروفٌ جيداً أنّ عاموس وجّه خطابه إلى المملكة الشمالية. وكأدب فالوحدة (أو المقطع) تُمَثِّل مُقدّمة لمجموعة الخطب الواردة في عاموس 3: 1-6: 14. أي أنها مدينة بموقعها الخاص المحدّد في كتاب عاموس إلى هؤلاء الذين جمعوا ونظّموا خطابات النبي.

النية (أو القصد):

عموماً إن مهمة هذا الخطاب هي إعلان العقوبة والتمهيد لها لشعب إسرائيل نظراً لخطاياه. وبصورة أكثر تحديداً فإنّ الخطاب يتضمّن كون اختيار شعب إسرائيل يجعله بصفة خاصة عُرضة للإدانة بسبب جرائمه. وقد افترض النبي الافتراضات التي لدى سامعيه (إن يهوه قد اختارنا) ورسم نهاية مختلفة اختلافاً جذرياً (العقوبة قادمة). وعليه وإضافة إلى إعلان العقوبة فالخطبة تقوم بمهمة تحطيم الفكرة الزائفة بأن الاختيار يعفي شعب إسرائيل من العقاب. فحيث إن الخطايا غير موضّحة توضيحاً محدّداً فالتأكيد مُنصَبٌّ على العقوبة من الله بناءً على العلاقة بالعهد أو الميثاق(١).

يتّضح من المثال السابق أنّ نقد الشكل يتم فيه البحث بصورة رئيسة عن:

أولاً: البُنية (أو التركيب الإنشائي): ويُعنى بالبحث في الأطراف المتخاطبة، وببعض الأمور المتعلّقة بالصّيغة الأدبية للنص كالنداء وإرجاع الضمائر إلى مَن تعود عليه.

ثانياً: النوع الأدبي للنّص: وهذا ما قد يختلف فيه الباحثون، فيمكن أن يكون للنّص نوعٌ أدبيٌّ واحد، كما يمكن أن يكون له أكثر من نوع؛ فقد يُصنّف ناقدٌ النص ضمن نوعٍ مُعَيّنٍ كالوعظ مثلاً لبروز هذا النوع في المقطع، وقد يأتي آخر ويرى أن النص من نوع الأسطورة مثلاً ويبني نقده على ذلك، كما قد يختلف الدارسون في تعريفهم للأنواع الأدبية، فالأمثال مثلاً قد يُعرّفها دارس بتعريف معيّن وتُعرَّف من قِبَل شخص آخر بتعريف آخر.

لذا فإن هذا المنهج يخضع كثيراً لذوق الباحث أكثر من خضوعه للمنهج العلمي(٢).

وفي المثال السابق فإن النّص ينتمي إلى الخطبة.

---

(١) انتهى المثال.

(٢) الأعظمي، محمد مصطفى، منهج النقد عند المحدثين: نشأته وتاريخه، مكتبة الكوثر – المملكة العربية السعودية، ط3، 1990م، ص143.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثاً: زمان الحَدَث ومكانه: ويُحدّد فيه الزمن الذي قيل النص فيه والمكان الذي تمّ فيه الحَدَث.

رابعاً: النية (أو القصد): يُبيّن ما هو هدف النّص، وماذا يريد أن يُعطي من بلاغ، وفي المثال السابق تمّ تحديد الهدف من المقطع بإبلاغ بني إسرائيل بالعقوبة التي ستصيبهم على آثامهم.

إن خصائص الكتاب المُقَدّس تختلف اختلافاً كُلّياً عن خصائص الحديث النبوي، وفيما يلي توضيح نقاط التشابه والاختلاف:

من حيث المصدر: فيما يتعلق بالحديث النبوي، فقد وصل إلينا عن طريق سلسلة من الرواة الذين شكلوا قسماً من الحديث –الذي يتألّف من سند ومتن– وبالإمكان معرفة أحوالهم، لذا فكل حديث نعرف كيف وصل إلينا، وأما الكتاب المقدس، فنحن نجهل على وجه التأكيد مؤلفي الكتب وسيرتهم ولا مدى كفايتهم لترجمة أقوال عيسى عليه السلام من الآرامية إلى اليونانية(١).

من حيث اللغة: اللغات التي كُتِب فيها الكتاب المُقدس هي: الآرامية واللاتينية واليونانية والعبرية والقبطية، أما الحديث النبوي فباللغة العربية، وحيث إنه هناك ترجمات عديدة للكتاب المُقَدّس، فهذا يعني أنها ولا شكّ ستختلف عن الأصل بالتّقديم والتأخير أو حتى قد تختلف ببعض المعاني.

من حيث خصائص المادة المتضمّنة لكل منهم: تضمن العهد القديم شرائع وقصص الأنبياء السابقين وقصص بني إسرائيل، والعهد الجديد تضمّن مواعظ في أكثره وقصص لعيسى عليه السلام، أما الحديث النبوي فلم يترك شأناً من الشؤون التي تُعين المسلم في حياته إلا وتحدّث عنها، من حيث العقائد والشرائع وفضائل الأعمال.

الخُلاصة: فيما سبق، تمّ عرض معلومات موجزة عن هذا العلم الذي لا يتطرّق إليه الكثير من الباحثين، وبالنسبة للباحث المُحايد فإنه لا يرى كثير فائدة من هذا العلم بهذه الطريقة، وبالمقابل فإنّ هذا المنهج هو الخطوة الخامسة من سلسلة المناهج النقدية المُطبّقة على الكتاب المُقَدَّس، ولهذا فإن على الباحث الجادّ دراسة جميع هذه المناهج النقدية البالغ عددها سبعة مناهج وهي على الترتيب:

نقد النص (Textual Criticism): وهو عملية دراسة الاختلافات ما بين مخطوطات الكتاب المُقَدّس القديمة والترجمات القديمة ومُقابلة بعضها ببعض حسب تسلسُلها التاريخي، والوصول إلى أبعد أصولها، سعياً للتّوصُّل إلى النّصّ الأصلي لتلك الوثيقة المدروسة، حيث إن عمليّة النّسخ باليد يسهل فيها وقوع أخطاء، ومهمة نقد النّصّ العثور عليها والتّنبيه إليها –ما

(١) الأعظمي، محمد مصطفى، منهج النقد عند المحدثين: نشأته وتاريخه، ص143.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمكن ذلك- من خلال قواعد معيّنة وضعها نُقّاد النّصّ [١]. قال البابا بيوس الثّاني عشر في رسالته في الكتاب المُقَدّس (1943م): "غرض هذا الفنّ إثبات النّصّ المقدّس، بقدر الإمكان، في أكمل صورة، وذلك بتطهيره مما قد نجم عن عدم كفاءاتٍ عند النُّسّاخ، وبتخليصه بقدر الإمكان من الإضافات والفجوات وتبديل مكان الكلمات والإعادات والهفوات المختلفة التي من العادة أن تتسرّب في الكتابات المُتناقلة عبر القرون العديدة"[٢].

نقد المصدر (Source Criticism): "هو السّعي إلى اكتشاف المادة المكتوبة التي استقى منها كُتّاب الأسفار المقدّسة المختلفون وتحديدها"[٣].

النقد التقليدي (Traditional Criticism): "يسعى نقد التقليد إلى رسم تطوُّر القصّة الكتابية أو التقليد من الزمن الذي رُويت فيه أولاً إلى زمن كتابتها"[٤].

ويهدف هذا النّوع من النّقد إلى تحديد التّغيُّرات التي مرّت فيها القصّة الكتابيّة أو التّقليد بدقّة وتفسيرها. ويحتاج النّاقد إلى معرفة الطُّرُق التي انتقلت القصّة بواسطتها بالتّحديد والظُّروف التي أحاطت بهذا النّقل، وبدون معرفة هذه الأمور تبقى النّتائج التي توصّل إليها النّاقد موضع شكّ، وينبغي التّعامُل معها بحذر[٥].

النقد التحريري (Editing Criticism): هو علم يبحث في كيفية تحرير المادة المكتوبة"[٦]، وبشكلٍ آخر، هو السّعي إلى معرفة الطّريقة التي استخدمها كُتّاب الكتاب المقدّس مصادرهم؛ وبالتّحديد ما حذفوه، وأضافوه، وميولهم الخاصّة. ويحتاج النّاقد للوصول إلى نتائج أكيدة إلى توفُّر جميع المصادر التي استخدمها كُتّاب الأسفار[٧].

نقد الشكل[٨] (Form Criticism).

---

(١) انظر: Wegner, Paul D., A Student's Guide to Textual Criticism of the Bible, Inter Varsity Press- U.S.A., 2004, P.309.

وأيضاً: جمعيّة الكتاب المقدّس- مجلس كنائس الشرق الأوسط، المرشد إلى الكتاب المقدّس، ص182-184، وأيضاً: سابا، جورج، على عتبة الكتاب المُقَدَّس، منشورات المكتبة البولسية- لبنان، ط 1، 1987م، ص212.

(٢) سابا، جورج، على عتبة الكتاب المُقَدَّس، ص211.

(٣) جمعية الكتاب المقدس- مجلس كنائس الشرق الأوسط، لمرشد إلى الكتاب المقدس، ص182.

(٤) المرجع السابق، ص183.

(٥) المرجع السابق، ص183.

(٦) المرجع السابق، ص532.

(٧) المرجع السابق، ص183.

(٨) سبق تعريفه في ص 90 من هذا البحث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النقد البلاغي [١] (Rhetorical Criticism): "يسعى النقد البلاغي للتعرُّف إلى الاصطلاحات الأدبية والأساليب التي استخدمها كُتاب الأسفار"[٢].

النقد التاريخي[٣] (Historical Criticism): "النقد التاريخي هو علم واسع يتناول جميع نواحي الكتابات التاريخية. وتولي الدراسات الكتابية ناحيتين من هذه النواحي اهتماماً خاصاً. الناحية الأولى تكمن في تحديد النقد التاريخي للوسائل التي سيستخدمها في تأريخ وثيقة ما. أما الناحية الثانية الهامة من عمل النقد التاريخي فهي التحقق من صحة المعلومات الموجودة في المصادر الكتابية"[٤].

وهذه المناهج تتعلّق بالناحية الأدبية للنص، ومنهج النقد الأخير –وهو التاريخي– يُعنى بتصريحات المؤلف وصحتها[٥].

كما يوجد غيرها كالنقد الأدبي [٦] (Literary Criticism)، والنقد الاجتماعي–العلمي [٧] (Social-Scientific Criticism)، وغيرها إلا أن السبعة المذكورة أعلاه هي المناهج الرئيسة المستخدمة في النقد[٨] –لارتباطها الوثيق فيما بينها ولأنّ لكلٍّ منها غرضاً يؤدّيه كما أن النتائج تُبنى على بعضها البعض– ثمّ الحُكم على مدى صلاحية تطبيق هذه المناهج، كما يحتاج دارس هذه المناهج النقدية إلى رصيدٍ كبيرٍ من الاطّلاع على بيئة الكتاب المقدّس وعلى أسلوب تدوينه وترجماته، وإلى أن يكون ضليعاً في اللغات التي كُتِبَ بها الكتاب المقدّس والفلسفة وغيرها من الأدوات التي لا يستغني ناقدُ الكتاب المقدّس عنها.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص182–184.

(٢) المرجع السابق، ص183.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص182–184.

(٤) المرجع السابق، ص184.

(٥) المرجع السابق، ص182.

(٦) ويعني: دراسة ونقاش وتقييم وتفسير الأدب. يعتمد النقد الأدبي الحديث غالباً على النظرية الأدبية وهي النقاش الفلسفي لطرق النقد الأدبي وأهدافه.

انظر: ar.wikipedia.org

(٧) وهو نوع من أنواع نقد الكتاب المقدّس، ويُفسّر النواحي الاجتماعية في نصوصه، وبالتّحديد الناحية الاجتماعية في حياة الاسرائيليّين القدماء والمسيحية المُبكّرة.

انظر: www.forministry.com/vsItemDisplay.dsp&objectID=ED84CEEC-54D4-41EF-AE538B6AF6996C95&method=display

(٨) انظر: جمعية الكتاب المقدس– مجلس كنائس الشرق الأوسط، المرشد إلى الكتاب المقدّس، ص182–184.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد قُمتُ بمحاولات جادّة للتّعرُّف على هذه المناهج ودراستها إلا أنّ شحّ المصادر وكون أكثرها مكتوباً باللغة الألمانية؛ حيث أنهم أكثر المهتمّين بهذه المناهج –إذ كما أنه يصعب دراسة سبعة مناهج دراسة جادّة وفهمها في عدة شهور– أعاقتني عن التّقدُّم نحو هذه المعارف الجديدة القديمة؛ فهي جديدة لدى نقّاد الحديث النبوي وقديمة نسبياً من حيث ظهورها.

ولذا فالأكثر جدوى هو أن تُفرد هذه المناهج في مقارنة بينها وبين منهج نقد الحديث النبوي في دراسة مُستقلّة لاستيفاء جميع جوانب البحث، والنظر إلى نتائج هذه المناهج على الكتاب المقدّس والنظر في المواضع المتعلّقة بالعقائد والشرائع التي نحن على يقين من تحريفها، ثم الوصول إلى نتيجة مُحايدة فقد تكون مناهجهم لا يصلح تطبيقها إطلاقاً لمغايرة خصائص الحديث النبوي عن خصائص الكتاب المقدّس، أو أنها متَضمَّنة في نقد المحدثين ولها مرادفات لدينا، وأما القول بأن هذه المناهج يمكن أن تكون بديلاً لمنهج نقد الحديث فلا يمكن ذلك، لأن منهج النقد لدى المحدّثين أثبت جدواه ولو لم يكن كذلك لما ثبت ورسخ طوال هذه القرون الماضية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: موقف روبسون من مصنِّفي الكتب الستة

المطلب الأول: البخاري ومسألة اللفظية

لقد كان للإمام البخاري مكانة عظيمة بين العلماء عامّة والمحدّثين خاصّة، لما تميَّز به من الناحية الحديثيّة بشكلٍ عامّ؛ فهو أمير المؤمنين في الحديث، فقيه الأمة؛ لذا توجّهت أنظار المستشرقين إلى إثارة الشُّكوك حوله، منهم جيمس روبسون الذي ادّعى عدم نيل كتاب صحيح البخاري قبولاً فوريّاً، وعزا ذلك إلى عقيدة البخاري ومسألة خلق القرآن، يقول روبسون في هذا الصَّدد:

"البخاري لم يكن قويم الرّأي والمُعتَقَد في نظر البعض في عصره؛ فهو كان يعتقد بأنّ القرآن غير مخلوق، إلا أنه لم يكن يرى بأنّ النُّطق به غير مخلوق، ولذا كان عليه أن يُغادر نيسابور، والناس الّذين اعتبروه غير قويم المُعتَقَد لم يكونوا مُستَعِدّين لاعتبار أحاديثه موثوقة، ويجب التّذكُّر أيضاً بأنّ البخاري ومسلم ﷺ اً لم يكونا الوحيدَيْن اللّذين وضعا[١] مجموعات أحاديث"[٢].

لقد أخطأ روبسون في حكمه على البخاري؛ إذ لم يوضِّح محنة الإمام البخاري في مسألة خلق اللفظ بالقرآن، وكان ينبغي أن يذكر الحادثة بتمامها ثمّ يبني أحكامه بعد ذلك، حيث بدأت محنة الإمام البخاري عندما توجَّه إلى مدينة نيسابور.

قال الإمام مسلم بن الحجاج: "لما قدم محمد بن إسماعيل نيسابور ما رأيتُ والياً ولا عالماً فعل به أهل نيسابور ما فعلوا به، استقبلوه من مرحلَتَين من البلد أو ثلاث، وقال محمد بن يحيى الذهلي [٣] في مجلسه: مَن أراد أن يستقبلَ محمد بن إسماعيل غداً فليستقبله فإني أستقبله، فاستقبله محمد بن يحيى وعامة علماء نيسابور فدَخَلَ البلد"[٤].

---

(١) القصد هنا من كلمة وضعا أي صنّفا، مع العلم أن أبحاث روبسون تُرجِمَت حرفيّاً لذا فقد تكون هناك كلمات موهمة بعض الشيئ مثل "وضعا"، حيث قد تُفهم على أنها وضع الحديث على رسول الله ﷺ والتزوير والتأليف عليه، وهذا فهم مغلوط.

(٢) Robson, James, Tradition- The Second Foundation of Islam, p. 31-23.

(٣) هو: محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذهلي، أبو عبد الله النيسابوري الإمام الحافظ، وُلِد سنة 172 هـ، وتوفّي سنة 258هـ على الصّحيح، روى له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، كان أمير المؤمنين في الحديث، وأحد الأئمة الحفّاظ. انظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيق الكتاب وخرّج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط، حقق هذا الجزء: صالح السمر، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط11، 1996، ج12، ص273- 285.

(٤) العسقلاني، أحمد بن عليّ، هدي الساري مقدمة فتح الباري، ص684.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولمّا اجتمع الناس وطلاب العلم في مجلس الإمام البخاري، ولظهور الخلل في مجالس العلماء ومنهم محمد بن يحيى الذّهلي حسَدَه وتكلّمَ في مذهبه وامتحنوه في مسألة اللفظية.

"فلما حضرَ الناسُ مجلسَ البخاريّ، قامَ إليه رجلٌ، فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول في اللفظ بالقرآن، مخلوقٌ هو أم غير مخلوق؟ فأعرَضَ عنه البخاريّ ولم يُجبه، فقال الرجل: يا أبا عبد الله، فأعادَ عليه القول، فأعرَضَ عنه. ثمّ قال في الثالثة، فالتفتَ إليه البخاريّ، وقال: القرآن كلام الله غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة والامتحان بدعة. فشَغَب الرّجل، وشَغَبَ الناس، وتفرّقوا عنه. وقَعَدَ البخاريّ في منزله" [١].

بعد تلك الحادثة، أخذ الذهلي في اتّهام البخاريّ في عقيدته، وحذر طلاب العلم من حضور مجالسه، حيث قال: "القرآن كلام الله غير مخلوق، ومَن زَعَمَ لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع ولا يُجالَس ولا يُكَلَّم، ومَن ذَهَبَ بعدُ إلى محمد بن إسماعيل فاتّهموه؛ فإنه لا يحضر مجلسه إلا مَن كان على مذهبه"[٢]، إلا أنّ الإمامين مسلم بن الحجاج وأحمد بن سلَمة بقيا يتردّدان على الإمام البخاريّ.

أدّى ذلك إلى خروج الإمام البخاريّ من البلد، وبعدها تركه بعض العلماء، كالإمامين أبي حاتم وأبي زرعة الرازيين لأجل تلك التهمة التي رُمي بها وهو بريءٌ منها، وقد أوضَحَ الإمام البخاري في كتابه **خلق أفعال العباد** عقيدته في مسألة اللفظية، حيث قَصَدَ البخاري أنّ القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنّ أفعال العباد مخلوقة وأصواتنا من أفعالنا فهي إذاً مخلوقة.

تلك هي محنته ويتّضح منها ما يلي:

أولاً: أنّ السبب في محنة الإمام البخاري هو محمد بن يحيى الذهلي، وقد حرّكته نوازع الغيرة والحسد من قرينه البخاري، والحسد بين الأقران أمرٌ أشار العلماء إليه، وحذّروا منه، وكثيرٌ من الأئمة تعرّضوا لعقبات في حياتهم كان سببها بعضُ قرنائهم؛ فالطبيعة البشرية مجبولة على حبّ استئثار الشّهرة والإمامة والرياسة والعلم، أما مدى ضبط الإنسان لهذه النوازع فهو مما يتفاوت الناس فيه.

ثانياً: مسألة اللفظ يُراد بها أمران: أحدهما الملفوظ نفسه وهو غير مقدور للعبد ولا فِعْلَ له فيه، والثاني التّلفُّظ به والأداء له وهو فعلُ العبد؛ فإطلاق الخلق على اللفظ قد يوهم الأوّل وهو خطأ، وإطلاق نفي الخلق عليه قد يوهم المعنى الثاني، وهو خطأ أيضاً، فمُنِعَ الإطلاقان، أما إذا فصّلَ القائل في المسألة وفرّق بين اللفظ والملفوظ، فقال: إنّ الملفوظ هو كلام الله عز وجل، والمتلو هو القرآن المسموع بالآذان وبالأداء من فم الرسول ﷺ، وهي

---

(١) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، 1996م، ج12، ص453- 454.

(٢) العسقلاني، أحمد بن علي، هدي الساري مقدمة فتح الباري، ص685.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حروف وكلمات وسور وآيات تلاها جبريل وبلغها عن الله تعالى، وهو صفة من صفات الله، وبالتالي الملفوظ غير مخلوق، أما لفظ العباد وأصواتهم وحركاتهم وأداؤهم فكلّ ذلك مخلوق لله، بائن عنه؛ فهذا حقّ وصواب تماماً لا مرية فيه، وهذا ما كان يقول به البخاري.

قال ابن قُتَيبة: "لا يجوز أن يكون القرآن مخلوقاً، لأنه كلام الله تعالى، وكلام الله من الله، وليس من الله عز وجل شيئ مخلوق" (١). "وكلامُنا ليس عملاً لنا، وإنما هو صوتٌ وحروف مُقَطَّعة، وكلاهما لا يجوز أن يكون لنا فعلاً، لأنهما جميعاً خلق الله وإنما لنا من العمل فيهما، الأداء"(٢).

ثالثاً: لم تؤثِّر تلك الحادثة على مكانة الإمام البخاري وصحيحه، والدليل على ذلك هو قبول العلماء الفَوري لصحيح البخاري، وثناء العلماء عليه، وتضامن أكابر العلماء معه في محنته، ووقوفهم إلى جانبه، وعدم خلو مجلسه من طلاب الحديث، ولم يُنقَل إلينا عن أحد الأئمة أنّ أحاديثه رُفِضَت بسبب مسألة اللفظية، ولو كان البخاري فعلاً يقول بخلق القرآن لنالَ مكانةً رفيعة عند المعتزلة، ولَرَفَضَه أئمة أهل السنة، ولنبّهوا على عقيدته، وهذا ما لم يحدث؛ إذ أبانَ البخاري عن قصده، حيث قال: **(أفعالنا مخلوقة، وألفاظنا من أفعالنا)** (٣)، سوى ما عُرِفَ عن الإمامَيْن أبي حاتم وأبي زرعة أنهما تركا حديثه؛ حيث قال عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي في كتابه الجرح والتعديل: " محمد بن إسماعيل البخاري أبو عبد الله، قَدِمَ عليهم الري سنة مائتين وخمسين، روى عن عبدان المروزي وأبي همام الصلت بن محمد والفريابي وابن أبي أويس، سمع منه أبي وأبو زرعة، ثم تركا حديثه عندما كتب إليهما محمد بن يحيى النيسابوري أنه أظهرَ عندهم أنّ لفظه بالقرآن مخلوق" (٤)، وكذلك الإمام العقيلي، وقد أنبّهم العلماء على ذلك، ولو كان رأيهم صواباً لأيّدهم العلماء، ولم ينتقدوا فعلَهم.

---

(١) ابن قُتيبة الدّينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم، مختلف الحديث، خرَّج أحاديثه وعلَّقَ عليه: أبو المُظَفَّر سعيد بن محمد السِّناري، دار الحديث- القاهرة، (بدون رقم الطبعة)، سنة 1427هـ-2006م، ص334.

(٢) المرجع السابق، ص334.

(٣) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ج12، ص458.

(٤) ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ، الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1- 1952م، ج7، ص191.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: رتبة الإمامَيْن البخاري ومسلم

عدّ روبسون الإمامين البخاري ومسلماً من أصحاب الدرجة الثالثة من درجات قبول المحدّثين وهي أدنى الدرجات، حيث قال:

"الدّرجة الثالثة هي الشيخ، هذا النّوع من الرواة يُعامَل نفس معاملة الرجال من الدرجة الثانية إلا أنه يُعتَبَرُ دونهم، ومن الغريب بعض الشّيء أن يُستَخدَمَ هذا المُصطَلح وكأنه ينتمي إلى صنفٍ مُستَقِلٍّ؛ فهو يُستَخدَمُ في الغالب بمعناه العامّ ليدلّ على المرجع الذي يتعلّم منه شخص ما دون أي تلميح إلى كونه ينتمي إلى درجة أعلى، فعلى سبيل المثال فإنّ البخاري ومسلماً غالباً ما يُسمّيان بالشَّيخيْن"(١).

أولاً: تُطلَق كلمة الشيخ بمعناها اللغوي على الذي استبانتْ فيه السن وظهر عليه الشيبُ، وقيل: هو شَيْخٌ من خمسين إِلى آخره وقيل: هو من إِحدى وخمسين إِلى آخر عمره وقيل: هو من الخمسين إِلى الثمانين...، وشَيَّخْتُه: دَعَوْتُه شَيْخاً للتّبجيل (٢)، فهي أساساً تُطلَق على مَن يستحقّ التّبجيل والتّقدير.

ثانياً: إنّ كلمة **شيخ** في اصطلاح المُحدّثين لها معنىً خاصّ يختلف تماماً عن المعنى اللغوي، فهي من ألفاظ التعديل، وتُطلَق على أصحاب الدرجة الثالثة من الرواة، ومَن قيلَت فيه فإنها تعني أنه: يُكتَب حديثه ويُنظَر فيه (٣)، وقال الذهبي: "ليس هو عبارة جرح، ولكنّها أيضاً ما هي بعبارة توثيق"(٤)، وعند النظر فيمن قيلَت فيهم، يتبيَّن أنّ العبارة قد تُطلَق أحياناً على مَن فيه خفّة ضبط بدرجة معيّنة أو على المحدِّث غير الفقيه، وقد تُطلق على الراوي القليل الحديث ليس بالمشهور به، ولو نظرنا إلى مدى اتّصاف الإمامَيْن البخاري ومسلم بتلك الأوصاف لوجدنا أنها بعيدة تماماً؛ حيث لم يثبت إطلاقاً أن وصفهما أحدٌ من الأئمّة أو وصف أحدهما بأنه خفيف الضّبط أو قليل الحديث أو أنه غير فقيه، وينصرف المعنى إليه عند المحدّثين فقط، ولا يتبادر إلى الذّهن إلا المعنى اللغوي عند إطلاقه، ولم يقل بما قاله روبسون أحدٌ.

---

(١) Robson, James, Standards Applied by Muslim Traditionists, p. 464.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ، ج 3، ص31، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ج1، ص325.

(٣) ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، الجرح والتعديل، ص10.

(٤) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، ميزان الاعتدال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر– بيروت، (بدون رقم الطبعة والسنة)، ج2، ص385.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالبخاري ومسلم من أصحاب المُصَنَّفات ومن المتكلّمين المقبولين في الرجال وليسا ممن يُقال في أحدهما "شيخ" بالمعنى الموجود في علم الجرح والتعديل والمستخدم من أهل علم الرجال.

والحقيقة أنه لا يُتَصَوَّر مدحٌ أو إجلالٌ أكثر من قولنا "الشيخان"! يكفي أن يقول المحدّث أو المُخَرِّج: "رواه الشيخان" قاطعٌ عن النظر في صحّة الحديث اكتفاءً واغتناءً بهذه الرتبة (التي هي اتّفاق البخاري ومسلم على إخراج حديث) [١] وما يُفيده هذا من تلقّي الأمّة بالقبول لما اشتمل عليه الصّحيحان إجمالاً إلا مواضع يسيرة تكلّم عليها بعض أهل العلل ودافع عنها آخرون.

وعلى سبيل المثال، هناك فرقٌ كبير بين قولنا" "زيدٌ رجلٌ" وبين قولنا: "زيدٌ الرجل"، أو "الرجل زيد". فالألف واللام هنا تُفيد ضمن ما تُفيد: (الشمول) و(الاستغراق).. مما يعرفه أهل العربية لا روبسون ولفيفه. إنها تُفيد حصر الرجولة في زيد! وقول المُعَلِّم: "الطالبُ عمروٌ" يُفيد أنه لا يرى مُستَحِقّاً لاسم وحقيقة طلب العلم سوى عمرو. لذلك فقولنا: "الشيخان" ذو ظلال وخلفيّات لا يمكن أن يتذوّق أثرها في النفس كثيرٌ من العرب فضلاً عن أعجمي!

ونحن نقول لأبي بكر وعمر: "الشيخان". قال الصحابة: "ما صَنَعَ ذلك الشيخان". ومعاذ الله أن يفهم أحدٌ منا من هذا تنقُّصاً أو توهيناً!!

ولأهل كلّ صنعة شيخ. وكذلك أهل المذاهب. فإذا قال أهل الحديث: "الشيخان" فتخيَّل كيف أنها إذا أُطلِقَت دون بيان انصرفت مباشرة إلى البخاري ومسلم. وهذا مدحٌ مبينٌ لا قدح.

المطلب الثالث: الإمام الترمذي والتّشيُّع

كذلك، سعى روبسون إلى اتّهام الإمام الترمذي بالتّشيُّع مستدلاً بتخريجه لحديثَيْن يُظهران ميولاً شيعيّة، قال روبسون: "**هناك اعتراض على إدراجه –أي الحاكم النيسابوري– في كتاب المستدرك حديثاً: (مَن كنتُ مولاه فعليّ مولاه)، والحديث الذي يُخبر كيف أنّ النبي دعا الله أن يُرسِلَ الأحبّ إليه من خلقه ليشاركه في أكل طيرٍ وكيف أنّ عليّاً جاء وشاركه أكله. وفي حين هذه الأحاديث تُظهر بالتأكيد شَغَفاً بعليّ إلا أنه من الجدير بالملاحظة أنّ الترمذي يُدرِجهما كليهما في جامعه مُسَمِّياً الأول حسناً والثاني غريباً**"[٢].

---

(١) وأما معنى "متّفق عليه" هو: اتّفاق البخاري ومسلم على إخراج الحديث من نفس المخرج، فـ"رواه الشيخان" أعم من "متّفق عليه".

(٢) Robson, James, "An Introduction to the Science of Tradition, being Al- Madkhal ila ma'rifat- al Iklil by Al Hakim Abu 'Abdallah Muhammad b. Abdallah al Naisaburi", London, 1953.p. 4.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

• **الحديث الأول:**

أولاً: وهو حديث **(مَن كنتُ مولاه فعليّ مولاه)**(١).

ثانياً: أقوال العلماء في الحديث:

قَالَ الزَّيْلَعِيُّ :"وَكَمْ مِنْ حَدِيثٍ كَثُرَتْ رُوَاتُهُ وَتَعَدَّدَتْ طُرُقُهُ وَهُوَ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ كحَدِيثِ **(مَنْ كُنْت مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ)**" (٢).

قال البخاري: "لا نعلم فيه شيئاً ثابتاً"(٣).

قال الخطيب أبو بكر: أبو عبد الله الحاكم كان ثقة يميل إلى التشيع فحدثني إبراهيم بن محمد الأرموي وكان صالحاً عالماً قال: جَمَعَ الحاكم أحاديث وزعم أنها صحاح على شرط البخاري ومسلم منها حديث الطير و**(مَن كنتُ مولاه فعليّ مولاه)**(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما قوله **(مَن كنتُ مولاه فعليّ مولاه)** فليس هو في الصِّحاح لكن هو مما رواه العلماء وتنازَعَ الناس في صحته فنُقل عن البخاري وإبراهيم الحربي وطائفة من أهل العلم بالحديث أنهم طعنوا فيه. وأما الزيادة وهي قوله: **(اللهم والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه)** الخ فلا ريب أنه كذب"(٥).

---

(١) أخرجه: الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، المناقب، باب مناقب عليّ بن أبي طالب ﷺ، ص842، رقم (3713)، بلفظ: "مَن كنتُ مولاه فعليّ مولاه". ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، كتاب السّنّة، فضل عليّ بن أبي طالب ﷺ، ص19، رقم (121)، ابن حنبل، أحمد بن محمد، المسند، مسند عليّ بن أبي طالب ﷺ، ج1، ص84، حديث رقم 641، ج1، ص118، حديث رقم 950، ج1، ص119، حديث رقم 961، ج1، ص152، حديث رقم 1310، مسند الكوفيين، حديث البراء بن عازب ﷺ، ج4، ص281، حديث رقم 18502، مسند الكوفيين، حديث زيد بن أرقم س، ج 4، ص 368، حديث رقم 19298، ج4، ص370، حديث رقم 19321، ج4، ص372، حديث رقم 19344، ج4، ص372، حديث رقم 19347، باقي مسند الأنصار، حديث بريدة الأسلميّ ﷺ، ج5، ص347، حديث رقم 22995، باقي مسند الأنصار، أحاديث رجال من أصحاب النبي ﷺ، ج5، ص366، حديث رقم 23156، ج5، ص370، حديث رقم 23192، باقي مسند الأنصار، حديث أبي أيوب الأنصاريّ ﷺ، ج5، ص419، حديث رقم 23609.

(٢) الزيلعي .عبد الله بن يوسف أبو محمد الحنفي، نصب الرّاية لأحاديث الهداية، تحقيق: محمد يوسف البنّوري، دار الحديث– مصر، (بدون رقم الطبعة)، 1357هـ، ج1، ص265.

(٣) العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى، الضّعفاء الكبير، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية– بيروت، ط1، 1984م، ج1، ص46.

(٤) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية– بيروت، (بدون رقم الطبعة والسنة)، ج5، ص473.

(٥) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط 1، 1406هـ، ج7، ص319.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقَالَ الذَّهَبِيُّ: "وَأَمَّا حَدِيثُ: (مَنْ كُنْت مَوْلاهُ) فَلَهُ طُرُقٌ جَيِّدَةٌ"(١).

وحَكَمَ الهيثمي بصحة هذا الطرف وقال: "في الصّحيح طرفٌ منه وفي الترمذي (مَن كنتُ مولاه فعليّ مولاه) دون الزيادات التي في الروايات الأخرى، مثل: (اللهم والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه)"(٢).

وصححه الألباني من المعاصرين(٣).

ثالثاً: لو سلَّمنا بصحّة الحديث، فإنّ الحديث يدخل في مناقب عليّ بن أبي طالب ﷺ، وما من مسلمٍ يُنكر مكانته، والنبيّ ﷺ كان من عادته ذِكْرُ مناقب الصّحابة ﷺ ومن بينهم علي ﷺ، فلا يمكن أن يُعتَبَر أي راوٍ ذ ا ميول شيعيّة لإخراجه حديثاً في مناقب عليّ ولو كان ضعيفاً...، والحديث لم يفسّره أحد بما يوحي بإمامته وولايته، فقد قال العلماء في شرحه:

ومن هذه المعاني التي ذُكِرَت لهذا الحديث "قِيل: معناه مَن كنتُ أتولاه فعليّ يَتَولاه من الولِيّ ضدّ العدوّ، أَي: مَن كنتُ أُحبُّه فعليّ يُحِبُّه- وقيل: معناه مَن يتولاني فعليّ يتولاّه، ذَكَرَه القاري عن بعض عُلَمائه، وقال الجزري في النّهاية: قد تكرّر ذِكْرُ المَوْلَى في الحديث، وهو: اسم يقع على جماعة كثيرة؛ فهو الربّ والمَالِك والسيِّد والمُنْعِم والمُعْتِق والنّاصر والمُحبّ والتّابع والجار، وابن العمّ والحلِيف والعقيد والصِّهر والعبد والمُعتَق والمُنعَم عليه، وأكثرها قد جاء في الحديث فيُضاف كلّ واحد إلى ما يقتضيه الحديث الوارد فيه، وكلّ مَن وَلِيَ أمراً أو قام به فهو مولاه ووَلِيُّه، والحديث المذكور يُحْمَلُ على أكثر الأسماء المذكورة. قال الشّافعيّ: "يعني بذلك ولاء الإسلام، كقوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد: 11]، قال الطِّيبي: لا يستقيم أن تُحملَ الولاية على الإمامة التي هي التّصرُّف في أمور المؤمنين؛ لأنّ المتصرِّف المستقِلّ في حياته ﷺ هو لا غيره؛ فيجب أن يُحملَ على المحبّة وولاء الإسلام ونحوهما(٤).

فالسياق متعلق بالمحبة والقرب لا بالإمامة. وبهذا المعنى لا شك في وجوب موالاة علي وكل مؤمن، فمناسبة الحديث تأبى أن يكون مراد النبي ﷺ التنصيص على خلافة علي وإمامته؛

---

(١) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (بدون رقم الطبعة والسنة)، ج3، ص1042- 1043.

(٢) الهيثمي، الحارث بن أبي أسامة، زوائد الهيثمي، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة الطبعة الأولى ، 1413هـ- 1992م، تحقيق : د.حسين أحمد صالح الباكري، ج2، ص622، رقم (594).

(٣) الألباني، محمد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة، الدار السّلفية- الكويت، المكتبة الإسلامية- الأردن، ط 2، 1404هـ، ج4، ص330، رقم 1750.

(٤) المرجع السابق، ج1، ص147-148.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذ لو أراد النبي ﷺ الإمامة لصرح بها من دون استعمال ألفاظ مشتركة يتطرق إليها الاحتمال مما يشعل فتيل الفتنة بين أمته من بعده.

- **<u>الحديث الثاني:</u>**

وهو حديث الطير، أخرجه الترمذي "عن أنس بن مالك ﷺ، قال: كان عند النبي ﷺ طير، فقال: (اللهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير)، فجاء عليّ فأَكَلَ معه"(١). له طرق وردت عن: أنس وسفينة وابن عبـــاس وجـــابر وعلي وأبي سعيد الخدري وحبشي ابن جنادة ويعلى بن مرة وأبي رافع ﷺ.

أقوال العلماء فيه:

قال التّرمذي فيه: "حديثٌ غريب" (٢) وهذا يدلُّ على ضعفه عنده، إذ معنى "غريب" عنده الضّعف.

قال الذهبي: "وحديث الطير على ضعفه فله طرق جمة، وقد أفردتها في جزء ولم يثبت، ولا أنا بالمعتقد بطلانه"(٣).

قال ابن الجوزي: "أنبأنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا محمد بن طاهر المقدسي، قال: كل طرقه باطلة معلولة...، وقال ابن طاهر: حديث الطائر موضوع إنما يجيء من سقاط أهل الكوفة عن المشاهير والمجاهيل عن أنس وغيره"(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإن حديث الطير لم يروه أحد من أصحاب الصحيح، ولا صححه أئمة الحديث... –وهو– من المكذوبات الموضوعات عند أهل العلم والمعرفة بحقائق النقل"(٥).

وقال ابن كثير في البداية والنهاية بعد أن أورد جملة من الطرق: "فهذه طرق متعددة عن أنس ابن مالك، وكل منها فيه ضعف ومقال"(٦).

---

(١) أخرجه: الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، ص844، رقم (3721).

(٢) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، ص844، رقم (3721).

(٣) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ج13، ص232.

(٤) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، العلل المتناهية، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية– بيروت، ط1، 1403هـ، ج1، ص236.

(٥) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة النبوية ج7، ص371– 385.

(٦) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن الشيخ أبي حفص شهاب الدين عمر، البداية والنهاية، دار الفكر– بيروت، مكتبة الرياض الحديثة– الرياض، (بدون رقم الطبعة)، 1982م، ج7، ص353.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال الذهبي في جزء جمعه في هذا الحديث بعد ما أورد طرقاً متعددة: "ويُروى هذا الحديث من وجوه باطلة أو مظلمة...، ثم قال: بعد أن ذكر الجميع بضعة وتسعين نفساً، أقربها غرائب ضعيفة، وأردؤها طرق مختلفة مفتعلة، وغالبها طرق واهية"(١).

وقال الزيلعي في نصب الراية: "وكم من حديث كثرت رواته وتعددت طرقه وهو حديث ضعيف؛ كحديث الطير ...؛ بل قد لا يزيد الحديث كثرة الطرق إلا ضعفاً"(٢).

قال التوربشتي: "هذا الحديث لا يقاوم ما أوجب تقديم أبي بكر والقول بخيريته من الأخبار الصحاح، منضماً إليها إجماع الصحابة؛ لمكان سنده، فإن فيه لأهل النقل مقالاً، ولا يجوز حمل أمثاله على ما يخالف الإجماع، لاسيما والصحابي الذي يرويه ممن دخل في هذا الإجماع، واستقام عليه مدة عمره، ولم ينقل عنه خلافه، فلو ثبت عنه هذا الحديث فالسبيل أن يؤول على وجه لا ينقض عليه ما اعتقده، ولا يخالف ما هو أصح منه متناً وإسناداً وهو أن يقال يحمل قوله بأحب خلقك على أن المراد منه ائتني بمن هو من أحب خلقك إليك فيشاركه فيه غيره وهم المفضلون بإجماع الأمة، وهذا مثل قولهم فلان أعقل الناس وأفضلهم أي من أعقلهم وأفضلهم"(٣).

وإذاً فلا يمكن أن يتَّهمَ الترمذي أو غيره بأنّ لديه ميولاً شيعيّة لمجرد إخراجه هذين الحديثَيْن إن قويت لديه طرقهما.

المطلب الرابع: قواعد نقد الحديث عند مصنّفي الكتب الستة

تحدّث روبسون عن مدى جدارة وصلاحية قواعد نقد الحديث لدى مصنّفي الكتب الستة، يقول في ذلك:

أولاً: "والمرء يشعر شعوراً مقبولاً بتأكيده من أنه بحلول الوقت الذي تمّ فيه وضع كتب الحديث المُعتَرَف بها أثناء القرن الثالث الهجري ؛ فإنّ مؤلِّفيها لم تكن لديهم فكرة عن الصِّفة المَشكوك فيها للأسانيد التي قبلوها على أنها صحيحة، وهم كانوا رجالاً أُمناء آمنوا بصدق الرواية، وهذه حقيقة تبدو في استعدادهم لانتقاد الأسانيد التي لم تَرْق إلى مستوى معاييرهم، وكان مفهوماً بأنّ مُختَلَف أصناف الناس استَغَلّوا أسلوب الحديث لإضفاء شرعيّة على آرائهم، وعليه فقد جرت عملية غربلة له وتطوير معايير للحكم، والمَوضِع الذي قصَّرَ

---

(١) المرجع السابق، ج7، ص353.

(٢) الزيلعي، عبد الله بن يوسف أبو محمد الحنفي، نصب الراية لأحاديث الهداية، ج1، ص360.

(٣) المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 2000م، ج3، ص147.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النّاقدون فيه كان هو إخفاقهم في إدراك أنه حتى الأسانيد التي تبدو في ظاهرها موثوقة كانت تتطلَّب النّقد بِقَدرِ ما تطلَّبَته تلك الأحاديث التي نظروا إليها نظرة شكّ"[١].

يُشكّك روبسون بالقواعد النقدية لدى مصنّفي الكتب الستة التي طبّقوها على الحديث النبوي، حيث يرى أنها لم تتمكّن من بيان جميع الأحاديث الموضوعة، إذ يزعم أنّ مصنّفي الكتب الستة لم يدركوا أنّ الأسانيد التي قد تبدو صحيحة قد تكون موضوعة.

أولاً: بذل النُّقاد جهداً عظيماً في التّثبُّت في الحديث وتمحيصه، مما أدّى إلى ظهور علم الرجال وعلم العلل في وقت متقدّم لصيانة الحديث النبوي من الوضع والكذب على رسول الله ﷺ[٢].

ثانياً: لقد كان الصحابة ﷺ يتثبّتون في الرواية، فكثير منهم قد رجعوا إلى النبي ﷺ للتأكد من صحّتها وهذا دليلٌ على وجود الاحتياط والتَّثَبُّت أيامَ النبي ﷺ، وتبعهم التابعون في ذلك، ومَن بعدهم أيضاً، وكان منهج نقد المحدثين دقيقاً بحيث إن النُّقاد تمكّنوا من معرفة الأحاديث الموضوعة ولو كانت بأسانيد ثقات، وبيّنوا أسباب الوضع، والقرائن التي تمكّن النّاقد من معرفة الموضوع.

ثالثاً: إنّ الرجل الأمين الذي يؤمن بصدق الرواية، تتطلّب منه أمانته التّثبُّت في الرواية قبل الإيمان بها ومن صحّة نسبتها إلى النبي ﷺ، ومُصَنِّفو كتب الحديث كانوا علماء في الجرح والتعديل والعلل، ومعاييرهم النّقدية لم تَرْقَ إلا لتميُّزها وجدارتها عمليّاً على الحديث النبوي، فنقدوا الحديث سنداً ومتناً، وقد استفرغوا ما في وسعهم في الحكم على الحديث وتمييز الصحيح من غيره.

رابعاً: إن قواعد الحكم على الحديث لم تتطوّر منذ أن استُخدِمَت بل هي متكاملة ودقيقة منذ بدايتها، وإنما التّطوُّر حصل في المُؤلَّفات الحديثية الخاصة بعلم مصطلح الحديث والرجال والجرح والتعديل، والأحاديث التي نظر المحدّثون إليها نظرة شكّ هي الدّليل على وجود معايير نقد دقيقة لديهم أدّت بهم إلى الشك بأحاديث معيّنة.

خامساً: لم تُؤلَّف كتب الصِّحاح ولم يَحكُم المُحَدّثون على الأحاديث بالصّحّة إلا بعد دراستها وتمحيصها، وكم من حديث حكم عليه العلماء بالوضع رغم إتيان الوضّاع بسلسلة سند صحيحة، إذ أنّ علم الجرح والتّعديل كفيلٌ بالتّعريف بالوضّاعين، وبأوهام الرُّواة، وهذا ما لم يفت على العلماء.

---

(١) Robson, James, Ibn Ishaq's use of Isnad, p. 449.

(٢) انظر ص 78- 82 من هذا البحث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال أيضاً:

<u>ثانياً:</u> "من المهم التّأكيد على طريقة تعامُل هؤلاء الرِّجال مع مادّتهم حيث إن هذا بوجهٍ عامّ لم يتمّ إنجازه من قِبَل الكُتّاب الغربيين، ومن السهل جدّاً التقاط أحاديث مُزَيَّفة بشكلٍ واضح، ثمّ التّأكيد عليها لخلق انطباع بأنّ جامعي الأحاديث كانوا غير ناقدين بالكلّيّة مُستَعِدّين لقبول أيّ شيءٍ يُعرَضُ عليهم إذا كان مُعَظِّماً للإسلام والنّبي، إنّهم كانوا بلا شكّ أقلّ تمييزاً بحسب المعايير الغربيّة، غير أنهم امتلكوا معاييرهم الخاصّة بهم وكرّسوا أنفسهم لها، إنّ الضّررَ الحقيقيّ قد وقع قبل زمانهم عن طريق تطوير أحاديث ليس لها أساس في الحقيقة وإذاعتها عبر وسائل معروفة بحُسْنِ السُّمعة، ولكن مؤلِّفي الكتب المُعتَرَف بها ليسوا هم الذين يقع عليهم اللّوم في ذلك. فهم قد درسوا المادة التي وَصَلَت إليهم فقبلوا بعضها ورفضوا مُعظمها، كان هدفهم هو أن يُقَدِّموا للإسلام مادة موثوقة لتكون قاعدة للدّين والأحكام وكافّة أوجه العلاقات الإنسانيّة، وقد يكون لدينا سببٌ للشّكّ في قسمٍ كبيرٍ من هذه المادّة بل حتى في كلّها، ولكننا لا نملكُ سبباً للشّكّ في صدق الرجال الذين كانوا يجتهدون لغربلة مادتهم وترتيب ما قبلوه ليستفيد منه المجتمع"(١).

وكذلك أيضاً:

<u>ثالثاً:</u> "... وسواءً اعتُبِرَ الرّقمان الممثّلان لأحاديث البخاري 000 600 حديث، وأحاديث أبي داود 000 500 حديث صحيحَيْن أم لا فالقصص تدلّ على أنّ هذين الرّجلين المرجعَين لم يكونا راضِيَيْن عن الغالبية العظمى من الأحاديث التي جمعاها، لقد تمّ الإدراك عموماً بأنّ أحاديث كثيرة مكذوبة كانت مُنتَشِرة، والشّعراء أبدوا انتقادات لاذعة للأساليب المُتّبعة من قِبَل المحدّثين (٢) والنّقد قد بدأ من جانب هؤلاء الذين أرادوا بناء التشريع على أسس أخرى"(١).

---

(١) Robson, James, The Material of Tradition 1, p. 168- 169.

(٢) يبدو هنا أنّ روبسون أشار إلى الشّعراء ربما لأنهم هم آلة الحفظ في ذلك الوقت وأنهم هم أعلم الناس بالنّقد، إلا أنه لم يُؤثر عنهم عموماً انتقادهم لمنهج المحدثين النقدي، وإنما أُثِر عن بعض الشعراء انتقاد بعض الأحكام التي جاءتنا عن رسول الله ﷺ.

ومن أمثلة ذلك الشبهة التي نسبت إلى أبي العلاء المعري في قوله :

يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قطعت في ربع دينار ؟

فأجابه القاسم عبد الوهاب المالكي بقوله :

صيانة العضو أغلاها وأرخصها صيانة المال فافهم حكمة الباري

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد نظر روبسون إلى رجال الكتب السّتة على أنهم لم يعرفوا تمييز الحديث وفصل الصحيح عن غيره، ولو تمّ ذلك للكتّاب والناقدين الغربيين بقواعدهم النقدية لاستطاعوا تمييز الصحيح عن غيره، وكان من أحد معايير قبول الحديث لدى المحدّثين -كما يزعم روبسون- هي إذا كانت مادته تحتوي على شيءٍ يُعظِّم الإسلام والنبي ﷺ.

إن من معايير تعظيم الإسلام والنبي ﷺ الحرص على كلام رسول الله ﷺ ونقده لتمييز صحيحه من غيره، وفي ذلك بيان أن الإسلام عندما قام، قام على الصّحيح الدّقيق ولم يكن كأيّ دينٍ شابتْ نصوصَه أقاويل محرّفة أو آراء لأشخاص محاهم التاريخ ، كذلك لم تكن موضوعات الأحاديث النّبويّة تتّحدّث عن تعظيم الإسلام والنبي ﷺ ليُقال إنّ المُحدّثين كانوا مُستَعدّين لِقَبول أيّ شيء يُعرَضُ عليهم إذا بدا أنه مُعَظِّمٌ للإسلام والنبي ﷺ، فموضوعات الأحاديث النبوية تعدَّدَت؛ فمنها ما تحدّث عن العبادات، أو الأحكام، أو الفتن، أو غيرها من الموضوعات.

وقد غفل روبسون عن أنّ المناهج النّقدية المُتّبعة لدى الغربيين في نقد الكتاب المُقدّس لم تظهر إلا حديثاً في نهاية القرن التاسع عشر، وقبل ذلك لم يكن لأحدٍ الحقّ في نقده فقد كان محرّماً عليهم ذلك، حيث إنه في فترة القرن الثالث الهجري كانت أوروبا غارقة في عصورها الظّلاميّة، ولم يكن لديهم ما يستحقّ أن ينظر إليه المرء من الناحية العلميّة [٢]، وأما قواعد نقد المحدّثين فهي من أرقى القواعد النقدية، وقد أثبتت فاعليّتها رغماً عن روبسون وغيره ممن يُشكّكون في تلك القواعد التي اعترف بجدارتها القاصي والدّاني، ثمّ إنّ الكتاب المُقَدَّس لم يتم نقده ولم توجد مناهج نقدية خاصة به إلا بعد تأثير العلوم النّقدية الإسلامية وما كلام روبسون إلا دليلاً على ازوراره لامتلاك المحدّثين أرقى المعايير النقدية.

وشرحُ ذلك أن الدية لو كانت ربع دينار لكثرت الجنايات على الأيدي، ولو كان نصاب القطع خمسمائة دينار لكثرت الجنايات على الأموال، فظهرت الحكمة في الجانبين، وكان في ذلك صيانة من الطرفين. وانظر:العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري، ج12، ص 98.

ومن هذا القَبيل أيضاً قول أحد شُعَراء المُعتَزِلة في أهل الحديث:

زوامل للأســفار، لا عِلْمَ عندهم بِجَيِّدِها إلا كعِــلْمِ الأبـــاعِــرِ

لَعَمْرُكَ ما يـــدري البعيرُ إذا غدا بأحمالِه أو راح ما في الغرائرِ

انظر: ابن قُتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تأويل مُختلف الحديث، دار الحديث- القاهرة، بدون رقم الطبعة، 2006م، ص64. (بعد تصحيح ما وقع فيه من تصحيف).

(١) Robson, James, Traditional: Investigation and Classification, p. 101.

(٢) سيأتي توضيح ذلك في ص 130 من هذا البحث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ النظر في منهج كلٍّ من أصحاب الكتب السّتة يُبيّن لنا أنهم نقدوا الحديث سنداً ومتناً ويتبيّن كذلك مدى الدّقّة والتكامل في النقد ، "إذ لا يمكن اعتبار حديث ما أو كتاب ما، أو بلغة المؤرّخين وثيقة ما، قابلة للاعتناء بالبحث إذا لم تكن الوثيقة قد وصلت إلينا بالإسناد المتّصل إلى مؤلّف الأصل. ثمّ لا يمكن الاعتماد عليها إذا لم يكن جميع الأشخاص الوارد ذكرهم في سلسلة الإسناد من المعروفين بالصدق والعدالة، أما إذا وُجِدَت الوثيقة أو الكتاب دون استيفاء هذه الشروط فلا يمكن اعتبارها وثيقة عند المحدثين"(١).

قال الشيخ مصطفى التُّوْقَادي: "الطّريقة المُتّبعة في الإسلام لتوثيق الأحاديث النبوية، أفضلُ طريقٍ وأعلاها، لا تُدانيها في دقّتها وسموِّها أيُّ طريقة علميةٍ غربيّةٍ اتُّبِعَت في توثيق الروايات، ففي صحيح البخاري مثلاً: ألفان وستٌّ مئةٍ واثنان من الأحاديث المُسنَدة، سوى المكرّرة، انتقاها البخاري من مئةِ ألفِ حديثٍ صحيحٍ يحفظها، وفيه قريب من ألفي راوٍ، اختارهم من نيّفٍ وثلاثين ألفاً من الرُّواة الثّقات الذين يعرفُهم. وكتاب البخاري، البالغ أربع مجلَّدات كبيرة، يبقى بعد حذف أسانيده على حجم مجلّد واحد متوسّط الحجم ، فهل سمعتم وسمعَت الدنيا أنّ كتاب تاريخ في هذا الحجم، يُروى ما فيه سماعاً من ألفي رجلٍ ثقة، يعرفُهم المؤلِّفُ وغيرُه من أهل العلم، بأسمائهم وأوصافهم، على أن تكون كلُّ جملةٍ مُعَيَّنةٍ من الكتاب، مؤلَّفة من سطرٍ أو أكثر أو أقلّ تقريباً، سمعها فلان، وهو من فلان، إلى أن اتّصلَ –الإسناد والسّماع– بالنبي ﷺ، فيُقام لكلّ سطرٍ من سطور الكتاب تقريباً شهودٌ من الرواة يتحمّلون مسؤوليّة روايته"(٢).

وأما أبو داود، فقد انتخب من بين خمسمائة ألف حديث أربعة آلاف وثماني مائة حديث، حيث قال: كتبتُ عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث، انتخبتُ منها ما ضمّنته هذا الكتاب –يعني كتاب السنن– جمعتُ فيه أربعة آلاف حديث وثماني مائة حديث، ذكرتُ الصّحيح وما يُشبهه ويُقاربه" (٣). وكلامه هذا لا يدل على أنه لم يكن راضٍ عن الأحاديث الأخرى كما زعم روبسون.

---

(١) الأعظمي، محمد مصطفى، منهج النقد عند المحدثين: نشأته وتاريخه، ص97.

(٢) أبو غدّة، عبد الفتاح، الإسناد من الدين، ص 31، نقلاً عن: موقف العقل والعلم والعالَم من ربّ العالَمين وعباده المُرسَلين، ج4، ص87.

(٣) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ج13، ص210.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال المستشرق الألماني شبرينجر (Sprenger): "إنّ الدنيا لم ترَ، ولن ترى، أمّة مثل المسلمين، فقد دُرِسَ بفضل علم الرجال الذي أوجدوه حياةُ نصفِ مليون رجل" [١]، فلا يمكن أن تكون معاييرهم النّقدية أرقى من معايير نقد المحدّثين.

---

(١) أبو غدّة، عبد الفتاح، الإسناد من الدين، من كلامه في الحاشية رقم (2)، ص32.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث: موقف روبسون من مكانة الكتب الستة

المطلب الأول: مسألة تبوُّء الكتب الستة مكانتها

لقد تحدّث روبسون عن مسائل عديدة وهامّة تتعلّق بالكتب السّتّة، وسيتمّ في هذا المبحث تفنيد آرائه فيما يختصّ بقضيّة انتقاء الكتب السّتة وتبوُّئها لمكانتها التي هي عليها الآن، وبيان وجه الخطأ مع تصحيحه، وبيان الصّواب فيما أصاب فيه.

من خلال استقراء أقوال روبسون في تلك المسألة، نجد أنه يبدي رأيه فيها من خلال إعطائه تسلسلاً تاريخيّاً لحين احتلال –على حدّ تعبيره– الكتب الستة لمكانتها الحالية؛ يقول في ذلك:

<u>أولاً:</u> "هناك ستة مصنّفات تبوّأت بمرور الوقت مركزاً مُتَفوِّقاً على غيرها، وهي لم تُؤلَّف بناءً على تكليف؛ فهي مجرَّد جهود شخصيّة من جانب دارسين، واعتُبِرَ أكثرها موثوقيّة صحيحا البخاري ومسلم، ويليهما في الأهميّة كتاب السُّنن لأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه"(١).

لا يُعيب الكتب الحديثية أن تكون جهوداً شخصية، بل يدل هذا على أنها كُتِبَت في عصور النّهضة العلميّة، والتي يُعَدُّ القرن الهجريّ الثالث حلقة من حلقاتها المشرقة، حيث يُعْتَبَر ذلك القرن عصراً ذهبيّاً في علوم السّنّة النّبوية، فقد نشطت فيه الرحلة في طلب العلم ونشط فيه التأليف في فنون السنة النبوية وعلومها وتوسَّع فيه تدوين السنة النبوية فظهرت فيه كتب السّنة الصِّحاح والسنن والمسانيد وتلقتها الأمة بالقبول والرضا والثناء واعتبرتها دواوين الفقه ومرجع العلوم لا سيما وأن القرنين الثاني والثالث شهدا تأسيساً وتأصيلاً علمياً دقيقاً لعلوم السنة فقد وضع الأئمة مالك والشافعي والأوزاعي والثوري ووكيع وغيرهم من العلماء أسس التدوين للسنة لحمايتها من الشوائب ونفي النقص عنها.

وعلماء الإسلام بصفة عامة وعلماء السنة النبوية خاصة لم ينتظروا تكليفاً من أحد للقيام بواجبهم في حفظ السنة النبوية وتدوينها وتقريبها لعامة المسلمين وخاصتهم وتأصيل علومها وفنونها، علماً بأن التاريخ سجَّل لنا احتفاءَ ولاةِ أمرِ المسلمين بحركة التأليف والجمع والتدوين للسنة النبوية ورعايتهم لها بل تكليفهم لبعض العلماء بأداء الواجب في ذلك وتقديم الدّعم لهم(٢).

---

(١) Robson, James,
1- Hadith, p. 24.
2- Muslim Tradition: The Question of Authenticity, p.92.

(٢) مثال ذلك دعوة الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز لأبي بكر بن حزم الأنصاري، حيث قال: "انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفتُ دروس العلم وذهاب العلماء". وقال ابن حجر: "يُستَفادُ منه ابتداء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإن كانت جهود التأليف شخصية من كثيرٍ من علماء الإسلام ، كما كانوا يتبادلون الرّأي فيما بينهم في أعمالهم ومسار تآليفهم.

ولا غرو أن يتلقّى علماء الإسلام وأمته هذه المصنّفات الستة بالقبول لما علموه من سيرةِ أصحابها وجدّهم وجَلَدهم في العلم وأمانتهم في الأداء، ومما قيل في صحيح البخاري: قال الفِرَبري: "سمع كتاب الصحيح لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجلٍ، فما بقي أحد يرويه عنه غيري" (١)، ومما قيل في صحيح مسلم: وقال مكّي بن عَبْدان: "سمعتُ مسلماً يقول: عرضتُ كتابي هذا (المُسند) على أبي زُرعة، فكلّ ما أشار عليّ في هذا الكتاب أنّ له عِلّة، فهو الذي أخرجتُ. ولو أنّ أهل الحديث يكتبون الحديث مئتي سنة فمدارهم على هذا (المسند)"(٢). ومع هذا القبول إلا أن العلماء الثقات تناولوا هذه المصنّفات بالدراسة والتحليل والنقد فأبانوا وأقروا بما تميزت به من إيجابيات ووجّهوا النقد لها بموضوعية علميّة وأمانة وحياديّة ممّا عزَّزَ الثّقة فيها وأصبح التّعامل معها في وضوح كامل.

وقد أعلى الإسلام من شأن العلم فهو لا يرتبط بالمناصب، والعلم القائم على جهود شخصيّة ربما كان فيه إخلاص أكثر، فالمناصب قد تحرم الإنسان أحياناً من تحصيل العلم؛ والعلم لا يحتاج لتكليف رسميّ.

<u>ثانياً:</u> إنّ الوقت الذي أصبحت فيه تلك المؤلَّفات الستة مُعتَرَفاً بأنها مراجع رئيسة لا يمكن تحديده بشكل جازم، وهذا على كلِّ حال كان عبارة عن عملية بطيئة بالنسبة لبعضها؛ إذ رغم الاعتراف بصحيحي البخاري ومسلم خلال قرنٍ من الزمان بأنهما الأكثر مرجعيّة (أو

تدوين الحديث النبوي. وكانوا قبل ذلك يعتمدون على الحفظ فلما خاف عمر بن عبد العزيز وكان على رأس المائة الأولى من ذهاب العلم العلماء رأى أنّ في تدوينه ضبطاً له وإبقاءً. وقد روى أبو نعيم في تاريخ أصبهان هذه القصة بلفظ: كتب عمر بن عبد العزيز إلى الآفاق: انظروا حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه".

انظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب العلم، باب كيف يُقبَض العلم، ج1، ص256-257.

وكذلك الإمام مالك، حيث إن أحد أسباب تأليفه للموطأ هو دعوة الخليفة المنصور له بذلك، وأن يجنّبَ فيه شدائد ابن عمر ورُخَص ابن عباس.

انظر: اليحصبي، القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، دار الفكر، بيروت، بدون السنة، ج 2، ص 72.

(١) المرجع السابق، ج 24، ص445، وأيضاً: الذّهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد نعناعة ومُسْعَد كامل وأيمن سلامة، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر- القاهرة، ط1، 2004م، ج8، ص35.

(٢) المرجع السابق، ج12، ص568.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موثوقيّة)، إلا أنه مرّت قرون عديدة إلى أن تمّ الاعتراف بالكتب الستة كلها. فالمرء عُرضة لأن يتصوَّر بأنّ الصحيحين قد لقيا قبولاً على الفَوْر، ولكن بالكاد يبدو ذلك محتَملاً. وهي لم يُعتَرف بها آنذاك ضمن الكتب الأكثر جدارة التي قد تمّ وضعها، ولا بدّ من مرور الوقت حتى أصبح الصحيحان مُعتَرَفاً بهما[١].

إنّ قَول روبسون إنّ الاعتراف بالكتب الستة كانت عملية بطيئة قولٌ مردود يردّه الواقع؛ إذ أنّ كلٌّ من الأئمة كان يعرض كتابه عند انتهائه على العلماء الحُفّاظ النُّقّاد من أهل عصره، فللواقع المنقول يثبت لنا عدم صحة هذا الادعاء أو الافتراض من روبسون فقد تلقّى العلماء هذه المصنفات –وخاصة الصّحيحيْن– منذ أن دفعَ بها أصحابُها إلى النّاس وقاموا بنشرها وتحدّثوا بها، ودرسوها فوراً وأبانوا موقفَهم منها وذلك لما عَلِموه من أمانةِ مُصَنِّفيها والثِّقة فيهم وورَعِهم وتقواهم.

<u>**ثناء العلماء وقبولهم لصحيح البخاري:**</u>

فالإمام البخاري **(**ت 256 هـ**)** قام بتصنيف كتابه الصحيح الذي التزم فيه بالاقتصار على الصحيح من السنة النبوية وإن لم يلتزم باستيفائها كلِّها [٢] ورتَّبَه وبَوَّبَه على أبواب الفقه.

قال الفِرَبري: "سمع كتاب الصحيح لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجلٍ، فما بقي أحد يرويه عنه غيري"[٣]. ولما أخرج الجامع الصحيح للناس وأخذ يُحدِّث به طار في الآفاق أمرُه فهَرَعَ إليه الناس من كل فجٍّ يتلقّونه عنه حتى بلغ من أخذه نحو من مائة ألف وانتشرت نسخُهُ في الأمصار وعَكَفَ عليه الناس حِفْظاً ودراسةً وشرحاً وتلخيصاً وفَرِحَ به أهلُ العلم فَرَحاً عظيماً.

---

(١) Robson, James,
1- Hadith, p. 24.
2-Muslim Tradition: The Question of Authenticity, p.92.

(٢) حيث قال الإمام البخاري: "ما أدخلتُ في هذا الكتاب إلا ما صحّ، وتركتُ من الصّحاح كي لا يطول الكتاب". انظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيق الكتاب وخرّجَ أحاديثه: شعيب الأرناؤوط، حقّق هذا الجزء: صالح السَّمر، ج 12، ص402، وأيضاً: المزي، أبو الحجاج يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، حققه وضبط نصّه وعلّق عليه: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة–بيروت، ط1، 1992م، ج24، ص442.

(٣) المرجع السابق، ج 24، ص445، وأيضاً: الذّهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد نعناعة ومُسْعَد كامل وأيمن سلامة، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر– القاهرة، ط1، 2004م، ج8، ص35.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلم يتمّ تصنيف الصّحيح بين ليلةٍ وضحاها، وإنما وِفق أشدّ الشروط ومعايير النّقد وأرفعها، وقد استغرق إنجازه ست عشرة سنة، خرّج أحاديثه فيها من بين زهاء ستمائة ألف حديث(١).

وقد تلقّته الأمّة كافّة بالقَبول وأجْمَعَ العلماء على قبوله واتّفق جمهورُهم على أنه أصحّ كتاب بعد كتاب الله تعالى. وقد بلغَت من عناية المسلمين به واحتفائهم به أن بلغَت المصنفات التي تناولتْه شرحاً وتلخيصاً ودراسة أكثر من ثمانين مصنفاً.

<u>ثناء العلماء وقبولهم لصحيح مسلم:</u>

ومن ثم جرى الإمام مسلم (ت 261 هـ) على منوال شيخه البخاري، ووضع كتابه وهو أجلّ كتاب بعد صحيح الإمام البخاري، وكثرت شروحُه كثرة بالغة.

قال الحافظ ابن مَنْدة: "سمعتُ أبا علي النيسابوري الحافظ يقول: ما تحتَ أديم السّماء كتابٌ أصحّ من كتاب مسلم"(٢).

وقال مكّي بن عَبْدان: "سمعتُ مسلماً يقول: عرضتُ كتابي هذا (المُسند) على أبي زُرعة، فكلّ ما أشار عليّ في هذا الكتاب أنّ له عِلّة، فهو الذي أخرجتُ. ولو أنّ أهل الحديث يكتبون الحديث مئتي سنة فمدارهم على هذا (المسند)"(٣).

وعن ابن الشرقي، عن مسلم قال: "ما وضعتُ في هذا (المسند) شيئاً إلا بحُجّة، ولا أسقطتُ شيئاً منه إلا بحُجّة"(٤).

<u>ثناء العلماء وقبولهم لسنن النسائي:</u>

صنّف الإمام النسائي (ت 303 هـ) سننه الكبرى مشتملة على الصّحيح والمعلول ثم اختصرها في السنن الصغرى وهي بعد الصحيحين في المنزلة لأنها أقلّ السنن احتواءً على أحاديث ضعيفة، قال الحاكم: "أما كلام أبي عبد الرحمن على فقه الحديث فأكثر من أن يُذكَر، ومَن نظر في كتاب السُّنن له تحيَّرَ في حُسن كلامه"(٥).

---

(١) قال البخاري: "صنَّفتُ كتاب (الصّحاح) ست عشرة سنة خرَّجتُه من ستّ مائة ألف حديث، وجعلتُه حُجّة فيما بيني وبين الله تعالى". انظر: المزي، أبو الحجاج يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج 24، ص449.

(٢) الذّهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ج12، ص566.

(٣) المرجع السابق، ج12، ص568.

(٤) المرجع السابق، ج12، ص568.

(٥) الحاكم، محمد بن عبد الله بن البَيِّع، معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، تحقيق: أحمد بن فارس السَّلوم، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ط1، 2003م، ص282.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثناء العلماء وقبولهم لسنن أبي داود:

وانتقى الإمام أبو داود (ت 275هـ) سننه من خمسمائة ألف حديث وقصرها على أحاديث الأحكام وبلغت 4800 حديث[١]، وقد أثنى عليه علماء عصره بالحفظ والفهم والعلم مع الورع والدين وقال فيه الحاكم : "كان أبو داود إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة"[٢]، وقال عنه محمد بن مخلد: "كان أبو داود يفي بمذاكرة مائة ألف حديث، ولما صنّفَ كتاب السّنن وقرأه على الناس صار كتابه لأصحاب الحديث كالمصحف يتّبعونه ولا يُخالفونه. وأقرّ له أهل زمانه بالحفظ والتّقدُّم فيه"[٣].

قال ابن الأعرابي: "إن حصل لأحد علم كتاب الله وسنن أبي داود يكفيه ذلك في مقدّمات الدين، ولهذا مثّلوا في كتب الأصول لبضاعة الاجتهاد في علم الحديث بسنن أبي داود"[٤].

وقال أبو سليمان الخطابي في معالم السُّنن : "كتاب السنن لأبي داود كتاب شريف لم يُصنَّف في علم الدين كتاب مثله، وقد رُزِقَ القبول من كافّة الناس وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم، وعليه مِعْوَل أهل العراق ومصر وبلاد المغرب وكثير من أقطار الأرض، فكان تصنيف علماء الحديث قبل أبي داود الجوامع والمسانيد ونحوها، فيجمع تلك الكتب إلى ما فيها من السُّنن والأحكام أخباراً وقصصاً ومواعظ وأدباً، فأما السُّنن المحضة فلم يقصد أحد جمعها واستيفائها على حسب ما اتّفق لأبي داود، لذلك حلَّ هذا الكتاب عند أئمة الحديث وعلماء الأثر محلّ العجب، فضربت فيه أكباد الإبل، ودامت إليه الرّحل"[٥].

وقال أيضاً: "يُقال إنه صنّفَ كتابه (السُّنن) قديماً، وعَرَضَه على أحمد بن حنبل، فاستجاده واستحسَنَه"[٦].

---

(١) قال أبو داود: "كتبتُ عن رسول الله خمس مائة ألف حديث، انتخبتُ منها ما ضمنتُه هذا الكتاب –يعني كتاب (السنن)–، جمعتُ فيه أربعة آلاف حديثٍ وثماني مائة حديث،..". انظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيق الكتاب وخرّج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط، حقق هذا الجزء: علي أبو زيد، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط11، 1996م، ج13، ص209– 210.

(٢) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ج13، ص204.

(٣) المرجع السابق، ج13، ص212.

(٤) المباركفوري، أبو العُلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ج 1، ص100.

(٥) الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد البستي، المطبعة العلمية بحلب، 1932، ص3.

(٦) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ج13، ص209.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال أبو بكر محمد بن إسحاق الصّاغاني، وإبراهيم الحَرْبي: "لما صَنَّفَ أبو داود كتاب (السُّنن) أُلين لأبي داود الحديث، كما أُلين لداود ﷺ الحديد"(١).

وقال الحاكم: سمعتُ الزُّبير بن عبد الله بن موسى، سمعتُ محمد بن مَخْلَد يقول: كان أبو داود يفي بمُذاكرة مائة ألف حديثٍ، ولما صَنَّفَ كتاب (السُّنن)، وقرأه على الناس، صار كتابُه لأصحاب الحديث كالمُصحف، يتّبعونه ولا يُخالِفونه، وأقرّ له أهل زمانه بالحفظ والتَّقَدُّم فيه"(٢).

وقال الحافظ زكريا الساجي: "كتابُ الله أصلُ الإسلام، وكتابُ أبي داود عهد الإسلام"(٣).

وكذلك سماع الرواة للسنن (٤) وروايتهم لها عنه عند انتهائه من تصنيفه، حجّة تدل على قبوله وانتشاره في الآفاق.

<u>ثناء العلماء وقبولهم لسنن الترمذي:</u>

أما الإمام الترمذي (ت 270 هـ) فغدا إماماً في الحديث جَمَعَ إلى الدين والورع الحفظ والثقة وصنّف جامعَه على أبواب الفقه واشتمل على الصحيح والحسن والضعيف مع الحكم على كل حديث في موضعه، قال عنه أبو يعلى: "ثقة متفق عليه" ويكفي في توثيقه أنّ إمام المحدثين محمد بن إسماعيل البخاري كان يعتمده ويأخذ عنه، وقال الإمام الترمذي: "صنّفتُ هذا الكتاب فعرضته على علماء الحجاز والعراق وخراسان، فرضوا به"(٥).

كذلك روايته له تُعد دليلاً على قبول كتابه(٦).

---

(١) المرجع السابق، ج13، ص212.

(٢) المرجع السابق، ج13، ص212.

(٣) المرجع السابق، ج13، ص215.

(٤) حيث سمع السنن منه عددٌ من الرواة منهم: أبو الطيب أحمد بن إبراهيم البغدادي، وأبو عمرو أحمد بن علي بن حسن البصري، وأبو سعيد بن الأعرابي، وعلي بن الحسن بن العبد الأنصاري، وأبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي، ومحمد بن بكر بن داسة التمار، وأبو أسامة محمد بن عبد الملك الروّاس، كما طلب منه الأمير ببغداد أبو أحمد الموفق أن يروي السنن لأولاده، وقد فعل ذلك، وهذه العناية التي حظي بها كتابه كانت من باب قبوله واستحسانه. انظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ج 13، ص205-206، 216.

(٥) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفّاظ، ج2، ص632.

(٦) من رواة كتابه: أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب. انظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ج13، ص272.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثناء العلماء وقبولهم لسنن ابن ماجه:

أما الإمام ابن ماجه (ت 273 هــ)، فقد قال: "عرضتُ هذه (السُّنن) على أبي زُرعة الرازي، فنظر فيه، وقال: أظنُّ إنْ وَقعَ هذا في أيدي الناس تعطَّلَت هذه الجوامع، أو أكثرها. ثم قال: لعلّ لا يكون فيه تمام ثلاثين حديثاً، مما في إسناده ضعف، أو نحو ذا"(١).

وقال عنه الذهبي: "سنن أبي عبد الله كتاب حسن لولا ما كدّره من أحاديث واهية ليست بالكثيرة"(٢).

وقال ابن الأثير: "كتابه كتاب مفيد قويّ النفع في الفقه، لكن فيه أحاديث ضعيفة جداً، بل منكرة"(٣).

ألا تدلّ أقوال الأئمة السابقة بصراحة عن قبول فوري للكتب الستة من قبل علماء زمانهم؟.

وكل هذا يبين أن علماء السنة لم يتأخروا في دراسة الكتب وتحليلها فأبانوا ما فيها من صواب وخطأ حتى استقر اليقين في قلب الأمة قبولها وتكونت على مدار السنين مرجعيتها وزادت الثقة بها.

أدلّة روبسون على ما سبق:

- **الحاكم وهو محمد بن عبد الله النيسابوري (ت: 405هــ/ 1014م) في بحثه درجات الثقة في الحديث يضع على رأس قائمته تلك الأحاديث التي أوردها كل من البخاري ومسلم، وكَوْن مرجع كهذا قادراً على قول ذلك دون أن يحاول تبرير قوله يدلّ على أنه كان يُعبِّر بصراحة عن رأي عَرَفَ أنه يلاقي قبولاً بسرعة، ومع أنه يجب عدم التفكير في البخاري ومسلم بأنهما رجلان لاقى كتاباهما بوجهٍ عام قبولاً فَوْرَ الانتهاء منهما، إلا أن هناك سبباً للاعتقاد بأنه بحلول سنة 400هــ على الأقلّ تقدَّمَ كتاباهما إلى مُتقَدِّمة من حيث التّقدير العامّ(٤).**
- **ليس سهلاً إلى هذه الدرجة التكلم بثقة عن الأربعة الآخرين ، فالفهرست، وهو كتاب مكتوب عام 377هــ، لا يأتي حتى على ذكر النسائي وابن ماجه، كما أنه يذكر أبا داود ذكراً عابراً عند الكلام عن ابنه، ويقول جولدتسيهر: أنه بحلول نهاية القرن**

---

(١) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ج13، ص278.

(٢) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفّاظ، ج2، ص636.

(٣) المباركفوري، أبو العُلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ج 1، ص108.

(٤) Robson, James, Tradition- the second foundation of Islam, p.32.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخامس أو بداية القرن السادس بدأ وضع الترمذي وابن ماجه بجانب الأربعة الآخرين، وكل ما يمكن أن يقوله المرء على سبيل اليقين هو أنّ مُؤلَّف ابن ماجه كان آخر ما تمّ الاعتراف به(١).

- **ويتكلّم الحاكم عن الأئمة الخمسة، إلا أنه لا يُحدِّد مَن هم، وقد عنى بذلك الخمسة المُعتَرَف بهم آنذاك بدون ابن ماجه، ولكنه ربما يكون قد أدرج موطأ مالك وحذف الترمذي أو النسائي(٢).**
- **ويتكلَّم أبو بكر بن الخير وهو مرجع إسباني (ت: عام 575هـ/ 1179م) عن طريق الرواية التي تلقّى عبرها الكتب الخمسة الأخرى والمجموعات الأخرى، غير أنه لا يُعطي إشارة إلى أنه كان حتّى يعرف بوجود مجموعة ابن ماجه(٣).**
- **ويتجاهل النووي (ت: عام 676هـ/ 1277م)، وهو عالِم كبير جداً من علماء نيسابور(٤) ابن ماجه كلياً(٥).**
- **ويقول ابن خلدون (ت عام 808هـ/ 1406م) بأنّ بعض الناس يعتبرون سنن ابن ماجه الكتاب السادس. ومن المستحيل القول متى أصبح كتاب ابن ماجه مقبولاً بوجهٍ عام(٦).**
- **ويُلاحظ جولدتسيهر في الغرب بأنّ أ بايوسف بن يعقوب (580-595/ 1198-؟؟) ذكر عشرة كتب باعتبارها قاعدة نظامه الشرعي، وكانت هي الكتب الخمسة المَذكورة آنفاً -حاذفاً ابن ماجه-، والموطأ، وسنن البزار (٧)، ومسند ابن أبي شيبة، وسنن الدارقطني، وسنن البيهقي، ولكنه يُضيف أنه في المَشْرِق كان الاحترام للكتب الأربعة رسميّاً بدون دعم رسمي(٨).**

---

(١) المرجع السابق، ص32.

(٢) المرجع السابق، ص32.

(٣) المرجع السابق، ص32.

(٤) تجدر الإشارة هنا إلى خطأ روبسون، فالنووي وُلِدَ في "نوا" من قرى حوران ودرس ودرَّسَ وعاش في دمشق إلى أن تُوفّي في "نوا" ولم يُذكَر عنه أنه وطئ نيسابور، إلا أنه فعلاً لم يُشِر إلى ابن ماجه.

(٥) Robson, James, Tradition- the second foundation of Islam, p.32.

(٦) المرجع السابق، ص32، أيضاً: Robson, James,

1- Hadith, in the Encyclopedia of Islam, p.24.

2- Mishkat al- masabih, English translation with explanatory notes, (Author: Khatib al-Tabrizi, Muhammad ibn Abd Allah, fi. 1337), p.5.

(٧) ليس للبزار سنن وإنما مسند البزار.

(٨) Robson, James, Tradition- the second foundation of Islam, p.33.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **حتّى وقتٍ متأخِّر امتدّ إلى القرن السابع لم يُشِرِ ابن الصلاح (577-643هـ)، وكان مرجعاً عظيماً درَّسَ في دمشق إلى ابن ماجه في كتابه علوم الحديث[١].**

ويمكن توضيح الأخطاء التي وقع فيها روبسون فيما يلي:

اعتمد روبسون للتدليل على بطء الاعتراف بالكتب الستة على أدلّة واهية:

اعتمد على الفهرست لابن النديم؛ وابن النديم هو أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد ابن إسحاق، اختُلِفَ في تاريخ وفاته فقيل سنة 385هـ، وقيل توفي بعد سنة 412هـ، صاحب كتاب الفهرست، قال الذهبي فيه: " رافضي معتزلي فإنه يسمي أهل السنة الحشوية ويسمى الأشاعرة المجبرة ويسمي كل من لم يكن شيعياً عاميّاً وذكر في ترجمة الشافعي شيئاً مختلقاً ظاهر الافتراء فمما في كتابه من الافتراء ومن عجائبه أنه وثَّق عبد المنعم بن إدريس والواقدي وإسحاق بن بشير وغيرهم من الكذّابين وتكلّم في محمد بن إسحاق وأبي إسحاق الفزاري وغيرهما من الثقات"[٢].

وأشهر كتبه الفهرست وهو أوّل كتابٍ أُلِّف في التعريف بمختلف الفنون وما صُنِّف فيها، وفي الكتاب عشر مقالات، حسب تنوُّع الثقافة التي قرأها ابن النديم أو التي سمع عنها، وجميعها يُقدِّم صورة واضحة لحصيلة علمية ضخمة وُجِدَت لدى العرب، في مُنتَصف القرن الرابع الهجري.

واعتمد على ابن خلدون الذي يُعدُّ مؤسّس علم الاجتماع ومؤرّخاً عربياً مسلماً حيث كان له باعٌ في العلوم الإنسانية، وهو ليس محدّثاً ولا ناقداً للرجال؛ لذا لا يُعتَدُّ برأيه في الحديث، وله عدد من المصنّفات في التاريخ والحساب والمنطق، وكتابه المقدّمة يُعدّ من أشهر كتبه.

لذا فقد أغفل روبسون آراء علماء الحديث في سنن ابن ماجه، واختار الشاذ من أقوال من ليسوا من أهل الحديث، فهلا تحدث عن ثناء حفاظ عصره ونقاده ممن لهم قدم راسخة في علم الحديث على تلك المصنفات وقيمتها العلمية، وهلا تحدث عن عناية المسلمين بها منذ ذلك الحين حتى الآن شرحاً وتعليقاً وتخريجاً؟

إنّ المتقدّمين قبلوا جميع المصنّفات الحديثية بما فيها الكتب الستة، وأما انتقاء تلك المجموعة من بين المصنّفات فهو أمرٌ اجتهادي، قال السيوطي: "اجتمع ناسٌ من أصحاب الحديث إلى الحافظ الحجة أبي علي سعيد بن عثمان بن السكن (ت: 353هـ) فقالوا: إنّ الكتب في الحديث كثيرة، فلو دلَّنا الشيخ على شيء نقتصر عليه منها، فدخل إلى بيته وأخرج

---

(١) Robson, James, Mishkat al- masabih, English translation with explanatory nptes, (Author: Khatib al- Tabrizi, Muhammad ibn Abd Allah, fi. 1337), p. 4.

(٢) العسقلاني، أحمد بن علي، لسان الميزان، ج5، ص72.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أربع رزم ووضع بعضها على بعض وقال: هذه قواعد الإسلام؛ كتاب البخاري وكتاب مسلم وكتاب أبي داود وكتاب النسائي"(١).

يتّضح أنّ اختيارها كان لأجل تسهيل الوصول إلى قواعد الإسلام، وتمّ ذلك للكتب الخمسة في القرن الرابع، وأما سنن ابن ماجه فقد تمّ اعتباره الكتاب السادس في القرن السادس، ويُعدّ أبو الفضل بن طاهر المقدسي (ت: 507هـ) أول مَن جعله سادس الكتب في كتابيه **أطراف الكتب الستة** و**شروط الأئمة الستة**، قال المباركفوري في مسألة انتقاء الكتب الستة: "اشتهرت غاية الاشتهارواختيرت للقراءة والإقراء، والسماع والإسماع، وذلك لِما فيها من الفوائد ما ليس في غيرها" (٢)، وكذلك ابن الأثير كان قد ضمّ سنن ابن ماجه في كتابه **جامع الأصول**.

ثم تلاه الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت 600هـ) في كتابه **الكمال في أسماء الرجال**، ثم تابعهما العلماء من بعدهم، وسبب تقديم هؤلاء لسنن ابن ماجه على **الموطأ** –الذي كان العلماء يُفاضلون بينه وبين سنن ابن ماجه– هو كثرة زوائده على الكتب الخمسة بخلاف الموطأ(٣).

لم يذكر الحاكم سنن النسائي والترمذي وابن ماجه في كتابه معرفة علوم الحديث هو والبيهقي وابن حزم وغيرهم، وذلك يعود إلى: أنّ الحاكم لم تكن عنده هذه السنن، كما قال الذهبي في **تذكرة الحفاظ**(٤). إلا أنّ إقرار الحاكم بجلالة هؤلاء الأئمة فأمرٌ ثابتٌ عنه؛ ففي كتابه **معرفة علوم الحديث** –في النوع العشرين من علوم الحديث–، حيث اختصّ هذا النوع بذكر فقهاء الحديث النبوي، فذكر منهم عُدّة من الجهابذة، ختم قوله بالتالي: "قد اختصرتُ هذا الباب وتركتُ أسامي جماعة من أئمّتنا كان من حقهم أن أذكرَهم في هذا الموضع، فمنهم: أبو داود السّجستاني، ومحمد بن عبد الوهاب العبدي، وأبو بكر الجارودي، وإبراهيم ابن أبي طالب، وأبو عيسى الترمذي، وموسى بن هارون البزاز، والحسن بن علي

---

(١) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، طبقات الحفّاظ، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط2، 1994م، ص379.

(٢) المباركفوري، أبو العُلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ج 1، ص88.

(٣) المرجع السابق، ج1، ص88– 89، وأيضاً: النعماني، محمد عبد الرشيد، الإمام ابن ماجه وكتابه السنن، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط 6، 1419هـ، ص180.

(٤) انظر: النعماني، محمد عبد الرشيد، الإمام ابن ماجه وكتابه السنن، ص121.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعمري، وعلي بن الحسين بن الجنيد، ومحمد بن مسلم بن وارة، ومحمد بن عقيل البلخي، وغيرهم من مشايخنا رضي الله عنهم أجمعين"(١).

وقد قال عبد الغني النابلسي في كتابه **ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث:** "وقد اختُلِفَ في السادس، فعند المشارقة هو كتاب السنن لأبي عبد الله محمد بن ماجه القزويني، وعند المغاربة كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس الأصبحي"(٢).

فالمتقدمون قبلوا جميع المصنفات الحديثية الستة وغيرها، والمتأخرون تخيروا من تلك المصنفات ما يساعدهم على فهم أصول الدين الإسلامي، وبالتالي يتضح خطأ روبسون؛ فالكتب الستة قد نالت الاعتراف منذ تأليفها.

المطلب الثاني: معايير انتقاء الأحاديث

تطرَّق روبسون لمسألة معايير نقد الحديث النبوي لدى الإمامَيْن البخاري وأبي داود، وكان رأيه كما يلي:

أولاً: "عندما كبُر الاهتمام بالحديث كان العرض من الأحاديث يفي بالطّلب، يُقال بأنّ البخاري في أسفاره البعيدة سعياً وراء الحديث جمع ما يُقارب 000 600 حديث، غير أنه عندما كتب صحيحه رفض غالبيتها، ويُقال عموماً بأنّ الصّحيح يشمل 7275 حديثاً إلا أنه أخذ المكرّر بعين الاعتبار يُصبح العدد 4000 حديث، إنه لمُفزِعٌ التّصوُّر بأنه من بين 600000 حديث تمّ أخذ 4000 حديث فقط موثوقة لإدراجها، ويُنقَل عن أبي بكر بن داسة روى عن أبي داود قوله بأنه دوَّن 500000 حديث عن النبي انتقى من محتويات سننه 4800 حديثاً تتضمّن هذه التي هي صحيحة وتلك التي تُضاهيها وتلك التي تُقاربها، ويروي ابن الصلاح عن أبي داود قوله: "لقد أوضحتُ في كتابي هذا الأحاديث التي فيها ضعفٌ كبير، ثمّ إنّ الأحاديث التي لم أقل شيئاً عنها صحيحة، وبعضها أكثر من بعضها الآخر"(٣).

لقد أراد روبسون تصوير القسم الأكبر من الحديث النبوي أنه موضوعٌ مُختَلَق، ودليله انتقاء الإمامين البخاري وأبي داود بضعةَ آلاف حديثٍ من بين أضعاف هذا العدد، وأن انتقاءهم هذا يُعبّر عن شكّهم في صحّة معظم الحديث، وكان لهؤلاء المحدثين معايير خاصّة بهم استخدموها لغربلة الحديث وتمييز الصحيح عن غيره، إلا أنّ معايير نقد الحديث لم تكن على درجة عالية من الفاعلية، حيث لم يقم بتلك العملية إلا الكتّاب الغربيون الذين يمتلكون

(١) الحاكم، محمد بن عبد الله، معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، ص287.

(٢) النعماني، محمد عبد الرشيد، الإمام ابن ماجه وكتابه السنن، ص187، نقله عن كتاب النابلسي، ج1، ص3.

(٣) Robson, James, Traditional: Investigation and Classification, p.101.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مناهج نقدية تتفوَّق على تلك التي يستخدمها المحدثون في نقد الأحاديث، والتي ينبغي تطبيقها على الحديث للتحقق من صحّة الأحاديث.

إنّ قول البخاري إنه انتقى صحيحه من بين ستمائة ألف حديث(١)، وأبي داود إنه انتقى أحاديث السنن من بين خمسمائة ألف حديث (٢)، فإن هذا لا يعني أن كل حديث منها عبارة عن سند ومتن يختلف عن الآخر، وإنما يضم المتن نفسه بأسانيد مختلفة؛ فمثلاً هنالك ثلاثة أسانيد لنفس المتن، فهذا يعني أنها عبارة عن ثلاثة أحاديث، وينبغي الإشارة إلى أن البخاري وأبا داود لم يعبرا عن رفضهما لذلك العدد الكبير من الأحاديث وإنما كان لكل منهما شرط في كتابه التزم بتخريج الأحاديث وفقه، ثم إن الإمام البخاري اقتصر على تخريج الحديث الصحيح فقط، وراعى الاختصار، ولم يخرج كل الأحاديث الصحيحة مخافة الطول، روى الإسماعيلي عن البخاري أنه قال: "لم أخرّج في هذا الكتاب إلا صحيحاً، وما تركت من الصحيح أكثر"، قال الإسماعيلي: لأنه لو أخرج كل صحيح عنده، لجمع في الباب الواحد حديث جماعة من الصحابة، ولذكر طريق كل واحد منهم إذا صحّت، فيصير كتاباً كبيراً جداً، وروى أبو أحمد بن عدي أنّ البخاري قال: "ما أدخلتُ في كتابي الجامع إلا ما صحّ، وتركتُ من الصحيح حتى لا يطول" (٣). أما أبو داود فإنه ذكر بمقدّمة كتابه أنه منهجه لا يقتصر على تخريج الصّحيح فقط وإنما أيضاً ما يُشبهه ويُقاربه؛ قال في ذلك: "كتبتُ عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث، ذكرتُ الصّحيح وما يُشبهه ويُقاربه"(٤).

<u>ثانياً:</u> "حتى في أكثر كتب الأحاديث موثوقية هناك أحاديث كثيرة لا يستطيع الملاحظ النزيه قبولها على أنها حقيقية؛ ولكن الضّرر قد تمّ إلحاقه منذ عهدٍ طويل، ولا توجد وسيلة تُثبت بصورة قاطعة كيف أصبحت الأحاديث الزائفة زيفاً واضحاً مقبولة على أنها حقيقية؛

---

(١) قال البخاري: "أخرجتُ هذا الكتاب من زُهاء ست مائة ألف حديث". انظر: المزي، أبو الحجاج يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، حققه وضبط نصّه وعلّق عليه: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1، 1992م، ج24، ص442، وأيضاً: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيق الكتاب وخرّجَ أحاديثه: شعيب الأرناؤوط، حقّق هذا الجزء: صالح السَّمر، ج 12، ص402.

(٢) قال أبو داود: "كتبتُ عن رسول الله خمس مائة ألف حديث، انتخبتُ منها ما ضمنتُه هذا الكتاب -يعني كتاب (السنن)-، جمعتُ فيه أربعة آلاف حديثٍ وثماني مائة حديث،..". انظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيق الكتاب وخرّج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط، حقق هذا الجزء: علي أبو زيد، ج13، ص209- 210.

(٣) العسقلاني، أحمد بن علي، هدي الساري مقدمة فتح الباري، ص9.

(٤) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ج13، ص210.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالمجتمع كان حريصاً على رفض الأحاديث الزائفة، ومع ذلك فقد احتفظ بشكلٍ واضح بأحاديث كثيرة في كتب يجرؤ على الشك فيها عدد قليل من المسلمين الصالحين"[١].

__ثالثاً:__ "من السهل بالنسبة للشخص الذي يبحث عن أخطاء أن يلتقط من كتب الأحاديث أمثلة لأحاديث زائفة بصورة واضحة فهي من الكثرة بمكان، إلا أنّ ذلك قد يقود المرء إلى الإخفاق في إدراك الهدف الجليل الذي حدا بجامعي الأحاديث القيام بعملهم"[٢].

يدّعي روبسون وجود أحاديث "مزيّفة" –حسب تعبيره– في أوثق كتب الحديث، وعلى الرغم من حرص المحدثين على التنبيه إليها، فإنهم أخفقوا في نقدها كلها، والنّاقدون لها قلّة.

__أولاً:__ لا يوجد في علم الحديث مصطلح الحديث ما يسمى بـــ"الحديث الزائف" فما هذا التعبير وغيره –كقول روبسون عن الحديث الموضوع : المفبرك– إلا من نتاج المستشرقين، فهناك مراتب للحديث بيّنها العلماء أدناها الموضوع أو المكذوب، وهذه المراتب واضحة ومعروفة ، والكتب الستة جميعها وغيرها من المُصَنّفات الحديثية صنّفها علماء يميّزون بين ما هو موضوع أو مكذوب وما هو صحيحٌ منسوبٌ إلى النبي ﷺ، وما كان صحيحاً من الحديث فهو بَيِّن الفصاحة، وتختلف درجة فصاحته عن فصاحة غيره مهما بلغ منها مبلغاً ، ومعنى كلمة زائف لغةً: الزَّيفُ من وصْفِ الدَّراهم يقال زافَتْ عليه دَراهِمُه أَي صارت مَرْدُودةً لغِشٍّ فيها وقد زُيِّفَتْ إذا رُدَّتْ . وقال ابن سيده: زافَ الدِّرهمُ يَزِيفُ زُيُوفاً وزُيُوفةً رَدُءَ فهو زائِفٌ[٣]. فهي كلمة عامّة لا تدلّ على رتبة بعينها من مراتب الحديث المردود، مما يعني أنه لا يمكن استخدام هذه الكلمة للتعبير عن الحديث المردود.

__ثانياً:__ إن نقد العلماء للحديث شمل حتى أكثر الكتب موثوقيّة وأصحّها، وهما صحيحا البخاري ومسلم، حيث إنتقد بعض العلماء عدّة أحاديث فيهما، وردّ عليهم آخرون ، فالنقد شمل الكتب الستة ولم يُستَثْنَ الصحيحان من النقد؛ حيث إنتقد الحفاظ صحيحَ البخاري في 110 أحاديث وافقه مسلم في 32 حديثاً منها وانفرد هو بـــ 87 حديثاً قال عنها الإمام ابن حجر: "وليست عللها كلها قادحة بل الجواب عن أكثرها ظاهر والقدح فيه مندفع وبعضها الجواب عنه محتمل واليسير منه في الجواب عنه تعسف"[٤].

---

(١) Robson, James, Standards Applied by Muslim Traditionists, p. 479.

(٢) Robson, James, The Material of Tradition 1, p.166.

(٣) ابن منظور الإفريقي، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج9، ص142؛ الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، ج1، ص5901.

(٤) العسقلاني، أحمد بن علي، هدي الساري مقدمة فتح الباري، ص547.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولما أتمَّ تأليفَه وتمحيصَه عَرَضَه على الإمام أحمد وابن معين وابن المديني وغيرهم من أئمة الحديث فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة والسلامة ولم ينتقدوه إلا في أربعة أحاديث، وقال الفِرَبري: "القول فيها قول البخاري"(١).

وغالب هذا النقد لا يمس جوهر الصحيح بل هو ناشئٌ من شدّة حذر وتحرّي العلماء ويقظتهم.

ثالثاً: إن الضّرر الناتج من وضع الحديث قد تنبّه إليه العلماء النّقاد منذ بدايته ولم يتركوا الأمر على حاله، فقد قاموا بغربلة الحديث وتمييز صحيحه من سقيمه (٢)، وبينوا أسباب الوضع وأشاروا إلى الوضّاعين، وإلا ما هي الأسس التي اعتمدوها فحكموا على الكثير من الأحاديث بالوضع؟ كما ينبغي الإشارة إلى أنّ "الملاحظ النزيه" –حسب تعبير روبسون– لا يمكن أن يرفض أو يشك بأحاديث دون معرفة كيفية وصولها إلينا والوقوف على جهود العلماء الجبارة في تطبيق القواعد في نقد الحديث.

رابعاً: إن قائل هذا القول –روبسون– يُبيِّن أنّ هذا الأمر سهل بالنسبة إلى الشخص الذي يبحث عن أخطاء ولا يبحث عن الصّواب، مما يدلّ على أنه إحدى مقاصده هو، فهو يبحث بقصد إظهار النقص لا بقصد إظهار الكمال، ومَن كان هذا هو مقصده لجأ إلى تحريف الكلام والمعلومات ليؤكِّد صحّة ادّعاءاته، حتى وإن كان هذا الأمر فيه تعسُّف أو بعدٌ عن حقيقة النص وواقعه.

رابعاً: "**من المهمّ التأكيد على طريقة تعامُل هؤلاء الرجال مع مادتهم، حيث إن هذا بوجهٍ عامّ لم يتم إنجازه من قِبَل الكتّاب الغربيين. ومن السّهل جداً التقاط أحاديث مزيّفة بشكلٍ واضح**"(٣).

خامساً: "**في حين أنّ الدارسين الغربيين قد كانوا واعين بشكلٍ جيّد لوجود أحاديث زائفة ضمن كتب الحديث المُعتَرَف بها، إلا أنه لم يتمّ تسليط ضوءٍ على الطريقة التي تشكّل بها، حتى جاء جولدتسيهر ونشر الجزء الثاني من كتابه Muhammadanische Studien**"(٤).

هذا ولم يُصرِّح روبسون بالمناهج الغربية التي ينبغي لنا اتّباعها لنقد الحديث ، كما أنّ قدوتنا في الكتابة ليس الكُتّاب والباحثين الغربيين، فهم قد أخذوا مناهج البحث والنقد من

---

(١) المرجع السابق، ص9.

(٢) انظر: ص 78–82 من هذا البحث.

(٣) Robson, James, The Material of Tradition 1, p.166.

(٤) Robson, James, Muslim Tradition: The Question of Authenticity, p.94.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المسلمين الذين كان لهم السّبق في ذلك، واستفادوا منها وطبّقوها على مُختَلَف علومهم، فلم تظهر تلك المناهج عندهم إلا في عصورٍ متأخّرة، ففي الوقت الذي برز المسلمون فيه في مناهج البحث والنقد لم يكن يسود أوروبا سوى الجهل والظلام ، ولما ظهرت مناهج النقد لديهم أصبح النّقاد الغربيون يُطبّقون قواعدهم النقدية على جميع النصوص بصرف النظر عن نوعها؛ سواءً كانت تلك النصوص أدبية أو فلسفية أو إحدى نصوص الكتاب المقدس (نص ديني).

وينبغي الإشارة إلى كيفيّة نشوء النقد لديهم الذي ابتدؤوه على الكتاب المقدّس، وفيما يلي عرض موجز لبيان التدرّج في نشأة مناهج النقد لديهم.

مرّ الكتاب المقدّس بمرحلتين أساسيتين في تاريخه، وهما:

المرحلة الأولى: مرحلة تفسير الكتاب المقدس:

تميّزت تلك المرحلة بالتسليم بصحّة الكتاب المقدّس، وحتى القرون الخمسة الأولى كان النصارى يعتبرون العهد الجديد بمثابة تفسير للعهد القديم(١).

وفي نهاية القرن الثاني –تقريباً– ظهرت أول مدرسة حقيقية في تفسير الكتاب المقدس في الإسكندرية التي كانت أكبر مركز فكري في الشرق آنذاك، ورائد هذه المدرسة إكليمنضس الإسكندري الذي يُعدّ أول مسيحي يُحاول وضع نظرية رمزية للكتاب المقدس حيث يُشير إلى أن "المعنى الحرفي المباشر موجّه إلى البسطاء أما العارفون فعليهم العثور على الروح وراء الحرف"(٢).

وكردّة فعل، قامت مدرسة أنطاكية نتيجة الإفراط بالرمزية، بالتمسُّك بمبدأ ديودورُس الطرسوسي، حيث شدّدت على المعنى الحرفي لحدّ إنكار أي معنى روحي(٣).

واقتصر المفسّرون بعدها في التفسير على أقوال آباء الكنسية، واستمرّ ذلك حتى القرن السادس عشر، وتميّزت تلك المرحلة بالاقتصار على أربعة طرق في التفسير مع التسليم بصحّة الكتاب المقدّس دون نقد، وهي:

أولاً: المعنى الحرفي أو التاريخي؛ أي معنى الأحداث كما جرت.

ثانياً: المعنى الرمزي أو الروحي.

ثالثاً: المعنى الإنساني أو الخُلُقي الذي يُعلّم الفرد قواعد سلوكه.

---

(١) بوزيه، لويس؛ سنّو، أهيف؛ فاروقي، نائلة؛ مينيه، رولان، طريقة التحليل البلاغي والتفسير: تحليلات نصوص من الكتاب المقدّس ومن الحديث النبوي الشريف، ص14.

(٢) المرجع السابق، ص16.

(٣) المرجع السابق، ص16– 17.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعاً: المعنى الروحاني الذي يُبيّن الغاية الأخيرة للفرد[١].

المرحلة الثانية: مرحلة نقد الكتاب المقدس:

بدأت هذه المرحلة عقب الثورة العلمية، "فقد أدّت مراقبة الظواهر ومعرفة القوانين الخاضعة لضرورات الأسباب الطبيعية، إلى التسليم باستقلال العلم استقلالاً تاماً، بعد أن كان حتى ذلك العصر، خادماً للإيمان"[٢].

وفي هذه المرحلة، غدا الكتاب المقدس عيّنة ومادة للبحث العلمي، حيث نُظر إليه في هذه المرحلة برؤية نقدية، وفي سنة 1678م قام الناقد ريتشارد سيمون (Richard بأول دراسة نقدية للعهد القديم، حيث نقض نسبة الأسفار الخمسة الأولى إلى موسى ﷺ، نظراً إلى فوضى النص والاختلاف في الأسلوب الإنشائي[٣].

وتلاه نُقاد كُثُر بحثوا في نفس الدائرة –وهي مسألة نسبة الأسفار الخمسة الأولى إلى موسى ﷺ–، "فاعتبر المفسّرون كل عنصر من عناصر الكتاب المقدس لم تثبت صحته التاريخية عنصراً مغلوطاً يجب التخلي عنه، استناداً إلى تحديد التاريخ كتقرير عن حوادث ثبت حصولها"[٤]، وقد ولّد هذا الاتجاه منهج النقد التاريخي، وتلا ذلك مناهج نقدية أخرى.

ويرى النُّقاد أنّ القرن التاسع عشراً –تحديداً– بدء عصر النهضة بالنسبة لنقد الكتاب المقدس، حيث ساعدت العلوم الإنسانية التي ظهرت في ذلك القرن النُّقادَ في نقدهم، مثل: علم الآثار، وعلم تاريخ الأديان، وغيرها من العلوم، وبرزت علوم نقدية جديدة طُبّقَت على الكتاب المقدس[٥].

يتّضح مما سبق تأخُّر ظهور مناهج النقد لدى الغربيين لحين القرن السابع عشر، وبلغت ذروتها في القرن التاسع عشر، حيث ظهرت مناهج عديدة تبعاً للحاجة آنذاك، ولم يتّفق النُّقاد حول الأُسُس لتلك المناهج، فكانت النّقاشات دائرة فيما بينهم حول تلك المناهج، ويتبيّن من ذلك أنّ هناك فرقاً جوهرياً بين مناهج نقد المحدّثين ومناهج نقد النُّقاد الغربيين، فالسّبْق والاتفاق على أسس منهج النقد وفاعليّة المنهج، من خصائص منهج النقد لدى

---

(١) المرجع السابق، ص17- 18.

(٢) المرجع السابق، ص18.

(٣) المرجع السابق، ص19.

(٤) المرجع السابق، ص19.

(٥) دياب، عيسى، بحث بعنوان: الكتاب المقدس وقراءاته المتعدّدة في ضوء العلوم البيبلية الحديثة، النص الديني ووظيفته في الحياة الروحية الشخصية والجماعية في المسيحية والإسلام، سلسلة الندوات الإسلامية المسيحية، معهد الدراسات الإسلامية والمسيحية، جامعة القديس يوسف- بيروت، 2005م، ص65- 66.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحدّثين، فلا يمكن أن يتمكّن النُّقاد الغربيون من غربلة الحديث عبر مناهجهم التي لا تمتلك أُسُساً متينة، ودعوى روبسون أن الغربيين أدركوا وجود أحاديث مكذوبة، إنما هو باطل، إذ لم تظهر مناهج النقد لديهم إلى حيّز الوجود إلا في وقت متأخر جداً في حين قد نبّه المحدثون إلى تلك الأحاديث المكذوبة وبيّنوها وصانوا الحديث من أي محاولة وضع أو تحريف قبل الغربيين بقرون.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الرابع: موقف روبسون من روايات صحيح مسلم والسنن الأربعة

تعرّض روبسون للحديث عن روايات صحيح مسلم والسنن الأربعة، وقد تتّبع الأسانيد وصولاً إلى المُصنِّف، وكانت تلك الأسانيد غالباً أسانيد ابن حجر إلى مُصنِّفي تلك الكتب، وتحدّث روبسون في بداية كل بحث منهم عن القيمة العلمية للكتاب وأقوال العلماء فيه وفي المُصنِّف ثمّ شرع في ذكر رواة الكتاب عنه، تلا ذلك سرد معلومات تفصيليّة عن رجال الأسانيد، وختم أبحاثه بملاحظات نقد فيها المعلومات المذكورة سابقاً، وقد برزت قضيّتان أساسيّتان في نقده للروايات تكرّرت في جميع أبحاثه عن الموضوع، وهما:

أولاً: مسألة سماع الصغير.

ثانياً: مسألة الانقطاع.

وقمتُ بعد حصر انتقادات روبسون، بجمع المواضع التي تحدّث فيها عن كل مسألة مع بعضها، والردّ عليها بشكلٍ مُشتَرك لتكرُّرها.

ويُستَحسَنُ قبل البدء، بيان المراحل التي مرّت بها علومُ الحديث التي خدمت السنة النبوية، وهما مرحلتان أساسيّتان:

المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل تدوين السنة وجمعها في المصنفات.

المرحلة الثانية: مرحلة ما بعد تدوين السنة وجمعها في المصنفات(١).

وفي المرحلة الأولى كان الاتجاه مُتمحوراً حول علم الرجال ورواة الحديث، والتفتيش عن أحوالهم، وغربلة مروياتهم لمعرفة مَن تُقبَل روايته ومَن تُرَدّ، وكذلك حصر مرويات الرواة وجمعها في مصنّفات خاصّة، وتميّزت تلك المرحلة بظهور هذه المصنّفات، وبحلول القرن الرابع كان قد ظهرت معظم هذه المصنّفات وأصبح الاعتماد على ما فيها من أحاديث.(٢).

وأما المرحلة الثانية، حيث كانت المصنفات ودواوين السنة التي جمع مصنّفوها معظم الأحاديث النبوية قد انتشرت، وأصبحت عناية المُحدّثين مُتّجهة إلى تلك المصنفات شرحاً وتعليقاً ونسخاً وضبط عمليّة روايتها وطرق نقلها، فبعد أنْ كان الاهتمام في المرحلة الأولى مُتوجِّهاً على التّوثيق في الأسانيد والمتون والجرح والتعديل، صار الاهتمام مُتّجهاً إلى نسخ هذه المُصنّفات ونقلها بدقّة وشرحها، ولم يدّخر المحدّثون جهداً من أجل وضع القواعد

---

(١) سيف، أحمد نور، عناية المحدثين بتوثيق المرويات وأثر ذلك في تحقيق المخطوطات، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط1، 1987م، ص8.

(٢) المرجع السابق، ص8-9.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والضوابط لضمان سلامة النقل ودقّته، ومعرفة الأصول المعتمدة لدى الناقل، لضمان عدم التحريف فيها، فلم يقبلوا النُّسَخ إلا ممّن كان له حقّ في الرواية لها، وظهرت الأسانيد التي تروي تلك المُصنَّفات عن مُصنِّفيها، وأثبتوا حقّ الإجازات والسماعات على تلك المُصنّفات والفروع المُنْتَسَخة منها، ولم يكن هدفهم من ذلك سوى صيانة السنة من أي تحريف أو ضياع(١).

وروبسون موضوع الدراسة قد أفرد خمسة أبحاث ينفرد كل منها بدراسة الأسانيد التي رُويت بها تلك المُصنّفات من ابن حجر العسقلاني إلى المُصنّف –أي في العهد الذي انقطعت فيه الرواية–، وتلك المصنفات هي صحيح مسلم والسنن الأربعة، ويجب قبل البدء بعرض أقوال روبسون أن نُشير إلى أن الاهتمام في مرحلة انقطاع الرواية كان مَعنيّاً بالعناية بتلك المصنفات ونَسْخِها بدقّة وحيث إن ذلك تمّ في عصر مصنفيها –ضمن ضوابط وقواعد اعتُمِدَت لحفظ دواوين السنة– وانتشرت بعدها وكَثُرَت روايتها فإن الأسانيد التي تروي تلك المصنفات لا تحمل تلك القيمة الكبيرة التي يمكن أن تؤثر على مكانة المصنَّفات أو نسبتها إلى مُصنّفيها، وفيما يلي بيان شروط المحدّثين في الرواية من النُّسَخ:

أولاً: أن يكون للراوي حقّ الرواية بإحدى صور التحمل والإجازة.

ثانياً: يجب التنبيه والإشارة من الراوي في حالة الوِجادة.

ثالثاً: يجب أن يثبت اسم الراوي في القراءة أو السماع أو البلاغ ليثبُت حقّ الرواية للراوي.

رابعاً: لا يُشتَرَط أن يملك الراوي الأصل.

خامساً: إذا امتلك الراوي نسخة ليس عليها سماعه، فبإمكانه أن ينقل حقّه في السماع أو القراءة إلى تلك النُّسخة(٢).

المطلب الأول: مسألة سماع الصغير

من الجدير بالذّكر أنّ روبسون أثار شكوكه حول مسألة سماع الصّغير في أبحاثه –رواية صحيح مسلم والسنن الأربعة–، لذا فقد ارتأيتُ أن أذكر مواضع انتقادات روبسون المتعلّقة بهذه المسألة ثم أستوفي توضيح المسألة، مُبتدئةً برواية صحيح مسلم ثم ابن ماجه، يليها أبو داود، يليها الترمذي، أخيراً النسائي، مراعيةً في ترتيبهم الترتيب الزمني لأصحاب الكتب الستة، وفي نهاية المطلب –بعد عرض المعلومات–، سيتم تجلية الموضوع.

---

(١) المرجع السابق، ص9–10.

(٢) المرجع السابق، ص15.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفرع الأول: رواية صحيح مسلم

لقد أثار روبسون انتقاداتٍ على رواية صحيح مسلم، وكانت شكوكه تدور حول مسألة هامّة عند المحدّثين وهي مسألة سماع الصّغير، حيث إن روبسون يرى أنّ كتب الحديث الأكثر موثوقية -كصحيح مسلم- وصلنا عن طريق أطفال وهذا الأمر مثير للشّكوك بعيد الوقوع في رأيه، وإن كان قد وقع فيُحتَمَل أن تكون هناك أخطاء عديدة ارتكبها هؤلاء أثناء الرواية، قال روبسون: "**إنّ سلسلة النووي تطرح بعض الصُّعوبات، فأبو إسح اق توفي بعد منصور الذي منه استلم الصحيح بست وخمسين سنة ولكن ذلك ربما لا يُثير مُشكِلة. إنّ منصور على كلّ حال كان في الثامنة فقط من عمره عند وفاة والد جده وهو الفراوي الذي منه أخذ الصّحيح. لكن النووي يُخبرنا بأنّ منصور روى عن أبيه وجدّه وعن والد جده أيضاً ولذا فإن المرء ربما يظن بصورة مقبولة أنه في سياق جهد النووي لجعل تلك السلسلة قصيرة. بقدر الإمكان حذف حلقة وصل. وهو يُخبرنا فيما بعد أنه في السنة التي توفي فيها الفارسي حصل الفراوي على الصحيح منه، وهو ما يعني أنه حصل عليه وهو في حوالي السابعة من العمر. والفارسي حصل على الصحيح من الجلودي في 355هـ في الحادية عشرة من العمر وهو ما قد يكون غير محتمل**"(١).

يرى روبسون أن هناك خطأً في سلسة السند، متّهماً الإمام النووي بحذف راوٍ لجعل سلسلة السند عالية.

قال الإمام النووي في بيان إسناده لكتاب الإمام مسلم: "فأخبرنا بجميع صحيح الإمام مسلم بن الحجاج رحمه الله الشيخ الأمين العدل الرّضي أبو إسحاق إبراهيم بن أبي حفص عمر بن مضر الواسطي رحمه الله بجامع دمشق حماها الله وصانها وسائر بلاد الإسلام وأهله، قال: أخبرنا الإمام ذو الكنى أبو القاسم أبو بكر أبو الفتح منصور بن عبد المنعم الفراوي، قال: أخبرنا الإمام فقيه الحرمين أبو جدي أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي، قال: أخبرنا أبو الحسين عبد الغافر الفارسي قال: أنا أبو أحمد محمد بن عيسى الجلودي، قال: أنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه: أنا الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج رحمه الله"(٢).

---

(١) Robson, James, The Transmission of Muslim's Sahih, p.59- 60.

(٢) النووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج1، 116–117.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منصور بن عبد المنعم بن عبدالله بن محمد بن الفضل بن أحمد الفراوي، وُلِدَ في رمضان سنة 522هـ، ووفاته في شعبان سنة 608هـ، سمع أباه وجدّه وأكثر عن جدّ أبيه(١).

أبوه هو عبد المنعم بن عبد الله بن محمد بن الفضل بن أحمد الصاعدي الفراوي من أهل نيسابور من بيت مشهور بالعدالة والرواية والعلم والفضل، حدَّثَ هو وأبوه وجده وجد أبيه، وكلهم ثقات أعيان، وُلِدَ في شهر ربيع الاول من سنة 497هـ وتوفي في شعبان سنة 587هـ، وكان عمر ابنه منصور 65 عاماً(٢).

وجدّه هو عبد الله بن محمد بن الفضل بن أحمد الفراوي (٣)، ووالد جده هو محمد بن الفضل بن أحمد الفراوي وُلِدَ في نيسابور سنة 441هـ وتوفي فيها سنة 530هـ(٤)، فكان عمر منصور حينما توفي والد جده ثماني سنوات، وقد ثبت سماعه له ولم يحذف النووي أي حلقة وصل بينهم، وإنما حصل له علو في الإسناد.

والفارسي هو أبو الحسين عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر، توفي سنة 448هـ، وقد ثبت سماع الفراوي له، وكان في التاسعة من عمره حين توفي الفارسي.

كما أنّ روبسون أغفل سعي المحدّثين قديماً لرواية الأسانيد العالية؛ قال الإمام أحمد بن حنبل: "طلب الإسناد العالي سنّة عمّن سلف" (٥)، وقال محمد بن أسلم الطوسي: "قرب الإسناد قربٌ إلى الله" (٦)، وقد أُثر عن الصحابة ﵃ والتابعين الرحلة في طلب الأسانيد

---

(١) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة- بيروت، ج21، ص494، ترجمة رقم (255)؛ البغدادي، محب الدين بن النّجّار، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، انتقاه: الحافظ شهاب الدين أحمد بن أيبك الدمياطي المتوفى سنة 749هـ، تحقيق مولود خلف، أشرف عليه وراجعه: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1، 1986م، ج1، 175، ترجمة رقم (178).

(٢) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء ، ج21، ص179، ترجمة رقم (90)؛ البغدادي، محب الدين بن النجار، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ، ج1، ص87، ترجمة رقم (76)، وأيضاً: ج1، ص131، ترجمة رقم (130).

(٣) لم أجد له ترجمة. إلا أنَّه يُكنى بأبي البركات كما في: المزي، أبو الحجاج يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج26، ص575.

(٤) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ج 19، ص615، ترجمة رقم (362)؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط1، 2000م، ج4، ص229.

(٥) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، تدريب الراوي، ص434.

(٦) المرجع السابق، ص434.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العالية، وهذا ما لم يُشر إليه روبسون[1]. كما أنّ للكتاب نُسَخٌ عديدة منها: نسخة أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان عن مسلم، ونسخة أبي محمد أحمد بن علي القلانسي عن مسلم، ورواه عن ابن سفيان جماعة منهم الجلودي وله أصل، وعن الجلودي جماعة منهم الفارسي، وعنهم جماعة منهم الفراوي، فتمسُّك روبسون بعرض شكوك في إسناد رواية واحدة من عدّة روايات تمسُّك غير علمي مع وجود العديد من الروايات للكتاب.

قال روبسون: "**يَنسِب ابن خير إلى أبي محمد بن عتاب رواية نسخة الكسائي عن أبي محمد مكي على الرغم من أنه لم يكن إلا في الرابعة من العمر عند وفاة مكي ورواية نسخة السّجزي عن الشّنتجالي وابن عتاب في الثالثة من العمر. على الرغم من أنه يقول في نفس الملاحظة أن ابن عتاب وُلِد في 433هـ وفي موضعٍ آخر من نفس الكتاب أنّ الشّنتجالي توفي في 436هـ**"[2].

يستبعد روبسون إمكانيّة رواية ابن عتاب لنسخة الكسائي عن مكي لصغر سنّه.

إن السند بتمامه عند ابن خير هو: قال ابن خير: حدّثني الشيخ أبو محمد بن عتّاب رحمه الله إجازةً فيما كتب به إليّ، قال: حدثنا الشيخ الصّالح أبو محمد عبد الله بن سعيد الشّنتجالي وأبو القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي إجازة، قالا: حدثنا أبو سعيد عمر بن محمد السجزي بإسناده المُتَقَدِّم؛ قال أبو محمد بن عتاب: وأخبرني بها أيضاً الشيخ أبو محمد مكي بن أبي طالب المُقرئ إجازة عن أبي العباس أحمد بن محمد بن زكريا الفسوي، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن يحيى الكسائي، عن إبراهيم بن محمد بن سفيان، عن مسلم[3].

أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب القرطبي ، وُلِدَ سنة 433هـ، وتوفي سنة 520هـ، عن سبع وثمانين سنة.

أبو الحسن مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي ابن حموش القيرواني النحوي المقرئ الأديب، وُلِد سنة 355هـ، وتوفي سنة 437هـ[4]، فكان عمر ابن عتاب أربع سنوات عند وفاة مكي.

الشنتجالي هو أبو محمد عبد الله بن سعيد الشنتجالي، توفي سنة 436هـ، وكان عمر ابن عتاب ثلاث سنوات.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص434- 435.

(٢) Robson, James, The Transmission of Muslim's Sahih, p.60.

(٣) ابن خير، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي الإشبيلي، فهرست ابن خير، وضع حواشيه: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1998م، ص86.

(٤) انظر: القنوجي، صديق بن حسن، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية- بيروت، 1978م، ج2، ص80.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أشرتُ إلى أن رواية النُّسخ ولو بمثل هذا السّن، شائعٌ في ذلك الزمن ولا خلل في رواياتهم؛ إذ أن هذه المرحلة هي مرحلة الرواية من الكتب وانتشارها أيضاً [١]، فطالما الرواية من الكتاب فلا تُعدُّ رواية الصّغار أمراً مُخِلاً أو مُشَكِّكاً في الكتاب.

الفرع الثاني: رواية سنن ابن ماجه

قال روبسون:

"**.. كما أنّ أبا زرعة لم يكن إلا في السنة الثالثة فقط عند وفاة المُقَوِّمي. ويُقال بأنّ هذا الطفل ذي النّضوج المُبَكِّر أوّل ما أخذ السّنن هو عن المُقَوِّمي. كيف يمكن لطفل في الثالثة من عمره أو أقل أن يفعل هذا؟... إنه لأمرٌ يصعب تصديقه**"[٢].

يُشكّك روبسون في إمكانيّة سماع أبي زرعة سنن ابن ماجه من المقوّمي لصغر سنّه.

والسّند هو من ابن حجر حيث قرأ السنن على أبي العباس أحمد بن عمر بن علي البغدادي اللؤلؤي الذي أخذ السنن عن أبي الحجاج يوسف بن عبدالرحمن المزّي الذي سمع السنن من عبد الرحمن بن قدامة المقدسي عن أبي زرعة قال: أخبرنا به أبو طلحة قال: حدّثنا به ابن ماجه.

إنّ سماع أبي زرعة[٣] بهذا السّن هو سماع حضور، أي: يُطلَق عليه سماع بمجرّد حضوره مجلس القراءة، وقد سمّاه سماعاً حضوراً الذهبي في **السير**[٤] ج29، ص504، فلا

---

(١) انظر: ص130 من هذا البحث.

(٢) Robson, James, The Transmission of Ibn Maga's Sunan, p.139.

(٣) هو الشيخ العالِم أبو زرعة طاهر بن الحافظ محمد بن طاهر بن علي، الشيباني المقدسي، ثم الرازي، ثمّ الهَمَذاني. وُلِدَ بالرّي سنة 180 أو 481هـ، حدّث وتفرّد بالكتب والأجزاء، سمع "سنن النسائي المُجتَبى" عن عبد الرحمن بن حَمْد الدُّوني، وسمع ببغداد أيضاً من أبي الحسن العلاف. حدّث عنه: أبو محمد ابن قدامة، والموفق عبد اللطيف البغدادي، وعبد العزيز بن أحمد بن باقا، وغيرهم. سمع من المُقَوِّمي كتاب "فضائل القرآن" أبي عُبَيْدَ، ومسند الشافعي، والمُجتبى للنسائي، وسنن ابن ماجه. توفي في ربيع الآخر سنة 566هـ بهَمَذان.

انظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط11، 1996م، ج20، ص503-504، ترجمة رقم (320).

(٤) قال عمر بن علي القرشي: "بدأتُ بقراءة "سنن" ابن ماجه على أبي زرعة، قدم علينا حاجاً، وقال لنا: الكتاب سماعي من أبي منصور المقومي، وكان سماعي في نسخة عندي بخط أبي، وفيها سماع إسماعيل الكرماني، فطلبها مني، فدفعتها إليه من أكثر من ثلاثين سنة".

ثم قال القرشي: "وتحققنا أن له إجازة المقومي، فقرئ الكتاب عليه إجازة إن لم يكن سماعاً".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يصعب تصديقه، وكانت هذه عادة معروفة عند أهل العلم في العصور المتأخّرة. ويمكن تكرار الإشارة إلى أن هذه المرحلة مرحلة الرواية من الكتب المنتشرة، وكذلك للكتاب روايات عديدة منها: رواية أبي الحسن علي بن إبراهيم بن سلامة القطان، وأبي عمرو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الحاكم، وأبو الطيب أحمد بن رَوْح البغدادي، ومحمد بن عيسى الأبهاري، وسليمان بن يزيد القزويني، وأحمد بن إبراهيم القزويني، وأبي الطّيّب، وغيرهم.

الفرع الثالث: رواية سنن أبي داود

قال روبسون:

"في الأسانيد المعطاة آنفاً هناك بعض المسائل التي تستحق الذكر. يقول أبو محمد ابن عتاب بأنه استلم إجازة تتعلّق بنسخة ابن الأعرابي عن مكي بن أبي طالب على الرغم من أنه كان في الرابعة من العمر عند وفاة مكي كما أنه استخدم عبارة «أخبرني به»"[(١)].

يُفهم مما سبق أن روبسون يُشكّك في حصول أبي محمد بن عتاب (433–520 هـ) على إجازة من مكّي بن أبي طالب (355–437 هـ) وهو في الرابعة من العمر.

وسند رواية ابن خير لنسخة ابن الأعرابي هي: قال ابن خير: حدّثني بها أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر القيسي قال: حدثنا أبو علي حسين بن محمد بن أحمد الغساني رحمه الله، قال: حدثنا أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر أيضاً، قال: قرأته أيضاً على أبي زيد عبد الرحمن بن يحيى المعروف بابن العطار سنة 391هـ، قال: حدثنا أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم سنة 349هـ، قال: حدثنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي قراءةً عليه في المسجد الحرام في شهر رمضان سنة 313هـ، قال: حدثنا أبو داود[(٢)].

وللكتاب روايات عديدة منها: رواية ابن داسة واللؤلؤي والرملي وابن الأعرابي والجلودي، وغيرهم.

إنّ هذه المسألة تكرّرت لدى روبسون في أبحاثه عن روايات السنن الأربعة، ويمكن توضيح هذه المسألة بما يلي:

قال الذهبي: قد سمع من المقومي كتاب "فضائل القرآن" لأبي عبيد في شعبان سنة أربع وثمانين، فيكون سماعه لذلك حضوراً في الرابعة، وسمعنا من طريقه "مسند" الشافعي، و"المجتبى"، و"سنن ابن ماجه"، وأجزاء.

انظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ج20، ص504.

(١) Robson, James, The Transmission of Abu Dawud's Sunan, p.587.

(٢) ابن خير، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي الإشبيلي، فهرست ابن خير، ص86.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد درس علماء الحديث مسألة تحمُّل الحديث وأدائه باستفاضة بالغة، وقيّدوا شروطاً لتحمُّل الحديث وهي: العقل، والتّمييز، والضبّط (السلامة من الموانع). كما جعلوا لأداء الحديث شروطاً أجملوها في خمسة هي: العقل، والبلوغ، والإسلام، والتقوى، والمروءة، والضبّط (السلامة من الموانع).

ومن التفريعات التي أدرجها العلماء في تحمل الحديث مسألة تحمل الصغير للحديث وأدائه أو سماع الصغير.

ويصح أن يتحمل الصغار الشهادة والأخبار -وأيضاً الكفار- ولكن عند الأداء فإنه يجب أن يتوافر فيهم الكمال بالبلوغ والإسلام (ابن الصلاح).

واختلف العلماء في قبولهم سماع الصّغير على عدّة أقوال:

أولاً: القبول: قبول رواية مَن تحمّل قبل البلوغ من غير فرقٍ بين ما تحمّلوه قبل البلوغ وبعده، ودليلهم:

أ -الإجماع على قبول رواية أحداث الصّحابة ﷺ كالحسن والحسين وعبد الله بن الزبير وابن عباس والنعمان بن بشير والسائب بن يزيد والمسوّر بن مخرمة وغيرهم.

ب -وكذلك كان أهل العلم يُحضرون الصّبيان مجالس الحديث ويعتدّون برواياتهم بعد البلوغ[١].

ثانياً: المنع: مَنَعَ قومٌ فأخطأوا [٢]، ووجه المنع أنّ الصّبي مظنّة لعدم الضّبط، وهو وجه للشّافعيّة[3].

ثالثاً: قبول سماع الصغير وتقييده:

- بشرط تقييد العمر واختلفوا فيه:

أ - خمس سنين، لقصّة محمود بن الربيع، وعليه الجمهور وأهل الصّنعة، وقال ابن الصلاح: "وعلى هذا استقرّ العمل بين أهل الحديث، فيكتبون لابن خمس فصاعداً "سمع"، وإن لم يبلغ خمساً (حضر) أو (أُحضِرَ)"[١].

---

(١) ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، مقدّمة ابن الصلاح، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 1، 2003م، ص177؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، تدريب الراوي، حققه: نظر الفاريابي، مؤسسة الريان، بيروت- لبنان، ط 1، 2005م، ص304، السخّاوي، أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن، فتح المُغيث، تحقيق: علي حسن علي، مكتبة السنّة- القاهرة، ط1، 2003م، ج2، ص140.

(٢) ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، مقدمة ابن الصلاح، ص 177؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ، تدريب الراوي، ص 304، السخّاوي، أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن، فتح المُغيث، ج2، ص138.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب -أربع سنين، لقصّة محمود بن الربيع[٢].
ت -التّفريق بين العربي والعجمي؛ اعتبار تمييز العربي أربع سنوات لحديث محمود بن الربيع، والعجمي إذا بلغ ستّ سنوات[٣] أو سبع سنوات[٤].
ث -التقييد بسبع سنوات مطلقاً[٥].

- اعتبار التمييز:

أ -فهم الخطاب وردّ الجواب؛ قال ابن الصلاح: "والذي ينبغي في ذلك أن يُعتَبَر في كلّ صغير حاله على الخصوص، فإن وجدناه مُرتَفِعاً عن حال مَن لا يعقل فَهماً للخطاب ورداً للجواب ونحو ذلك، صحّحنا سماعه وإن كان ابن خمس، بل ابن خمسين" [٦]، وقال أيضاً: "وأما حديث محمود بن الربيع فيدلّ على صحّة ذلك من ابن خمس مثل محمود، ولا يدلّ على انتفاء الصّحّة فيمَن لم يكن ابن خمس ولا على الصّحّة فيمَن كان ابن خمس وبم يُميّز تمييز محمود ﷺ"[٧]، وقال السيوطي: "لا يلزم من عقل محمود المجّة في هذا السّن أن تمييز غيره مثل تمييزه، بل قد ينقص وقد يزيد، ولا يلزم منه أن لا يعقل مثل ذلك وسنُّه أقلّ من ذلك، ولا يلزم من عقل المجّة عقل غيرها مما يسمعه" [٨]. وقال الإمام السخاوي: "اجتمعت أربعة أقوال في الوقت الذي يُسَمّى فيه الصّغير سامعاً وبالجملة فليس فيه – أي في تعيين وقته– سنة بعينها مُتّبعة دائماً؛ إذ لا يلزم من تمييز محمود أنّ تمييز كلّ أحد كذلك، بل قد ينقص وقد يزيد، وكذا لا يلزم منه أن لا يعقل مثل ذلك، وسنّه أقلّ من ذلك، كما أنه لا يلزم من عقل المجّة أن يعقل غيرها ممّا سمعه بل الصّواب المُعتَبَر في صحّة سماع الصّغير قولٌ خامس، وهو فهمه الخطاب حال كونه مُمَيِّزاً ما يقصد به ذلك ممّا يقصد به غيره وردّه الجواب المُطابِق سواءً كان ابن خمس أو أقلّ، ومتى لم يكن يعقل فَهم الخطاب وردّ الجواب لم يصحّ، أي: لم يكن سامعاً، حتى قال ابن الصلاح: "وإن كان ابن خمس سنين"، وبما قيّدناه

---

(١) ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، مقدمة ابن الصلاح، ص 179؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ، تدريب الراوي، ص 305؛ السخّاوي، أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن، فتح المُغيث، ج2، ص145.
(٢) ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، مقدمة ابن الصلاح، ص 179.
(٣) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، تدريب الراوي، ص306.
(٤) السخّاوي، أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن، فتح المُغيث، ج2، ص147.
(٥) المرجع السابق، ج2، ص147.
(٦) ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، مقدمة ابن الصلاح، ص 179.
(٧) المرجع السابق، ص 180.
(٨) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، تدريب الراوي، ص305-306.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قد يشير إليه أيضاً قول الأصوليين ممّا حكى فيه القُشَيْري الإجماع بعدم قبول مَن لم يكن حين التّحمّل مميّزاً، مع أنه قيل في المُمَيِّز غير ذلك"(١).

ب العقل والضّبط دون سنّ مخصوص، قاله الإمام أحمد(٢).

ت التّفريق بين البقرة والحمار، وعدّه السيوطي مثل قول الإمام أحمد؛ أي أنّ المراد منه العقل والضّبط(٣).

ث أن يُحسِنَ العدّ من واحد إلى عشرين، حكاه ابن المُلَقِّن(٤).

ج وقد بوَّب الإمام البخاري في صحيحه في كتاب العلم باباً بعنوان (بَاب مَتَى يَصِحُّ سَمَاعُ الصَّغِيرِ) وأورد فيه:

- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: (أَقْبَلْتُ رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ أَتَانٍ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ قَدْ نَاهَزْتُ الِاحْتِلَامَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِمِنًى إِلَى غَيْرِ جِدَارٍ فَمَرَرْتُ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضِ الصَّفِّ وَأَرْسَلْتُ الْأَتَانَ تَرْتَعُ فَدَخَلْتُ فِي الصَّفِّ فَلَمْ يُنْكَرْ ذَلِكَ عَلَيَّ).
- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُسْهِرٍ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنِي الزُّبَيْدِيُّ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَ: عَقَلْتُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِي وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دَلْوٍ.

والإمام البخاري في تبويبه كأنه أراد بإيراد هذا الحديث عن ابن عباس تحديد سن التحمل فابن عباس يقول في حديثه: إنه قد ناهز الاحتلام، وكان ابن عباس عندما مات النبي ﷺ عمره ثلاث عشرة سنة؛ لأنه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين فيكون ثلاث سنين قبل الهجرة وعشر سنين بعد الهجرة فيكون عمره عند موت النبي ﷺ ثلاث عشرة سنة، ومع ذلك فإنه حفظ عنه وروى عنه أحاديث مباشرة يعني نقلها عنه.

وقد روى الحسن بن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ وكان عمره عند وفاته ﷺ سبع سنين ومما رواه حديث: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)(٥) وحديث القنوت (اللهم اهدني فيمن هديت)(١)

---

(١) السخّاوي، أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن، فتح المُغيث، ج2، ص147-148.

(٢) ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، مقدمة ابن الصلاح، ص 178؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، تدريب الراوي، ص306.

(٣) ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، مقدمة ابن الصلاح، ص 178؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، تدريب الراوي، ص306.

(٤) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، تدريب الراوي، ص306.

(٥) أخرجه: الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرّقائق والورع عن رسول الله ﷺ، بابٌ، ص567، رقم (2518)، النسائي، أحمد بن شعيب، تحقيق: صالح بن عبد العزيز بن محمد بن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومع ذلك قُبِلَت روايته؛ لأنه حدَّث ﷺ بذلك بعدما عقل وبعدما أدرك وبلغ وكُلِّف فقبلت روايته، فما تحمله الصغير وأداه قبل بلوغ سن التكليف لا يوثق به، ولكن إذا حمله وهو صغير وأداه بعدما عقل وبلغ وكلف قُبِل منه، ومثله الشهادة إذا أدرك شيئا وهو صغير قبل التكليف ثم أدى الشهادة بعدما كلف قبلت شهادته وبطريق الأولى أن تقبل روايته.

خامساً: التفريق بين السماع وبين الكتابة والضبّط، ويُستَحسَن التّبكير بالسّماع وأما الكتابة والضبّط فحين يتأهّل له ويستعدّ وذلك يختلف باختلاف الأشخاص ولا ينحصر في سنّ مخصوص كما قال البعض، ومن تلك الأقوال:

أ -عشر سنين، وعليه أهل البصرة[٢].

ب عشرين سنة، وعليه أهل الكوفة.

ت ثلاثين سنة، وعليه أهل الشام[٣].

يتّضح مما سبق أن الراجح في تلك الأقوال هو عدم التقييد بعمر، لكن بشرط توفّر التّمييز، ويمكن معرفة ذلك من خلال اختبار الصّغير كما فعل بعض المحدّثين قديماً، وهذا هو قول ابن كثير حيث يرى اختبار تمييز الطفل، وهذا هو الأولى، أو الذي يرجحه الأكثرون، فكل طفل يختلف عن غيره، أو كل حاضر للسماع للرواية يختلف عن غيره، فرب شخص ميز وهو صغير، ورب شخص آخر ميز بعده بسنة، أو سنتين، فالعبرة بتمييز السامع نفسه ومدى إدراكه وفهمه والناس يتفاوتون، فبعضهم يبلغ عشرين سنة، وهو لا يفقه شيئاً، وإنما هو أحمق! وبعضهم يدرك ويفهم منذ سنته الثالثة، أو الرابعة.

وشواهد الواقع التي نعايشها تدل على صحة تحمل الصغير كثيرة فمن الأطفال من حفظ قدراً كبيراً من القرآن الكريم وهو لما يتجاوز الثلاث سنين أو حفظ القرآن الكريم كاملاً ولما يصل خمس سنين، و العلماء المختصون في أبحاث العقل والدماغ يؤكدون قدرة الحفظ لدى الأطفال لصفاء ذهنهم وتقبلهم وعلماء التربية يعتمدون في أساليبهم التعليمية للأطفال على التلقين والحفظ لأنهم أكثر قابلية له.

إبراهيم آل الشيخ، دار السلام- الرياض، ط 1، 1999م، كتاب الأشربة، باب الحثّ على ترك الشّبهات، ص772-773، رقم (5714). وصححه الألباني.

(١) أخرجه: الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، كتاب الوتر، باب ما جاء في القنوت في الوتر، ص123- 124، رقم (464). وقال: حسن. وصحَّحه الألباني.

(٢) السخّاوي، أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن، فتح المُغيث، ج2، ص143.

(٣) ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، مقدمة ابن الصلاح، ص 178؛ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، تدريب الراوي، ص305؛ السخّاوي، أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن، فتح المُغيث، ج2، ص143.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن علم الإسناد والدراية والرواية من العلوم التي تميزت بها الأمة الإسلامية وعمل علماؤها على ضبط قواعدها لتكون من شواهد الحفظ لسنة النبي ﷺ.

ولذا فإن رواية الأطفال عن الإمام أبي داود سننه، لا ضير فيه طالما دُوِّنت الكُتُب وانتشرت وصار الاعتماد عليها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: مسألة الانقطاع

الفرع الأول: الانقطاع في رواية سنن ابن ماجه

بيّن روبسون في بحثه –رواية سنن ابن ماجه– أنّ هناك انقطاعاً في عدّة حلقات من الأسانيد التي تروي سنن ابن ماجه، وقد جاء نقد روبسون على النحو التالي:

أولاً: زعم روبسون وجود انقطاع بين القطان وابن ماجه:

حيث أثبتَ روبسون في بحثه وجود فارق زمني بين وفاة القطان ووفاة ابن ماجه يُقَدَّر باثنين وسبعين سنة؛ قال روبسون: "**عندما يتفحّص المرء السلسلة يجد أنّ من المستحيل تجنُّب الشُّكوك. فالقطّان الذي يبدو بأنّ تاريخ ولادته مُدَوَّن توفي بعد وفاة ابن ماجه باثنتين وسبعين سنة. وعليه لا بدّ من أحد أمرين، إما أن يكون قد توفي طاعناً في السّن أو أنه أخذ السُّنن عن ابن ماجه في وقت مبكر جداً**"(١).

وفيما سبق نجد أنّ روبسون يشكّك في سماع ابن القطان من ابن ماجه، حيث إن ابن القطان توفي بعد 72 سنة من وفاة ابن ماجه، وبناءً على أنه سمع السنن فإما أن يكون سمعها وهو صغير أو أنه كان طاعناً في السن عند وفاته.

ويمكن بيان الصّواب من خلال معرفتنا بترجمة الإمام القطّان(٢) فقد وُلِدَ سنة 254هـ وتوفي سنة 345هـ، بينما وُلِد ابن ماجه سنة 209هـ وتوفي سنة 273هـ، ومن خلال تواريخ الولادة والوفاة نجد أنّ القطان كان عمره 19 عاماً عندما توفي ابن ماجه.

ويذكر روبسون في موضعٍ آخر من بحثه، أن القطان يستخدم كلمة "أخبرنا" عند الرواية عن ابن ماجه وهذا لا يصحّ في نظر روبسون لشكّه في روايته عنه، حيث قال:

"**... مرّةً أخرى تثور الشُّكوك عند استخدام القطان كلمة أخبرنا فيما يتعلق بطريقة تلقّيه سنن ابن ماجه**"(٣).

في قول روبسون تأكيد على شكّه في سماع القطان من ابن ماجه، وعليه فإنه يشكّ في صحّة استخدام كلمة "أخبرنا" من ابن القطان عند روايته عن ابن ماجه، ويمكن الرّد بما سبق

---

(١) Robson, James, The Transmission of Ibn Maga's Sunan, p.139.

(٢) هو الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سَلَمَة بن بحر، القزويني القطّان عالِمُ قزوين، قال الذّهبي: سمع من أبي عبد الله بن ماجه سننه. وتبحّر في العلوم فكان عالِماً بالتّفسير والفقه والنّحو واللغة. وُلِدَ سنة 254هـ ، وتوفي سنة 345هـ.

انظر: الذّهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم الزّيبق، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط 11، 1996م، ج15، ص463–465، ترجمة رقم (261)؛ تذكرة الحفاظ، ج3، ص856– 857.

(٣) Robson, James, The Transmission of Ibn Maga's Sunan, p.139.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من ثبوت اللقيا واستحضار أقوال العلماء في إثباتهم لسماع القطان من ابن ماجه، إضافة إلى بيان أنّ كلمة "أخبرنا" لا تقتصر على اللقيا، بل إنه معروفٌ عند المحدّثين أن هذا اللفظ يُستَخدم عند الجمهور للإجازة، أي: عند الرواية بالإجازة، وبعضهم يُسَوّي بين اللفظين: أخبرنا وحدثنا، وأحياناً في الكتب المتأخرة ينشأ الخلط بينهما بقاءً على اختصارهما فالأصل في اختصار "أخبرنا" عند الكتابة: انا، أو: ابنا، و"حدثنا": ثنا، أو: نا.

ثانياً: زعم روبسون وجود انقطاع بين أبي العباس والرّقّي:

ادّعى روبسون وجود انقطاعٍ آخر في سلسلة سند رواية سنن ابن ماجه، ما بين أبي العباس والرّقّي، وذلك لوجود فارق زمني بين ولادة أبي العباس ووفاة الرّقي؛ حيث قال روبسون: "**من الصّعب فهم كيف حصل أبو العباس (وُلِدَ عام 725هـ) على السنن من الرَّقّي (توفي عام 707هـ)**" (١).

أشار روبسون إلى وجود انقطاع؛ حيث وُلِدَ أبو العباس سنة 725هـ، وتوفي الرَّقّي سنة 707هـ، وهذه التواريخ تشير إلى الفارق الزّمني الكبير بين ولادة أبي العباس التي كانت بعد وفاة الرَّقّي بـ18 سنة، وهذا انقطاع واضح بين الراويين.

يمكن القول إلى أنّ تاريخ ولادة أبي العباس صحيحة، حيث ثبت في المصادر أنه وُلِد سنة 725هـ كما اشار إلى ذلك روبسون- إلا أنه توصّل إلى هذه النتيجة -وجود انقطاع- لأنه أخطأ في ترجمة الرَّقّي؛ فالرَّقّي الذي أخذ أبو العباس عنه السُّنن هو محمد بن أحمد بن علي الرَّقّي -كما في المجمع المؤسس(٢)-، كما ترجم له ابن حجر أيضاً في الدُّرر الكامنة(٣) وقال: توفي سنة 742هـ، وليس هو محمد بن علي بن سليمان الرَّقّي المترجم له أيضاً في

---

(١) المرجع السابق، ص133، حاشية رقم (6).

(٢) العسقلاني، أحمد بن علي ، المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، تحقيق: محمد شكّور امرير الميادينى، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1، 1996م، ص123.

(٣) هو محمد بن أحمد بن علي بن عبد الغني الرّقّي المُقرئ الحنفي، وُلِدَ سنة بضعٍ وستين، اهتمّ بالتحديث والتدريس والفتيا، قال الذّهبي: عُنِيَ بالسماع ودار على الرواة وتميّز في الفقه والقراءات وروى الكثير، وقال: وكان عالِماً فاضلاً متواضعاً تصدّر للإقراء ووَلِيَ مشيخة الإقراء بدار الحديث الأشرفية. توفي في صفر سنة 742هـ.

انظر: العسقلاني، أحمد بن علي، الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ضبطه وصحّحه: الشيخ عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 1، 1997م، ج 3، ص 207، ترجمة رقم (3537).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدرر[١] كما توهّم روبسون، يتبيّن إذاً أن أبالعباس اللؤلؤي توفي عندما كان سنُّ الرَّقي 17 سنة.

ثالثاً: زعم روبسون وجود انقطاع بإسقاط طبقة كاملة من الرواة بين ابن قدامة ومَن روى عنه السنن:

ادّعى روبسون وجود انقطاع في السند نتيجة وجود سقط فيه؛ حيث قال: "**الأخطر من كل ذلك هو الخبر القائل بأنّ الذّهبي وابن نباتة والتنوخي والرَّقّي، حيث يستخدمون كلمة "أخبرنا"، زعموا بأنهم قد تلقّوا السنن من موفق الدين بن قدامة وهو قولٌ مكرّر في H.4[٢] من حيث ما يتعلق بالذهبي. فالذهبي مولود بعد ثلاث وخمسين سنة وابن نباته بعد سبع وسبعين سنة من وفاة ابن قدامة. ولم أستطع حتى اللحظة اكتشاف تاريخ ولادة الاثنين الآخرين، سوى أن التنوخي توفي بعد مائة وأربع وثلاثين سنة والرَّقّي بعد سبع وثمانين سنة من وفاة ابن قدامة. وجليٌّ بأن حلقة وصل بينيّة في السلسلة قد تم حذفها. ونفس المشكلة تنطبق على زعم اللؤلؤي بأنه قد تلقى السنن عن الرقي الذي توفي قبل ولادة اللؤلؤي بثماني عشرة سنة**"[٣].

يتبيّن أن روبسون أثبتَ بعد تحليله لسلسة السند، وجود انقطاع كبير عزاه إلى إسقاط طبقة كاملة من الرواة بين ابن قدامة والرواة عنه، وهم كما قال روبسون الذهبي وابن نباته والتنوخي والرَّقي والعطار والخباز، وعبر استحضاره تواريخ الولادة والوفاة نجد أنّهم وُلِدوا بعد وفاة ابن قدامة بكثير؛ فالذّهبي وُلِدَ بعد 53 سنة من وفاة ابن قدامة وابن نباتة بعد 77 سنة وهكذا باقي الرواة.

يمكن توضيح الصواب عبر تحليل عبارة ابن حجر في المجمع المؤسس جيداً – حيث توهّمَ روبسون وجود انقطاع لعدم فهمه ما قال ابن حجر بدقّة– فالذين سمعوا من ابن قدامة هم الأربعة كما يقول، وهم: التاج بن علوان وشمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر وابن جوسلين وإسماعيل الفراء، وعليه فلم يتم حذف أي وصلة بينية كما توهّم روبسون، وعليه فإنّ السند هو كما يلي:

---

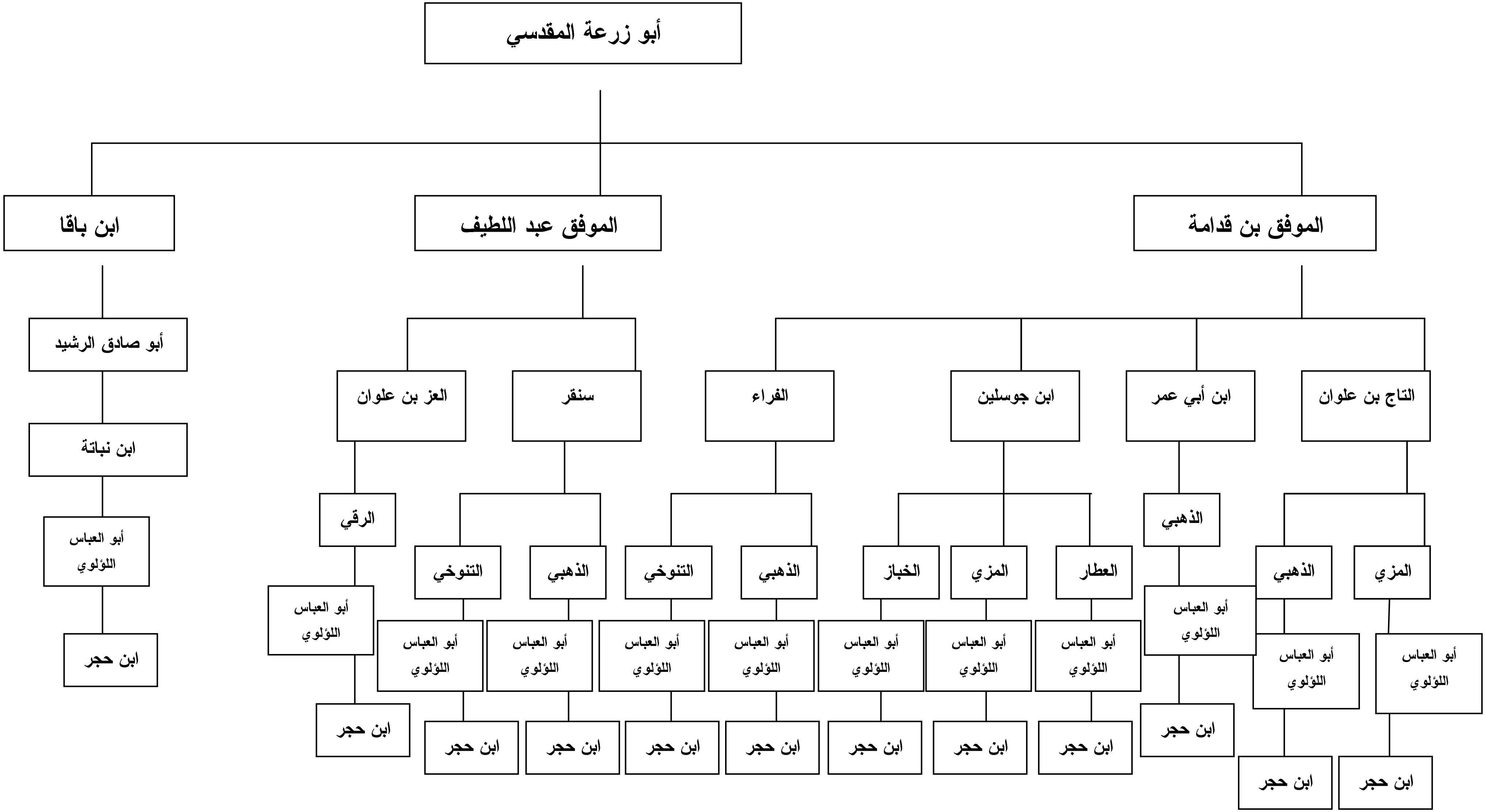
(١) هو محمد بن علي بن سليمان الشيخ المعمّر شمس الدين الرَّقّي ثمّ الحلبي، ذكره الذّهبي في معجمه وأورد عنه حكايات رواها ابن شاهين الشافعي، قال الذّهبي فيه: من أبناء ثمانين جالستُه وتوفي في صفر سنة 707هـ.

انظر: العسقلاني، أحمد بن علي، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج 4، ص 41، ترجمة رقم (4165).

(٢) قد رمزَ روبسون للفلاّني بـــ H.4.

(٣) Robson, James, The Transmission of Ibn Maga's Sunan, p.141.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit



العسقلاني، أحمد بن علي، المعجم المؤسس للمعجم المفهرس، ص123.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستنتج روبسون من جرّاء فهمه الخاطئ ما يلي: **"إنّ الانطباع العام المكوَّن من خلال دراسات كهذه هي أنه إما أن هناك بعض حلقات الوصل الضّعيفة في الرواية أو أن الرجال في الأزمنة اللاحقة قد كانوا مهملين في تسجيلهم وحذفوا بعض الحلقات"**(١).

لقد تبيَّن مما سبق أنه لم يحصل شيء من تلك التوهُّمات، فروبسون أخطأ في ترجمات الرواة، الأمر الذي جعل الرواية بين هؤلاء الرواة تبدو مستحيلة بسبب توهُّم فقدان حلقات وصل بين الرواة وذلك بناءً على تواريخ خاطئة.

الفرع الثاني: الانقطاع في رواية سنن أبي داود

بعد قيام روبسون بدراسة أسانيد رواية سنن أبي داود، لاحظ وجود انقطاعات في الإسناد، قال روبسون: **"توفي الكرخي، وهو الحاصل على نسخة اللؤلؤي من الخطيب، بعد 74 أو 75 سنة من وفاة الخطيب. ولم أتمكن من اكتشاف تاريخ مولده، غير أنه من الواضح أن يكون قد توفي متقدّماً في السن فيما لو كان قادراً على تلقّي رواية صادرة عن الخطيب. ومع ذلك، فإذا افترضنا أنه كان متجاوزاً التسعين عند وفاته فليس هناك سبب يدعو إلى عدم استلامه نسخة من الخطيب. ولكن الإسفراييني توفي بعد 85 سنة من وفاة الخطيب الذي يُقال بأنه روى عنه السنن. والمرء يتسائل فيما إذا تمّ حذف حلقة وصل داخليّة"**(٢).

وُلِدَ الكرخي في حدود سنة 450هـ قاله السمعاني في **الأنساب**(٣) ونقل عنه الذهبي في **السير** إذاً كان عمره لما توفي الخطيب 13 سنة.

إنّ سماع الإسفراييني ثابت عن الخطيب في الكتب لكن أجاز له الخطيب وهو صغير فقد وُلِدَ فضل بن سهل سنة 461هـ في شعبان كما في **المُستَفاد من ذيل تاريخ بغداد** (١)

---

(١) Robson, James, The Transmission of Ibn Maga's Sunan, p.141.

(٢) Robson, James, The Transmission of Abu Dawud's Sunan, p.587- 588.

(٣) هو أبو البدر إبراهيم بن محمد بن منصور الكرخي، كان شيخاً فاضلاً، سمع أبا بكر الخطيب، وغيرهم، قال السمعاني: كانت ولادته تقديراً سنة 450هـ، أو قبلها، ومات في شهر ربيع الأول من سنة 539هـ. انظر: السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور الخراساني المروزي التميمي، الأنساب، تحقيق: محمد أحمد حلاق، مكتبة الرشد- الرياض، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط 1، 1999م، ج4، ص139، وأيضاً: الذّهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط11، 1996م، ج17، ص79، ترجمة رقم (48).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والخطيب توفي في آخر سنة 463هـ كما في **السير**(٢) فيكون عمر فضل عندما توفي الخطيب سنتين ونصفاً تقريباً.

الفرع الثالث: الانقطاع في رواية سنن الترمذي

كما سبق، استنتج روبسون عند دراسته لرواية سنن الترمذي وجود انقطاعٍ في السند، قال روبسون:

"... فالمرء مهما يكن يستغرب أن يجد بأنّ محبوبي، الراوي المفضّل عن الترمذي، والوحيد الذي نسخته مستعملة في الوقت الحاضر، لا بدّ أن يكون قد توفي عام 346. في حين أن الترمذي توفي عام 279 أو حتى قبل هذا التاريخ وِفقاً لبعض الروايات. لم اكتشاف متى وُلِدَ محبوبي، غير أنه توفي بعد 67 سنة على الأقل من وفاة الترمذي، مما يوحي بأنه كان بالتأكيد يافعاً بشكلٍ واضحٍ آنذاك. ومع أنه لا شيء مستحيل في صلب الموضوع المتعلِّق بسماعه للجامع إلا أن الغريب أن يكون النص المتبقّي حتى الآن آتياً عن شخص أصغر بكثير من المؤلِّف. ويبرز سؤال من نفس الشاكلة حول رواية ابن سكينة (توفي عام 607) عن الكروخي (توفي عام 548) إلا أن ذلك لا يُشَكّل عقبة كأداء. يجب الملاحظة أنه في نسخة قطان أربع مراحل فقط بين ابن عتاب والترمذي في حين أنه في المواضع الأخرى هناك خمس مراحل. وابن عتاب وُلد عام 431 والسّفاقسي الذي عنه أخذ هذه النسخة توفي بعد عام 440. فليس هناك معلومة دقيقة حول تاريخ وفاة السفاقسي، غير أن المرء يمكن أن يحدس بأن ابن عتاب لم يكن في عمرٍ يتجاوز العاشرة آنذاك"(٣).

يُشير روبسون إلى احتمال وجود انقطاع في سند رواية الحبوبي عن الترمذي، وذلك من خلال النظر في تواريخ الولادة والوفاة للرواة.

---

(١) هو الفَضْل بن سهل بن بشر بن أحمد بن سعيد الإسفراييني، أبو المعالي بن أبي الفرج الواعظ. كان يُعرَف بالأثير الحلبي. سمع من والده ومن أبي القاسم علي بن محمد المِصِّيصي، ونصر المقدسي، وأجازه الخطيب. وُلِد بديار مصر في شعبان سنة 461هـ، وتوفي في شهر رجب سنة 548هـ ببغداد. انظر: ابن النجار البغدادي، محب الدّين، المُستَفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص375-377.

(٢) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ج18، ص286.

(٣) Robson, James, The Transmission of Tirmidhi's Jami', p.266- 267.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رحل محبوبي إلى الترمذي لسماع كتابه سنة 265هـ وعمره 16 سنة كما في **السير**(١) وعلى هذا فهو من المُعَمّرين حيث بلغت سنّه 96 سنة تقريباً.

أما ابن سكينة فقد وُلِدَ سنة 519هـ كما في **السير**(٢) فيكون عمره لما توفي الكروخي 29 سنة فهو كبير جداً.

أما رواية ابن عتاب عن السفاقسي فقد روى عنه بالإجازة كما في ترجمة ابن عتاب من كتاب **الصلة**(٣).

الفرع الرابع: الانقطاع في رواية سنن النسائي

تتبَّع روبسون سند رواية سنن النسائي، وقام بدراسة الأسانيد، فكان من نتائج دراسته وجود انقطاع في حلقة من حلقات السند، قال روبسون: **"هناك موضعان فيهما الرواية مستحيلة تماماً. فابن خير يقول بأن أبا الحسن يونس (447–532) روى السنن عن**

---

(١) هو الإمام المحدِّث أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب بن فُضَيْل، المحبوبي، المروزي، راوي جامع أبي عيسى عنه. رُحِل إليه لسماع "الجامع". سماعه مضبوط بخطّ خاله أبي بكرٍ الأحول، وكانت رحلته إلى ترمذ لِلُقيّ أبي عيسى في سنة 265هـ، وهو ابن ستَّ عشرة سنة. قال الحاكم: سماعه صحيح. توفي في رمضان سنة 346هـ.

انظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط11، 1996م، ج15، ص537، ترجمة الراوي رقم (315).

(٢) هو الشيخ الإمام المحدّث الفقيه شيخ الإسلام أبو أحمد عبد الوهاب ابن الشيخ الأمين أبي منصور علي بن عُبَيْد الله بن سُكَيْنة البغدادي. وُلِدَ في شعبان سن 519هـ، عُنِيَ بالحديث والقراءات، توفي في شهر ربيع الآخر سنة 607هـ.

انظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف ومحيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط11، 1996م، ج21، ص502–505، ترجمة الراوي رقم (262).

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن: من أهل قرطبة، يكنى: أبا محمد، هو آخر الشيوخ الجلة الأكابر بالأندلس في علو الإسناد وسعة الرواية. روى عن أبيه وأكثر عنه، وسمع منه معظم ما عنده. وهو كان الممسك لكتب أبيه للقارئين عليه، فكثرت لذلك روايته عنه وسمع: من أبي القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي كثيراً من روايته وأجاز له سائرها، وأجاز له جماعة من الشيوخ المتقدمين منهم: أبو محمد مكي ابن أبي طالب المقرىء، وأبو عبد الله محمد بن عابد وأبو محمد عبد الله بن سعيد الشنتجيالي، وأبو عمرو السفاقسي، وأبو حفص الزهراوي وأبو عمر بن عبد البر، وأبو عمر بن الحذاء والقاضي أبو عبد الله بن شماخ النافقي، وأبو عمر بن مغيث، وأبو زكرياء القليعي وغيرهم.

انظر: ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدّثيهم وفقهائهم وأُدبائهم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري– القاهرة، دار الكتاب اللبناني– بيروت، ط1، 1898م، ج4، ص512.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أربعة رجال أحدهم أبو عبد الله زياد (347–430)[١]. والإحتمالات الوحيدة التي يمكن وضعها هي إما أن ابن بشكوال قد غلط في التواريخ التي يعطيها أو أنّ هناك خطأً مُعيَّناً تسرّب إلى نصّ ابن خير. والمسألة الثانية أكثر خطراً بكثير حيث إنها مكرّرة كثيراً. فنصّ ابن السُّنّي تجيء روايته عن طريق دوني (توفي 501) عن كسّار الذي توفّي عام 385 وفقاً لما يقوله السبكي أو في عام 380 وفقاً لما يقوله ابن عماد، فلا بد بناءً على ذلك من أن يكون قد عاش طويلاً ليكون ذلك ممكناً. ومع ذلك فابن حجر و H. 1-5[٢] يذكرون هذه الرواية بلا أي تردّد. وتفسير ذلك هو أن ابن حجر أو ناسخ ما قد حذف من غير قصد حلقة وصل وأنّ الآخرين قد تبعوا ذلك بلا تمعُّن إلا أن ذلك عيبٌ خطير وبخاصة عندما يأخذ المرء بعين الإعتبار حرص ابن حجر على أن يقول أي الأجزاء التي جرت روايتها. ومن الشائع بالنسبة للرواة أن يرغبوا في الإسناد «العالي» الذي يتضمّن حلقات وصل قليلة بقدر الإمكان في السلسلة، غير أنّ ميّزة رواية نصّ ابن السّنّي هذه هي أنها كلها «عالية» للغاية"[٣].

بيّن روبسون –مما سبق– وجود انقطاعٍ في سلسلة رواية سنن النسائي في موضِعَيْن؛ الأول أبو الحسن يونس (447–532) عن أبـي عبد الله زياد (347–430)، حيث إن أبا الحسن يونس وُلِد بعد وفاة أبي عبد الله ب17 سنة، فالانقطاع واضح، وعزا روبسون الخطأ إما من ابن بشكوال في إعطائه التواريخ أو من تسرُّب خطأ ما إلى نصّ ابن خير الإشبيلي.

الموضع الثاني، هو رواية دوني عن كسّار، حيث إن دوني توفي سنة 501هـ وكسّار 380 أو 385هـ، فالفارق الزّمني بينهما كبير بحيث عزا إمكانيّة سماع دوني من كسّار إلى أنّ الأول منهما قد عاش طويلاً حتى تمكّن من سماعه، أو أنّ ناسخاً ما من نُسّاخ ابن حجر قد حذف حلقة وصل بينهما.

والسند هو:

يمكن توضيح ذلك بما يلي:

أولاً: الموضع الأول وهو رواية أبي الحسن يونس بن محمد بن مغيث (446–532هـ) عن أبي عبد الله زياد بن عبد الله الأنصاري الذي ذكر روبسون أنه ولد (سنة

---

(١) السند هو: ابن خير عن أبي الحسن يونس عن زياد بن عبد الله ومُغيث وعبد الله بن سرّاج ومحمد بن فرج، عن أبي الوليد يونس عن ابن الأحمر عن النسائي.

(٢) هذه رموز وضعها روبسون لأسماء كتب، وهي: كوراني= H.1، نخلي=H.2، مكي=H.3، فلاّني=H.4، شوكاني=H.5.

(٣) Robson, James, The Transmission of Nasa'i's Sunan, p58- 59.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

347 هـ) وتوفي (سنة 430 هـ) حسب ما ذكر ابن بشكوال في كتاب **الصلة**، مما يعني أنّ أبا الحسن قد وُلِد بعد وفاة أبي عبد الله بست عشرة سنة، فتكون بذلك الرواية مستحيلة إما لغلط في التأريخ من ابن بشكوال أو إلى خطأ ما حصل لنص ابن خير.

إلا أن روبسون وَهِمَ وأبدل تاريخ وفاة الراوي المقصود بتاريخ وفاة راوٍ آخر له نفس الإسم والكنية، أما باقي المعلومات عن الراوي المطلوب أبقاها كما هي، فالراوي الذي ذكر روبسون تاريخ وفاته هو أبو عبد الله زياد بن عبد الله الداخل (١)، وأبو عبد الله زياد (٢) – الراوي المطلوب– وُلِدَ سنة 392هـ وتوفي (سنة 478 هـ)، أي أنّ أبا الحسن يونس كان عمره عند وفاة شيخه أبي عبد الله 32 عاماً ولا يوجد انقطاع في الرواية ولا خطأ من ابن بشكوال، وهذه الوفاة لترجمة غير شيخ أبي يونس فشيخ أبي يونس يأتي في **الصلة** بعد ترجمةٍ من هذا ووفاته كما ذكرتُ (سنة 478هـ).

ثانياً: الموضع الثاني وهو رواية دوني (ت 501 هـ) عن أبي نصر أحمد بن الحسين الكسّار المتوفى (سنة 380 أو 385 هـ) كما ذكر ذلك ابن العماد في **شذرات الذهب**(٣)، فيكون دوني قد وُلِدَ بعد وفاة الكسّار بـ 121 أو116 عاماً.

وهنا أيضاً وَهِمَ روبسون، ليس الكسّار هو الراوي المراد، بل المراد راوٍ آخر هو أبو نصر أحمد بن الحسين الضبّي، له ترجمة في **سير أعلام النبلاء**(٤) ووفاته في حدود (سنة

---

(١) هو زياد بن عبد الله بن محمد بن زياد بن أحمد بن زياد بن عبد الرحمن بن زياد، الداخل بالأندلس، من أهل قرطبة وأصلُه من الشام، يكنّى: أبا عبد الله. وُلِد في جمادى الآخرة سنة 347هـ، وتوفي في صفر سنة 430هـ وسنّه خمس وثمانون سنة.

انظر: ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، الصلة في تاريخ أئمّة الأندلس وعلمائهم ومحدّثيهم وفقهائهم وأدبائهم، ، ج1، ص298، ترجمة رقم (433).

(٢) هو زياد بن عبد الله بن محمد بن زياد الأنصاري الخطيب بالمسجد الجامع بقُرطُبة، يُكنّى: أبا عبد الله. من علماء المشرق، وكان رجلاً فاضلاً، وُلِد سنة 392هـ، وتوفي سنة 478هـ، قاله أبو طالب المرواني.

انظر: المرجع السابق، ج1، ص299، ترجمة رقم (4351).

(٣) ابن العماد العكري، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب، حققه وعلّق عليه: محمود الأرناؤوط، أشرف على تحقيقه وخرّج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق–بيروت، ط1، 1989م، ج4، ص421.

(٤) هو أبو نصر، أحمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن بوّان الدّينوري. سمع "سنن" النسائي المختصر من الحافظ أبي بكر بن السُّنّي، وسماعه له في سنة 363هـ، وحدّث به في جمادى الأولى سنة 433.

من الذين حدّثوا عنه: عبد الرحمن بن حَمْد الدوني.

كان أبو نصر الكسّار صدوقاً، صحيح السماع، ذا علم وجلالة، مات بعد تحديثه بالكتاب بيسير.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

433هـ) والمذكور هنا عند روبسون ليس له أي علاقة بالكسّار بل هو شخص آخر ، وهو أبو نصر أحمد بن الحسين بن مروان الضبّي المرواني النيسابوري، روى عن السرّاج وابن خزيمة[1].

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انظر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ج17، ص514، ترجمة الراوي رقم (337).

(١) ابن العماد العكري، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب، ، ج4، ص421.

الفصل الثالث: موقف روبسون من متون أحاديث الكتب السّتة

اهتمّ روبسون اهتماماً كبيراً في دراسة متون الأحاديث عامة وخصص هذا الاهتمام بدراسة متون الكتب الستة، ولم يخلُ هذا الاهتمام من إثارة الشكوك حول هذه المتون وأصولها. وقد قامت دراسة روبسون على أساسَيْن رئيسيْن، هي:

1 -نقد المتون المتعلّقة بالنبي ﷺ.

2 -دعوى تأثُّر الكتب الستة بالتوراة والإنجيل.

المبحث الأول: موقف روبسون من النبي ﷺ

تعرّض المستشرقون في دراساتهم، للحديث عن النبي ﷺ من شتى النواحي وفي جميع مراحل حياته، والملاحِظ يرى أن كتاباتهم جاءت ما بين منصِف أو متحامِل، وقد تحدّث روبسون عن النبي ﷺ في أبحاثه في جوانب معيّنة، وتعرّض إلى:

- زهد النبي ﷺ.
- معجزات النبي ﷺ.
- صفات النبي ﷺ ومحبة الناس له.

المطلب الأول: موقف روبسون من أحاديث زهد النبي ﷺ

اتّصف النبي ﷺ بالزهد، وورد ذلك عنه في أحوالٍ عديدة، وقد تناول روبسون هذه الأحاديث التي تُبيّن زهد النبي ﷺ بالنّقد، قال:

1 -عدم اكتفاء عائلته بوجبات كافية لثلاثة أيام(١).

2 -عدم توفُّر خبز القمح مقترناً بالإدام لثلاثة أيام(٢).

---

(١) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه شرح فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب الأطعمة، باب قول الله تعالى: ﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا ﴾ [البقرة: 172]، ج9، ص641، رقم (5374)، بلفظ: "عن أبي هريرة ﷺ قال: ما شَبِعَ آل محمد ﷺ من طعام ثلاثة أيام حتى قُبِضَ".

(٢) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه شرح فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب الأطعمة، باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون، ج9، ص679، رقم (5416) بلفظ: "ما شبع آل محمد ﷺ منذ قَدِمَ المدينة من طعام البرّ ثلاث ليالٍ تِباعاً حتى قُبِض"، رقم (5414) بلفظ: "عن أبي هريرة ﷺ أنه مرّ بقومٍ بين أيديهم شاةٌ مَصليّة، فَدَعوه، فأبى أن يأكل قال: خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من الخبز الشّعير"؛ كتاب الأطعمة، باب ما كان السلف يدّخرون في بيوتهم وأسفارهم من الطعام واللحم وغيره، ج 9، ص683، رقم (5423)، كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخلّيهم عن الدّنيا،ج 11، ص341، رقم (6454)، كتاب الأيمان والنذور، بَاب إِذَا حَلَفَ أَنْ لا يَأْتَدِمَ فَأَكَلَ تَمْرًا بِخُبْزٍ وَمَا يَكُونُ مِنْ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

3 - أنه لم يرَ خبزاً أبيض في حياته وأن أكله كان من الشّعير غير المُنَخَّل[١].

4 - ضعف صوت النبي ﷺ بسبب الجوع[٢].

5 - عدم إيقاد النار في بيوت النبي ﷺ لمدة شهرين[٣].

الْأُدْمِ، ج11، ص694، رقم (6687)، مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم ومعه المنهاج للنووي، كتاب الزهد والرقائق، باب الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، ج 18، ص306، رقم (7369) (7370) (7371) (7372) (7373).

(١) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب الأطعمة، باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون، ج 9، ص679-680، رقم (5413)، بلفظ: "عن أبي حازم قال: سألتُ سهل بن سعد فقلتُ: هل أكل رسول الله ﷺ النّقيّ؟ فقال سهل: ما رأى رسول الله ﷺ النّقيَّ من حين ابتعثه الله حتى قَبَضَه الله. قال: فقلتُ: هل كانت لكم في عهد رسول الله ﷺ مناخل؟ قال: ما رأى رسول الله ﷺ مُنخُلاً من حين ابتَعَثَه الله حتى قَبَضَه الله. قال: قلتُ: كيف كنتم تأكلون الشّعير غيرَ منخول؟ قال: كنّا نطحنه وننفخه، فيطير ما طار، وما بقي ثَرَّيناه فأكلناه".

(٢) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه شرح فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج6، ص716، رقم (3578)، بلفظ: "عن إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: قال أبو طلحة لأُمِّ سُلَيْمٍ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ضَعِيفًا أَعْرِفُ فِيهِ الْجُوعَ فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟، قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا لَهَا، فَلَفَّتْ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ يَدِي ولاثتني بِبَعْضِهِ ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: آرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: بِطَعَامٍ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ: قُومُوا. فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ أَبُو طلحة: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ. فَقَالَتْ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا عِنْدَكِ؟، فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَفُتَّ وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً فَأَدَمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ. فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا ثُمَّ قَالَ: ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ. فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ. فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ. فَأَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلاً"، كتاب الأطعمة، باب مَن أكل حتى شبع، ج9، ص652، رقم (5381)، كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حَلَفَ أن لا يَأْتَدِمَ فَأَكَلَ تَمْراً بِخُبْزٍ وما يكون منه الْأُدْمِ، ج 11، ص694، رقم (6687)، مسلم، ابن الحجّاج النيسابوري، صحيح مسلم ومعه المنهاج للنووي، كتاب الأشربة، باب جواز اسْتِتْبَاعِهِ غيره إلى دار مَن يثق برضاه بذلك وبتحَقّقه تحقُّقاً تامًّا واستحباب الاجتماع على الطعام، ج13، ص216، رقم (5284).

(٣) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، بابٌ، ج 5، ص243، رقم (2567)، بلفظ: "عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الهلال ثُمَّ الهلال ثلاثة أَهِلَّةٍ في شَهْرَيْنِ وما أُوقِدَتْ في أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ. فَقُلْتُ: يَا خَالَةُ، مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الأسودان؛ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إلا أنّه قد كان لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

6 -عيش النبي ﷺ على التمر والماء[١] غالب الأيام.

7 -عند وفاته لم يكن يتوفرّ طعامٌ في بيته[٢].

8 -لم يترك النبي ﷺ بعد وفاته سوى سلاحه وشملته وبغلة بيضاء وقطعة أرض بمثابة صدقة[٣][٤].

جِيرَانٌ من الأنصار كانت لهم مَنَائِحُ وكانوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ من أَلْبَانِهِمْ فَيَسْقِينَا"، كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبيّ ﷺ وأصحابه وتَخلّيهم من الدّنيا، ج 11، ص341، رقم (6458)، نفس الباب، رقم (6459).

(١) سبق تخريج الحديث ص152، الحاشية رقم (3).

(٢) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب الوصايا، باب الوصايا وقول النبي ﷺ: "وصيّة الرّجل مكتوبة عنده"، ج 5، ص437، رقم (2739)، كتاب الجهاد والسير، باب بغلة النبيّ ﷺ البيضاء قاله أنس وقال أبو حُمَيْدٍ أَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ للنبيّ ﷺ بغْلة بيضاء، ج6، ص92، رقم (2873)، كتاب الجهاد والسير، باب مَن لم يَرَ كَسْرَ السّلاح عند الموت، ج6، ص119، رقم (2912)، كتاب فرض الخمس، باب نفقة نساء النبيّ ﷺ بعد وفاته، ج 6، ص251، رقم (3098)، كتاب المغازي، باب مَرَض النبيّ ﷺ ووفاته وقَول الله ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الزُّمر: 31]، ج8، ص186، رقم (4461).

(٣) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب الوصايا، باب الوصايا وقول النبي ﷺ: "وصيّة الرّجل مكتوبة عنده"، ج 5، ص437، رقم (2739)، بلفظ: "عَنْ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ خَتَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخِي جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ قَالَ: مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِرْهَمًا ولا دِينَارًا ولا عَبْدًا ولا أَمَةً ولا شَيْئًا إلا بَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ وَسِلَاحَهُ وَأَرْضًا جَعَلَهَا صَدَقَةً"، كتاب الجهاد والسير، باب بغلة النبيّ ﷺ البيضاء قاله أنس وقال أبو حُمَيْدٍ أَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ للنبيّ ﷺ بغْلة بيضاء، ج6، ص92، رقم (2873)، كتاب الجهاد والسير، باب مَن لم يَرَ كَسْرَ السّلاح عند الموت، ج6، ص119، رقم (2912)، كتاب فرض الخمس، باب نفقة نساء النبيّ ﷺ بعد وفاته، ج 6، ص251، رقم (3098)، كتاب المغازي، باب مَرَض النبيّ ﷺ ووفاته وقَول الله تعالى ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الزُّمر: 31]، ج8، ص186، رقم (4461).

(٤) "هناك عددٌ من الأحاديث يوحي بأنّ النبيّ قد عاش في فقرٍ شديد. يُقال بأنه حتى وفاته لم تحظ عائلته أبداً بوجبات كافية لثلاثة أيام. ويوجد حديث له إسناد مُختَلِف يُفيد بأنه لم يتوفّر لها خبز القمح مُقتَرِناً بالإدام لثلاثة أيام. كما أنه يُقال بأنه لم يسبق أن رأى خبزاً أبيض منذ بدئه الدعوة حتى وفاته وإنما أكلَ خبزاً مصنوعاً من شعيرٍ غير مُنَخَّل، وبأنّ أبا طلحة قد أخبر أم سلمة بأنه قد لاحظ ضعفاً في صوت النبي وفَهِمَ أنّ ذلك مردّه الجوع. ويُروى عن عائشة قولها كيف أنه مرّ شهران لم توقَد فيهما نارٌ في بيوت النبي. لقد عاش هو ورجاله على التمر والماء غير أنّ بعض الجيران أعطوه حليباً من نعاجهم. ويُروى عن عائشة أيضاً قولها بأنه عندما توفّي النبي لم يكن من طعامٍ في البيت وعن عمرو بن الحارث قوله بأنّ كل ما تركه النبي كان سلاحه وشملته البيضاء وقطعة أرض بسيطة بمثابة صدقة. ولا شكّ في أنّ الأحوال في المدينة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويدّعي روبسون أنه ليس بالإمكان أن يُصدّق أن النبي ﷺ عاش حتى آخر حياته فقيراً.

ثانياً: يُبيّن روبسون رأيه في أنّ هذه الأحاديث موضوعة، وأنّ واضعيها أناس فقراء نفروا من الرفاهية فاختلقوا هذه الأحاديث لمواجهة هذه الرفاهية(١).

ثالثاً: يدّعي روبسون أنّ هذه الروايات الواردة عنه ﷺ لا توحي بالزهد، وإنما تهدف إلى تصويره ﷺ أنه كان فقيراً، وليس لأنه اختار ذلك(٢).

يمكن توضيح ما سبق من خلال ما يلي:

الزهد لغةً:

الزاء والهاء والدال أصلٌ يدلّ على قلّة الشيء، والزّهيد الشيئ القليل، و الزُّهد والزَّهادة في الدنيا ولا يقال الزُّهد إِلاَّ في الدين خاصة والزُّهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا والزهادة في الأَشياء كلها ضد الرغبة(٣).

كانت مختلِفة جداً عن تلك الأراضي التي افتُتِحَت لاحقاً من قِبَل المسلمين غير أنه من الصّعب التّصديق بأنّ النبيّ عاش حتى آخر حياته في مثل هذا الفقر المدقع".

المصدر: Robson, James, The Material of Tradition 1, p.173.

(١) "ففي الأيام الأولى في المدينة كانت الحياة شاقّة بالنّسبة للمهاجرين ولكن مع توالي السنين لا بدّ أن تكون الظروف قد أصبحت أسهل. والمرء يشعر بأنّ أحاديث كهذه وبدلاً من أن تصوّر الأحوال بصورتها التي كانت عليه جاءت لتصوّر أشخاصاً نفروا لاحقاً من الرّفاهية التي كانت سائدة وحاولوا مواجهتها بأحاديث تُظهِر كيف أنّ النبي عاش في فقرٍ مدقع".

المصدر: Robson, James, The Material of Tradition 1, p.173.

وقال أيضاً في موضعٍ آخر: "ففي الحقيقة كان الزهد باعتباره ممارسة دينية غريبة عن طبيعته مع أنّ ممارسة الزهد تمّت في أوساط الصّوفيّة، ولهذا يبدو بأنه من الأفضل البحث عن مصدر مثل هذه الأحاديث حيث تم تداولها بين نفرٍ من الناس كانوا يستنكرون الرفاهية أكثر مما كانت متداولة بين الناس المدافعين عن الزهد".

المصدر: Robson, James, The Material of Tradition 1, p.173-174.

(٢) "ليس هناك ما يوحي بالزّهد في تلك الأحاديث، فقد كان الغرض كله بشكلٍ واضح هو تصوير النبي بأنه كان يعيش حياةً شاقةً يحتاج فيها إلى الضّروريات وليس لأنه اختار ذلك".

المصدر: Robson, James, The Material of Tradition 1, p.173.

(٣) ابن زكريا، أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ص 441؛ الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، ج2، ص1568.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اصطلاحاً:

"سفر القلب من وطن الدنيا، وأخذه في منازل الآخرة"(١).

الفقر لغةً:

الفقر ضدّ الغنى، والفقير هو المحتاج (٢)، والفقر: الحاجة(٣)، وقال ابن الأعرابي: الفقير الذي لا شيء له(٤).

اصطلاحاً:

"فقد ما يحتاج إليه، أما فقد ما لا حاجة إليه فلا يُسمّى فقراً"(٥).

يظهر مما سبق أنّ الزهد مغايرٌ للفقر، وأنه يكون باختيار الإنسان، كما أنّ الفقر يعني افتقاد الحاجات الأساسية للإنسان –وتتعلّق تلك الحاجات بشكلٍ رئيس بالمسكن والمأكل والمشرب–.

والنبي ﷺ كان زاهداً باختياره، فقد كانت تتوفر لديه حاجاته الأساسية لكن كان يختار أقلّ القليل زهداً منه، وقد كان بمقدوره أن يكون ثرياً إلا أنه اختار عيش الكفاف، فقد ورد عنه ﷺ أنه كان يدعو: "**اللهم ارزق آل محمد قوتاً**"(٦).

وقال: "**ما أنا وللدنيا إنما مَثَلي ومَثَل الدنيا كمثل راكب قال في ظلّ شجرة في يوم صيف فراح وتركها**"(٧).

---

(١) ابن قيّم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، حقّقه وخرّج أحاديثه وآثاره: إياد بن عبد اللطيف بن إبراهيم القيسي، مكتبة الرشد، الرياض– المملكة العربية السعودية، ط1، 2005م، ، ج2، ص17.

(٢) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني تاج العروس، ج1، ص3352.

(٣) ابن عباد، إسماعيل، المحيط في اللغة، ج5، ص400.

(٤) ابن منظور الإفريقي، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج1، ص3352.

(٥) الجرجاني، علي بن محمد بن علي، كتاب التعريفات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط1، 1997م، ص119.

(٦) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتَخَلّيهم عن الدّنيا، ج11، ص341، رقم (6460)، مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم ومعه المنهاج للنووي، كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة، ج 7، ص146، رقم (2424) بلفظ: "اللهم اجعل رزق آل محمدٍ قوتاً"، كتاب الزهد، باب الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر، ج18، ص305، رقم (7366)، (7367).

(٧) أخرجه: الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، كتاب الزُّهد، بابٌ، ص 535، رقم (2377). وقال: هذا حديث حسن صحيح. وصحَّحه الألباني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أراد ﷺ من ذلك تعليم الناس الزهد والصبر وعدم الالتفات إلى الدنيا، وأنها لا تُساوي عند الله شيئاً وأن الدنيا إنما هي دار عمل.

إنّ هذه الأحاديث الصّحيحة تُظهر حقيقة ما كان عليه الرسول ﷺ وأما سوء فهم الأحوال والظروف التي كانوا عليها هو ما يؤدي إلى انحراف التّصوّر وإبراز الخطأ على أنه صواب.

ولم يكن الزهد غريباً عن طبيعة النبي ﷺ وإنما كان زهده من قبيل التوازن بين حاجات الدنيا والآخرة، وقد كان أصحابه ﷺ يرون فيه ذلك من خلال وصفهم لعبادته؛ فمثلاً كان دائم الصيام حتى يُقال أنه لا يفطر، ويفطر حتى يظن أنه لا يصوم.

ويبدو من كلام روبسون أنه يريد التشكيك في زهد النبي ﷺ؛ ليشكك بعد ذلك في نبوته، وهو لا يملك دليلاً على ذلك إلا تكذيب الأحاديث الواردة في زهده ﷺ.

إن الأحاديث التي أوردها صحيحة وثابتة، وكان غرض النبي ﷺ ترويض النفوس المؤمنة، وتكريسها على القناعة والرضا؛ لكي لا تُشغلها النعم التي سينالها المؤمنون من الفتوحات في قابل الأيام، التي بشّرهم بها، عن مهمّتهم الأساسيّة في نشر الدعوة إلى الله تعالى في الأرض.

ودليل ذلك أنه ﷺ وجّههم في ذات الوقت إلى العمل والكسب، ونهاهم عن حرمان أنفسهم من الطيِّبات، كما نظَّمَ لهم حياتهم بشكل متوازٍ بين العبادة والعمل(١).

وأما الذين غالوا في الزهد أو الرفاهية؛ فقد بعدوا عن المقصد الشرعي من الزهد؛ لأن الإسلام دين العطاء لا الحرمان، والتيسير لا التّعسير، والسّعة لا الضّيق، وخير مثال على ذلك ثراء مجموعة من الصّحابة، كعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما في عهد

---

(١) حيث يُشير التّوجيه النّبوي إلى ضرورة الموازنة بين العبادات وبين الحاجات الدّنيويّة، ومن قبيل ذلك ما أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب الصوم، باب مَن أقسم على أخيه ليفطر في التّطوّع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له، ج 4، ص266، رقم (1968) بلفظ: "عن عَوْن بن أبي جُحَيْفة عن أبيه قال: آخى النبي ﷺ بين سليمان وأبي الدّرداء، فزار سلمان أبا الدّرداء، فرأى أمّ الدّرداء مُتَبَذِّلة فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدّرداء ليس له حاجة في الدّنيا. فجاء أبو الدّرداء فصنع له طعاماً فقال له: كل، قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل. قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدّرداء يقوم، قال: نم، فنام. ثم ذهب يقوم، فقال: نم. فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فَصلَّيا. فقال له سلمان: إنّ لربّك عليك حقّاً، ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً فأعطِ كلّ ذي حقٍّ حقّه. فأتى النبي ﷺ فَذَكَرَ ذلك له، فقال له النبي ﷺ: صَدَقَ سلمان"، وأيضاً: كتاب الأدب، باب صُنْع الطّعام والتّكلُّف للضّيف، ج10، ص656، رقم (6139).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النبي ﷺ ولم يعترض عليهم، كما أنهم ضحّوا بسخاء في سبيل الله تعالى وبلا حدود ، واعتراضه ﷺ على مَن أرهق نفسه بالعبادات [١].

ورُويت أحاديث صحيحة في حبّ النبي ﷺ للعسل والثّريد واللحم، وكان يُصيبُ ذلك متى وُجِد، فقد كان يأخذ من خيرات الدنيا على قدره عندما تأتيه دون السّعي للحصول عليها وجعلِها هدفاً له ومسعى، حيث كان يُفَضِّل الزُّهد على الثّراء، لذا فإنّ قلّة العيش التي عاشها النبي ﷺ لم يكن ناتجاً عن إدبار الدنيا وإنما هو اختار ذلك، كما أنّ من أسباب فقر النبي ﷺ هو شدّة كرمه وجوده، فقد كان لا يردّ سائلاً، وكان أجود ما يكون في رمضان، وبهذا يتبيّن سبب عدم تركه لثروة بعد وفاته ﷺ[٢]، فقد قال ابن كثير في الممتلكات التي كانت له ﷺ في حياته وقلّة تَرِكَته: "فلعلّه عليه الصلاة والسّلام تصدَّقَ بِكَثيرٍ منها في حياته منجزاً، وأعتق مَن أعتق من إمائه وعبيده، وأرصد ما أرصده من أمتِعَتِه مع ما خصّه الله به من الأرضَيْن في بني النّضير وخيبر وفدك في مصالح المسلمين ... إلا أنه لم يخلف من ذلك ما يورث عنه قطعاً"[٣].

المطلب الثاني: موقف روبسون من معجزات النبي ﷺ

لما فرغ من التشكيك في زهد النبي ﷺ بإنكار ما صحّ عنه في ذلك، انتقل إلى التشكيك في معجزاته، زاعماً أنها حُملت عليه من التوراة والإنجيل، وأنها لم تكن في الحقيقة معجزات، بل نُسِبَت إليه ليكون مثل عيسى عليه السلام في النبوة، وأنه في الحقيقة ليس نبيّاً تظهر على يديه المعجزات، وإن أبرز النقاط التي أثارها روبسون هي:

1 -حادثة انشقاق القمر، وأنّ محمداً قد نال الشهرة منها[٤].

---

(١) ومن ذلك ما أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب النكاح، باب التّرغيب في النّكاح، ج 9، ص131، رقم (5063) بلفظ: "عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: جاء ثلاثة رَهطٍ إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبِروا كأنّهم تَقالّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدَّمَ من ذنبه وما تأخَّرَ. قال أحدهم: أما أنا فأنا أُصلّي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدّهر ولا أُفطر. وقال آخر: أنا أعتزلُ النساء فلا أتزوّج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأُفطر، وأُصلّي وأرقُد، وأتزوّج النساء، فمَن رَغِبَ عن سُنّتي فليس منّي".

(٢) انظر: شايب، لخضر، نبوّة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 2، 2002 م، ص433.

(٣) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن الشيخ أبي حفص شهاب الدين عمر، البداية والنهاية، ج 4، ص284.

(٤) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يُريَهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، ج 6، ص771، رقم (3636)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

2 -تكثير الطعام(١)(٢)(٣).

بلفظ: "عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: انشقّ القمر على عهد النبي ﷺ شقّتين، فقال النبي ﷺ: اشهدوا"، نفس الكتاب، باب انشقاق القمر، ج7، ص229، رقم (3868)، (3869)، (3870) مع اختلاف اللفظ، ص230، رقم (3871)، كتاب التفسير، باب ﴿ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ ﴾ [القمر: 1-2]، ج8، ص784، رقم (4864)، ورقم (4865)، ورقم (4866)، ورقم (4867)، ورقم (4868)، مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم ومعه المنهاج للنووي، كتاب صفات المُنافقين، باب انشقاق القمر، ج 17، ص141، رقم (7004)، ص142، رقم (7003) (7004) (7005) (7006)، ص143، رقم (7007) (7008) (7009) (7010).

(١) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب الشركة، باب الشّركة في الطّعام والنّهْد والعُروض وكيف قِسْمة ما يُكال ويُوزَن مُجازفة أو قَبْضة قَبْضة لمّا لم يرَ المسلمون في النّهْد بأساً أنْ يأكل هذا بعضاً وهذا بعضاً وكذلك مُجازفة الذّهب والفضّة والقِران في التّمر، ج5، ص158، رقم (2484) بلفظ: "عن سَلَمة ﷺ قال: خَفّت أزواد القوم وأملَقوا، فأتوا النبي ﷺ في نحر إبِلِهم فأذِنَ لهم، فَلَقِيَهم عمر فأخبروه فقال: ما بقاؤكم بعد إبلِكم؟ فدخل على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما بقاؤهم بعد إبِلِهم؟ فقال رسول الله ﷺ: نادِ في الناس يأتون بفضلِ أزوادِهِم، فَبُسِطَ لذلك نِطْعٌ وَجَعَلوه على النِّطْع، فقام رسول الله ﷺ فدعا وبَرَّكَ عليه، ثمّ دعاهم بأوعيتهم فاحتثى الناس حتى فرَغوا، ثم قال رسول الله ﷺ: أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله".

(٢) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب الهبة، باب قبول الهدية من المشركين، ج 5، ص283، رقم (2618)، بلفظ: "عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثلاثين وَمِائَةً فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ هَلْ مَعَ أَحَدٍ مِنْكُمْ طَعَامٌ فَإِذَا مَعَ رَجُلٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ أَوْ نَحْوُهُ فَعُجِنَ ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ مُشْعَانٌّ طَوِيلٌ بِغَنَمٍ يَسُوقُهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْعًا أَمْ عَطِيَّةً أَوْ قَالَ أَمْ هِبَةً قال: لا بل بَيْعٌ فَاشْتَرَى مِنْهُ شَاةً فَصُنِعَتْ وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِسَوَادِ الْبَطْنِ أَنْ يُشْوَى وَأَيمُ الله مَا فِي الثَّلَاثِينَ وَالْمِائَةِ إلا قد حَزَّ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ حُزَّةً مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا إِنْ كَانَ شَاهِدًا أَعْطَاهَا إِيَّاهُ وَإِنْ كَانَ غَائِبًا خَبَأَ لَهُ فَجَعَلَ مِنْهَا قَصْعَتَيْنِ فَأَكَلُوا أَجْمَعُونَ وَشَبِعْنَا فَفَضَلَتْ الْقَصْعَتَانِ فَحَمَلْنَاهُ عَلَى الْبَعِيرِ أَوْ كَمَا قَالَ"، وأيضاً: كتاب الأطعمة، باب مَن اكل حتى شبع، ج 9، ص653، رقم (5382)، مسلم، ابن الحجّاج النيسابوري، صحيح مسلم ومعه المنهاج للنووي، كتاب الأشربة، إكرام الضيف وفضل إيثاره، ج13، ص243، رقم (5332).

(٣) "وفي القرآن لا يوجد ما يوحي بأنّ محمد اً فعل معجزات ولكن ذلك لا يمنع من أن يصف الحديثُ بعض المعجزات، كما أنّ البخاري يُقدّم بعض الوصف لها. وسورة 54 آية 1 تشير إلى انشقاق القمر والآية التي بعدها تقول بأنّ الناس عندما يَرَون آية فإنهم يُعرِضون عنها ويُسَمّونها سحراً. وربما يكون محمد هنا قد نال سمعة من ظاهرة طبيعيّة مُعَيّنة ظهرت، غير أنّ القرآن لا يقول بأنّ هذا كان معجزة من فعل محمد.
والحديث على كل حال لا يحوم حوله شك. ويُروى عن أنس بن مالك قوله بأنّ أهل مكة سألوا محمداً أن يأتيهم بآية وبأنه أراهم القمر مُنشَطِراً نصفَيْن يَظهر بينهما جبل حراء. كما أنّ هناك حكايات تدور حول تكثير محمد للطعام بصورة إعجازية، فبعض الناس أخبروا عمر بأن الطعام الذي كان لديهم قليل حتى همّوا بنحر إبلهم. فحكى ذلك إلى النبي الذي أُتِيَ بقطعة من الجلد فُرِشَت أمامه وأمَرَ الناس بأن يضعوا عليها ما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

3 -أن غالب هذه المعجزات مستمدّة من العهد الجديد ونتيجةً للاتّصال بالمسيحيين.

4 -إثبات المعجزات لمحمد حتى لا يكون أقلّ من عيسى في صنع المعجزات.

5 -نبع الماء من بين أصابعه(١)(٢).

6 -رؤيته للناس من خلفه أثناء الصلاة(٣)(٤).

تبقّى لديهم من طعام. ودعا النبي بالبركة ثم طلب من الناس أن يأتوا بمواعينهم فنال الجميع حاجتهم. ويُقال بأنّ أم سليم كانت لديها بعض أرغفةٍ من شعير أرادت أن تستضيفه لتقدّمها له. فأتى النبي بثمانين شخصاً بدأوا يأكلون كل عشرة رجال معاً وجميعهم أكلوا كفايتهم. وفي مناسبة أخرى كان مع النبي 130 رجلاً فسأل إن كان يوجد لدى أيٍّ منهم أي طعام فتقدّمَ أحدهم بحوالي صاعٍ من القمح. فتمّ عجنه وأُحضِرَت شاةٌ من مُشرِك. ومن هذين تمّ تقديم ما يكفي من الطعام للمجموعة بكاملها وفَضُلَ إناءان مليئان. والمرء لا يمكن إلا أن يشعر بأنّ هذه القصّة بإشارتها إلى الطعام الذي فَضُل وتمّ جمعه إنما هو مُستَمَدٌّ إلى حدٍّ ما من العهد الجديد".

المصدر: Robson, James, The Material of Tradition 1, p174.

(١) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب الأشربة، باب شرب البركة والماء المُبارك، ج 17، ص379، رقم (5208)، بلفظ: "عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺهذا الحديث قال: قد رَأَيْتُنِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وقد حَضَرَتْ الْعَصْرُ وليس معنا مَاءٌ غير فَضْلَةٍ فَجُعِلَ في إِنَاءٍ فَأُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ به فَأَدْخَلَ يَدَهُ فيه وَفَرَّجَ أَصَابِعَهُ ثمّ قال: حَيَّ على أهل الوضوء البركة من الله. فلقد رأيتُ الماء يَتَفَجَّرُ من بين أَصَابِعِهِ فَتَوَضَّأَ النَّاسُ وَشَرِبُوا فَجَعَلْتُ لا آلوا مَا جَعَلْتُ فِي بَطْنِي منه فَعَلِمْتُ أَنَّهُ بَرَكَةٌ قُلْتُ لِجَابِرٍ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قال: ألفاً وَأَرْبَعَ مِائَةٍ".

(٢) "ونوعٌ آخر من المُعجزات يحكي عن الإنتاج الإعجازي للماء حيث تُنسَب إلى جابر بن عبد الله قصّة صحابيّ تبقّى معه مقدار ضئيل جداً من الماء ورَغِبَ في الوضوء للصلاة. فوُضِعَ الماء في وعاء ووَضَعَ النبي يده فيه وفَرّجَ بين أصابعه. ثمّ دعا الناس للوضوء فكان هناك ماء يكفي للوضوء والشرب. قال جابر بأنّ عدد الحضور كانوا ألفاً وأربعمائة غير أنّ صيغةً أخرى تقول بأنه كان ألفاً وخمسمائة. وتوجد قصصٌ أخرى من نفس النوع. وهناك احتمال بأنّ حكايات من هذا النوع نشأت نتيجة للإتّصال بالمسيحيّين ومن باب الرغبة في إظهار أنّ محمداً لم يكن أقلّ من عيسى في صنع المُعجزات".

المصدر: Robson, James, The Material of Tradition 1, p.174.

(٣) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب الأذان، باب تسوية الصفوف عند الإمامة وبعدها، ج2، ص268، رقم (718)، بلفظ: "عن أنس بن مالك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: أقيموا الصُّفوف فإني أراكم خلف ظهري"، مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم ومعه المنهاج للنووي، كتاب الصلاة، باب تسوية الصّفوف وإقامتها وفَضْل الأوّل فالأوّل منها والازدحام على الصّفّ الأوّل والمُسابقة إليها وتقديم أولي الفَضْل وتقريبهم من الإمام، ج4، ص377، رقم (975).

(٤) "ومن بين المعجزات ذات الصّيغة المُختلفة هو القول المنسوب إلى محمد بأنه قادر على أن يرى الناس خلفه. وهذا يتم ربطه دائماً بالصّلاة حيث يوحي ذلك بأنه رغم أنّ المُصَلّين يتوجّهون إلى جهة واحدة إلا أنّ محمداً لديه القدرة على رؤية كيف يؤدي هؤلاء المُصلّون خلفه صلواتهم".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

7 -معرفة أحداث غزوة مؤتة وهو ليس معهم[١][٢].

8 -معرفته لأمورٍ مستقبليّة؛، فيحثّ النبي ﷺ على التّمسُّك بسنّته وسنّة الخُلفاء الرّاشدين من بعده[٣]، ويُخبر بأمورٍ غيبيّة مُستقبليّة مثل مدة الخلافة وبعدها تأتي المَلَكيّة ويرى

المصدر: Robson, James, The Material of Tradition 1, p.174- 175.

(١) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، ج7، ص641، رقم (4262)، بلفظ: "عن أنس ﷺ أنّ النبي ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: أخذ الرّاية زيدٌ فأُصيب ثمّ أخذ جعفرٌ فأُصيب، ثمّ أخذ ابن رواحة فأُصيب –وعيناه تذرِفان– حتى أخذ الرّاية سيفٌ من سيوف الله حتى فتح الله عليهم".

والحديث الآخر الذي فَهِمَ منه روبسون أنّ رسولاً قَدِم على النبي ﷺ وأخبره باستشهاد القادة: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، ج7، ص641، رقم (4263)، بلفظ: "عن عَمْرة قالت: سمعتُ عائشة ﷺ تقول: لمّا جاء قتلُ ابن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة ﷺ جلس رسول الله ﷺ يُعرَفُ فيه الحُزن، قالت عائشة: وأنا أطَّلِعُ من صائر الباب –تعني من شِقِّ الباب– فأتاه رجلٌ فقال: أي رسول الله، إنّ نساء جعفر –وذَكَرَ بُكائَهنّ– فأمره أن ينهاهُنّ. قال: فَذَهَبَ الرَّجُل ثمّ أتى فقال: قد نهيتُهُنّ، وذَكَرَ أنه لم يُطِعْنَه. قال: فأَمَرَ أيضاً. فَذَهَبَ ثمّ أتى فقال: والله لقد غَلَبْننا. فزَعَمَت أنّ رسول الله ﷺ قال: فاحثُ في أفواههنّ من التُّراب. قالت عائشة: فقلتُ: أَرْغَمَ اللهُ أنفَك، فوالله ما أنتَ تفعلُ، وما تركتَ رسول الله ﷺ من العناء".

(٢) "إنّ نوعاً من المعرفة الخارقة يُعزى إلى محمد في حديثٍ عن أنس يُخبِر فيه كيف أخبر الناس بموت زيد وجعفر وابن رواحة في معركة مؤتة قبل ورود الخبر إليهم. غير أنّ هذا يُغَيّره فجأة حديث عائشة الذي بعده مباشرة والذي يقول بأنه عند ورود خبر مَقتَل ابن حارثة وجعفر وابن رواحة، جلس النبي مُبدياً أمارات حزنٍ واضحة. فهنا لا يوجد ما يوحي بوجود معرفة خارقة. وليس مُستَغرَباً أن تكون الحكايات التي تدور حول القدرات الإعجازية للنبي لا بدّ من أنها طُوِّرَت. فهو قد أنجز عملاً عظيماً في سبيل توطيد الديانة الإسلامية وأتباعه لم يكن لديهم شك في تلقّيه للوحي الإلهي. وعليه فقد كانت خطوة صغيرة أن تُنسَب إليه معجزات، غير أنّ المرء يتوقع أن يجد ذلك في الأوساط الدينية الشّعبية لا في كتاب قُدِّر له أن يُصبح موثوقاً إلى هذه الدرجة".

المصدر: Robson, James, The Material of Tradition 1, p.175.

(٣) أخرجه: أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، كتاب السّنّة، باب في لزوم السّنّة، ص 651، رقم (4607) بلفظ: "قال العِرباض: صلّى بنا رسول الله ﷺ ذاتَ يومٍ ، ثمّ أقبلَ علينا فَوَعَظَنا موعظةً بليغة ذَرَفَت منها العيونُ ووَجِلَت منها القُلوبُ، فقال قائلٌ: يا رسول الله، كأنّ هذه موعظةُ مُوَدِّعٍ فماذا تَعْهَدُ إلينا؟ فقال: أُصيكُم بتقوى الله والسَّمْع والطّاعة وإنْ عَبْداً حَبَشيّاً، فإنّه مَن يَعِش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فَعَليكم بسُنّتي وسُنّة الخُلَفاء الرّاشِدين المَهديّين تَمَسَّكوا بها، وعَضّوا عليها بالنّواجذ، وإيّاكم ومُحدَثات الأمور، فإنّ كلّ مُحدَثَةٍ بِدعة، وكُلّ بِدعةٍ ضلالة". ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، كتاب السّنّة، باب اتّباع سُنّةِ الخُلَفاء الرّاشِدين المَهديّين، ص6، رقم (42)، ورقم (43) (44) مع اختلاف اللفظ. وصحّحه الألباني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

روبسون أنّ هذا الحديث مُوَجَّه ضدّ الأمويين (١)، وعدد الخُلفاء من قُريش (٢)(٣)، وظهور أصحاب الرّايات السُّود التي تأتي من خُراسان(٤)، والحثّ على مُبايعتهم(٥)، وظهور فرق

---

(١) أخرجه: الترمذي، محمد بن عيسى، سنن التّرمذي، كتاب الفتن، باب، ص 503، رقم (2226)، بلفظ: "قال رسول الله ﷺ: الخِلافة في أُمّتي ثلاثون سنة، ثمّ مُلْكٌ بعد ذلك".

(٢) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب الأحكام، بابٌ، ج13، ص260، رقم (7222) (7223) بلفظ: "عن جابر بن سَمُرة قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: يكون اثنا عشر أميراً –فقال كلمة لم أسمعها– فقال أبي: إنه قال: كلُّهم من قُرَيْش"، مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم ومعه المنهاج للنووي، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، ج12، ص407، رقم (4682) (4683)، ص408، (4684) (4685) (4686) (4687) (4688) مع اختلاف اللفظ.

(٣) "الحديث يُصَوِّر محمداً بأنه عالِم بما سيحدث في مجتمعه بعد موته. فمثلاً تُنسبُ إليه معرفةُ التاريخ المُبَكِّر للخلافة. إنه يأمر الناس باتّباع سنّته وسنّة الخلفاء الرّاشدين. فهو يقول بأنّ الخلافة ستستمرّ ثلاثين سنة ثمّ تكون بعدها مَلَكيّة. وهذا موجّه بشكل واضح ضدّ الأمويين. ولكنه يقول في موضع آخر بأنه سيكون هناك اثنا عشر خليفة مما يُعطي مجالاً لاحتساب عمر بن عبد العزيز. وأحياناً يُشارُ بأنّ الدّين سيكون قويّاً أثناء هذه المدة وأحياناً بأنّ هؤلاء الخلفاء الاثني عشر سوف يكونون من قُريش. وأهمّية الدولة العباسية ظاهرة في حديث يُخبِر العباس فيه محمداً ب أنّ قُرَيْشاً يُحيي الواحد منهما الآخر من القلب إلا أنها تفعل ما هو خلاف ذلك تجاهه. فصرّح النبي في إثر ذلك قائلاً "لا يدخل إيمان قلب رجل حتى يُحِبُّكم لله ولرسوله" ثم أضاف قوله "أيها الناس مَن آذى عمّي فقد آذاني لأنّ عم الرجل أخو أبيه" ويشعر المرء بأن هذا ليس مجرّد مسألة رجل يتكلم عن عمّه، بل إنه حديث هدفه إلى حدٍّ بعيد دعم القضيّة العبّاسيّة. ويوجد لدى الترمذي حديث يتكلّم عن رايات سود تأتي من خراسان لا يستطيع شيء صدّها. كما أنّ ابن ماجه لديه حديث حتى أكثر دقّة في دعمه للعبّاسيين. إنه يُخبِر عن رجال يجيئون برايات سود من الشرق بعد انتصارهم ليُقيموا العدالة. ثم يقول النبي بعد ذلك "كل مَن يحضر منكم ذلك فليجئ إليهم ولو حبواً على الثلج". ولا يمكن إلا أن يكون شكّ بأنّ مثل هذه الأحاديث قد تمّت فبركتها لدعم وجهات نظر معيّنة. ويُقال بأن الزهري قد اتّهم الأمويين بإجبار الناس على تزوير أحاديث، وهو تصريح ربما يكون صحيحاً كل الصّحة. لكن سواءً استخدم العباسيون الإجبار أم لا فقد كان هناك أُناسٌ شعروا أنّ من مصلحتهم نشر أحاديث تدعم القضيّة العباسية. ولكن جامعي كتب الحديث الستة قد مارسوا شيئاً من الحذر فيما يتعلّق بأحاديث من هذا النوع حيث إن عددها ليس بكثير".

المصدر: Robson, James, The Material of Tradition 2, p.267-268.

(٤) أخرجه: الترمذي، محمد بن عيسى، سنن التّرمذي، كتاب الفتن، بابٌ، ص 513– 514، رقم (2269)، بلفظ: "قال رسول الله ﷺ: تَخْرُجُ من خُراسان راياتٌ سودٌ لا يَرُدُّها شيءٌ حتى تُنصَبَ بإيلياء".

(٥) أخرجه: ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب خروج المهدي، ص 595، رقم (4082) بلفظ: "عن علقمة عن عبد الله قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذْ أَقْبَلَ فِتْيةٌ من بني هاشم. فلمّا رآهم النبي ﷺ، اغرورقت عيناه وتَغَيَّرَ لونه. قال: فقلتُ: ما نَزالُ نرى في وجهك شيئاً نكرهه. فقال: إنا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خارجة عن أهل السنة مثل الخوارج وذِكرِه صفاتهم(١)، وقد حثّ النبي ﷺ على قتالهم(٢)، وأنّهم كلاب النّار(٣)(١).

أهلُ بيتٍ اختار الله لنا الآخرة على الدُّنيا، وإنّ أَهْلَ بيتي سيلقَون بعدي بلاءً وتشريداً وتطريداً. حتى يأتيَ قَومٌ من قِبَلِ المَشْرِق معهم راياتٌ سود، فيسألون الخير، فلا يُعْطَونَه، فيُقاتِلون فيُنصَرون، فيُعْطَون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجلٍ من أهل بيتي، فيملؤها قِسْطاً كما مَلأُوها جَوْراً. فمَن أدرك ذلك منكم، فليَأتِهم ولو حَبواً على الثّلج"، ص595، رقم (4084)، ص596، رقم (4088) مع اختلاف اللفظ. وضعّفه الألباني لسوء حفظ يزيد بن أبي زياد الهاشمي.

(١) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [هود: 50]، ج6، ص454، رقم (3344)، بلفظ: "عن أبي سعيدٍ ؓ قال: بَعَثَ عليٌّ ؓ إلى النبي ﷺ بذُهَيْبة، فقَسَمَها بين الأربعة، الأقرع بن حابس الحَنْظَلي ثمّ المُجاشِعيّ، وعُيَيْنة بن بدرٍ الفَزاريّ، وزيد الطّائي ثم أحد بني نبهان، وعلقمة بن عُلاثة العامِرِيّ أحد بني كلاب. فغَضِبَت قُرَيْشٌ والأنصار قالوا: يُعطي صناديد أهل نجد ويَدَعُنا. قال: إنما أتَألَّفُهُم. فأَقْبَلَ رجلٌ غائرَ العَينَين مُشرِف الوجنتَين ناتِئُ الجبين كثُّ اللّحية مَحلوق فقال: اتّق الله يا محمّد، فقال: مَن يُطِع الله إذا عَصَيْتُ؟ أيأمَنُني الله على أهل الأرض ولا تأمنونَني؟ فسأله رجلٌ قَتْلَه –أحسِبُه خالد بن الوليد– فمَنَعه، فلمّا ولّى قال: إنّ من ضِئضِئِ هذا –أو في عَقِبِ هذا– قومٌ يقرؤون القرآن لا يُجاوِزُ حناجِرَهم، يَمرُقون من الدّين مروق السَّهم من الرَّمية، يقتلون أهل الإسلام ويَدَعون أهل الأوثان، لَئِن أنا أدركتُهُم لأقتُلَنَّهم قَتْلَ عاد"، كتاب استتابة المرتدّين، باب قتلِ الخوارج والمُلحِدين بعد إقامة الحجّة عليهم، ج 12، ص353، رقم (6930)، ص353– 363، رقم (6931)، مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم ومعه المنهاج للنووي، كتاب الزكاة، باب ذِكر الخوارج وصفاتهم، ج7، ص159، رقم (2446)، ص160، رقم (2447)، ص161، رقم (2448)، ص162، رقم (2449)، ص163، رقم (2450)، ص164، رقم (2451) (2452)، ص 165، رقم (2453) مع اختلاف اللفظ.

(٢) أخرجه: مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم ومعه المنهاج للنووي، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج، ج 7، ص168–169، رقم (2459) بلفظ: "عن زيد بن وَهْب الجُهَني: أنه كان في الجيش الذين كانوا مع عليّ ؓ، الذين ساروا إلى الخوارج، فقال علي ؓ: أيُّها النّاس، إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: يَخرُجُ قومٌ من أُمّتي يقرأون القرآن، ليس قراءَتُكم إلى قراءَتِهم بشيءٍ، ولا صلاتُكم إلى صلاتِهم بشيءٍ، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرأون القرآن، يَحْسِبون أنّه لهم وهو عليهم، لا تُجاوِزُ صلاتُهم تَراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يَمْرُقُ السّهم من الرَّمِيَّة)، لو يعلم الجيش الذين يُصيبُنَهم، ما قُضِيَ لهم على لسان نبيّهم ﷺ، لاتَّكَلوا عن العمل، وآية ذلك أنّ فيهم رجلاً له عَضُد، وليس له ذِراع، على رأس عَضُدِه مثل حلمة الثّدي، عليه شعراتٌ بيضٌ، فتذهبون إلى مُعاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يَخْلُفونَكم في ذراريِّكُم وأموالِكُم، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم. فإنّهم قد سَفَكوا الدَّم الحَرام، وأغاروا في سَرْحِ النّاس، فسيروا على اسم الله".

(٣) أخرجه: ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، كتاب السّنّة، باب في ذِكْرِ الخوارج، ص 26، رقم (173)، بلفظ: "قال رسول الله ﷺ: الخوارج كلاب النار". وصحّحه الألباني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذِكرِ النبي ﷺ لمُدُن لم تكن موجودة في عهده ﷺ مثل: مصر [٢]، وفارس[٣]، وسوريا[٤]، والدَّيلم[٥]، والبصرة[١]، والقُسطنطينيّة[٢]، والقدس[٣]، وقزوين[٤]، والتُّرك[٥][١].

---

(١) "ونجد أيضاً أحاديث تتعلّق بفرق كَبُرَت في العهد الأول للإسلام. فهناك عددٌ منها يتعلّق بالخوارج. وهم قد جرى تنبُّؤٌ بهم بأنهم جماعة من الأغبياء يمرقون من الدين كما يُصيب السهم العلامة على نحوٍ مؤكّد. وسوف يحتقرون صلوات الآخرين مقارنةً بصلواتهم ولكن صلواتهم لن تتعدّى حلوقهم. كلماتهم خيّرة وأفعالهم سيئة. وسوف يدعون الناس إلى كتاب الله ولكن ليس لهم هم أنفسهم نصيبٌ منه. وعلامتهم التحليق. ويوجد عدد من الأحاديث يحضّ على ضرورة قتال الخوارج ويتحدّث عن الثواب الذي سيُعطى لقاء هذا. ولكن هناك صيغة يُروى فيها عن عليّ قوله بأنه لولا أنّ الناس سوف يُغالون لأخبرهم ماذا وعد الله على لسان نبيّه هؤلاء الذين يُقاتلونهم، ويُروي ابن ماجه قول النبي بأن الخوارج كلاب أهل جهنم. فخُبث الأحاديث المُتَعلِّقة بهذا الموضوع إنما يدل على المرارة التي كان يشعر بها المجتمع حيال هذه الفرقة العنيدة".

المصدر: Robson, James, The Material of Tradition 2, p.268.

(٢) أخرجه: مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم ومعه المنهاج للنووي، كتاب فضائل الصّحابة، باب وصيّة النبيﷺ بأهل مصر، ج16، ص313- 314، رقم (6441) بلفظ: "عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّكم ستفتحون مِصْر، وهي أرضٌ يُسَمّى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأَحْسِنوا إلى أهلها فإنّ لهم ذِمّةً ورَحِماً. أو قال: ذِمّةً وصِهْراً، فإذا رأيتَ رَجُلَيْن يختَصِمان فيها في موضعِ لَبِنة، فاخرج منها" قال: فرَأيتُ عبد الرّحمن بن شُرَحبيل بن حَسَنة وأخاه ربيعة، يَختَصِمان في موضعِ لَبِنة، فَخَرجْتُ منها".

(٣) أخرجه: مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم ومعه المنهاج للنووي، كتاب فضائل الصّحابة، باب فضل فارس، ج16، ص316-317، رقم (6444) بلفظ: "عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لو كان الدِّين عند الثُّريّا لَذَهَبَ به رَجُلٌ من فارِس -أو قال- من أبناء فارِس، حتى يتناوله"، ص 317، رقم (6445) مع اختلاف اللفظ.

(٤) أخرجه: أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في سُكنى الشام، ص 359، رقم (2483) بلفظ: "عن ابن حَوالَة قال: قال رسول الله ﷺ: سيصير الأمرُ إلى أن تكونوا جُنوداً مُجَنَّدة: جُندٌ بالشام، وجُندٌ باليمن، وجُندٌ بالعِراق. قال ابن حَوَالَة: خِرْ لي يا رسول الله إنْ أدركتُ ذلك، فقال: عليك بالشام، فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده، فأما إذْ أَبَيْتُم بيَمَنِكُم واسقوا من غُدَرِكُم، فإنّ الله توكّل لي بالشام وأهله"، الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في فَضْلِ الشّام واليمن، ص885، رقم (3954) بلفظ: "عن زيد بن ثابت قال: كنّا عند رسول الله ﷺ نؤلِّفُ القرآن من الرِّقاع، فقال رسول الله ﷺ: طوبى للشّام، فقُلْنا: لأيّ ذلك يا رسول الله؟ قال: لأنّ ملائكة الرّحمن باسِطةٌ أجنحتها عليها". وصححه الألباني.

(٥) أخرجه: ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب ذِكرِ الدَّيلم وفضل قزوين، ص 401، رقم (2779) بلفظ: "عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لو لم يبقَ من الدُّنيا إلا يوم، لطَوَّلَه الله عزّ وجلّ حتى يملك رجلٌ من أهل بيتي، يملك جبل الدَّيلَم والقُسطنطينيّة"، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج9، ص363، رقم (4361): وهذا إسناد ضعيف ؛ لأن قيساً – وهو ابن الربيع – ؛ قال الحافظ: "صدوق تغير لما كبر، أدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدَّث به".

(١) أخرجه: أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، أول كتاب الملاحم، باب في ذِكْر البصرة، ص604– 605، رقم (4306) بلفظ: "عن مُسلِم بن أبي بَكْرة قال: سمعتُ أبي يُحَدِّثُ أنّ رسول الله ﷺ قال: ينزل ناسٌ من أُمّتي بِغائطٍ، يُسَمّونَه البَصرة، عند نَهرٍ يُقالُ له: دَجْلَة، يكون عليه جِسْرٌ يَكثُرُ أهلُها وتكون من أمصار المُهاجرين". وحسَّنه الألباني. وأخرج أبو داود أيضاً: ص 605، رقم (4307): "عن أنس بن مالك؛ أنّ رسول الله ﷺ قال له: يا أنس، إنّ الناس يُمَصِّرون أمصاراً، وإنّ مِصراً منها يُقالُ لها البَصْرة أو البُصَيْرة فإنْ أنتَ مَرَرْتَ بها أو دَخَلْتَها فإيّاكَ وسِباخَها وكِلاءَها وسُوقَها وبابَ أُمَرائِها، وعليكَ بِضواحيها، فإنه يكون بها خَسْفٌ وقَذْفٌ ورَجْفٌ، وقَومٌ يَبيتون يُصْبِحون قِرَدَةً وخنازير". وصحَّحه الألباني.

(٢) أخرجه: أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، أول كتاب الملاحم، باب في أمارات الملاحم، ص603، رقم (4291) بلفظ: "عن مُعاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: عُمْرانُ بيتِ المقدِس خرابُ يثرِب، وخرابُ يثرِب خُروج المَلْحَمة، وخروج المَلْحَمة فَتْحُ القُسْطَنطينيّة، وفَتْحُ قُسْطَنْطينيَّة خروجُ الدَّجّال"، حسَّنه الألباني، وأخرج أبو داود أيضاً: كتاب الملاحم، باب في تواتر الملاحم، ص 603، رقم (4295): "عن مُعاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: المَلْحَمة الكُبرى وفَتْحُ القُسْطَنطينيّة وخُروجُ الدّجّال في سبعة أشهر"، ص603، رقم (4296) بلفظ: "عن عبد الله بن بُسْر أنّ رسوأخرجه: أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، أول كتاب الملاحم، باب في أمارات الملاحم، ص 603، رقم (4291) بلفظ: "عن مُعاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: عُمْرانُ بيتِ المقدِس خرابُ يثرِب، وخرابُ يثرِب خُروج المَلْحَمة، وخروج المَلْحَمة فَتْحُ القُسْطَنطينيّة، وفَتْحُ قُسْطَنْطينيَّة خروجُ الدَّجّال"، حسَّنه الألباني، وأخرج أبو داود أيضاً: كتاب الملاحم، باب في تواتر الملاحم، ص 603، رقم (4295): "عن مُعاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: المَلْحَمة الكُبرى وفَتْحُ القُسْطَنطينيّة وخُروجُ الدّجّال في سبعة أشهر"، ص 603، رقم (4296) بلفظ: "عن عبد الله بن بُسْر أنّ رسول الله ﷺ قال: بين المَلْحَمة وفَتْح المدينة ستُّ سنين، ويخرجُ المسيح الدّجّال في السّابعة"، ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب ذِكر الدَّيلم وفضل قزوين، ص401، رقم (2779) بلفظ: "عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لو لم يبقَ من الدُّنيا إلا يوم، لطَوَّلَه الله عزّ وجلّ حتى يملك رجلٌ من أهل بيتي، يملك جبل الدَّيلَم والقُسطنطينيّة".

(٣) أخرجه: مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم ومعه المنهاج للنووي، كتاب المساجد، باب المساجد ومواضع الصّلاة، ج5، ص5، رقم (1161) بلفظ: "عن أبي ذر قال: قُلتُ: يا رسول الله أيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ في الأرضِ أولاً؟ قال: المسجد الحرام. قلتُ: ثمّ أيٌّ؟ قال: المَسجد الأقصى. قلتُ: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة، وأينما أَدْرَكَتْكَ الصّلاةُ فَصلِّ فهو مَسْجِد"، ص6، رقم (1162).

(٤) أخرجه: ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب ذِكر الدَّيلم وفضل قزوين، ص401، رقم (2779) بلفظ: "عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لو لم يبقَ من الدُّنيا إلا يوم، لطَوَّلَه الله عزّ وجلّ حتى يملك رجلٌ من أهل بيتي، يملك جبل الدَّيلَم والقُسطنطينيّة".

(٥) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب المناقب، باب علامات النُّبُوّة في الإسلام، ج6، ص738، رقم (3587) بلفظ: "عن أبي هريرة ﷺ عن النبي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

9 -ويرى روبسون أنّ هذه الأحاديث كان ينبغي أنْ لا تكون موجودة في أوثق المصادر لدى المُسلِمين، وإنما في الأوساط الشّعبيّة.

يمكن توضيح الإشكالات السّابقة عبر النّقاط الآتية:

أولاً: لقد ثبت حدوث دلائل نبوّة للأنبياء عليهم السلام، وقد أجرى الله عزّ وجلّ دلائل النُّبوّة على يد النبي محمد ﷺ، والقرآن الكريم أعظم ما يدلّ على نُبوّته ﷺ، والدّلائل التي ذَكَرها روبسون، تؤيّد نبوّته ﷺ، وتؤيّد صِدْقَ رسالته ﷺ، وأما تكثيره للطعام ورؤيته للناس خلفه في الصّلاة، فهذه أيضاً من دلائل النبوّة التي اختصّ الله تعالى بها نبيّه ﷺ، أما مسألة غزوة مؤتة، فإنّ روبسون قد أساء فهم الحديث التّالي وفَهِمَ منه أنّ رسولاً قد قَدِمَ وأخبر النبي ﷺ باستشهاد القادة اعتماداً على حديث عائشة رضي الله عنها؛ فعن عائشة رضي الله عنها: **"لمّا جاء قَتْلُ ابن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله ابن رواحة** رضي الله عنهم.."، وكون أنّ الرسول ﷺ أطلعه الله تعالى على خبر جيشه في مؤتة لا يُنافي أنّ الجيش أرسل رسولاً إلى النبي ﷺ يُنبئه بخبر استشهاد القادة، فعن موسى بن عُقبة في المغازي "أنّ يعلى بن أُميّة قَدِمَ بخبر أهل مؤتة فقال له رسول الله ﷺ: **(إن شِئتَ فأخبرني وإن شئتَ أُخبرك)**، قال: فأخبرْني. فأخبره خبرهم. فقال: والذي بعثك بالحقّ ما تركتَ من حديثهم حرفاً لم تذكره"(٢)، وقال ابن حجر في حديث عائشة رضي الله عنها: "يُحتَمَلُ أن يكون المُراد مجيء الخبر على لِسان القاصد الذي حضر من عند الجيش، ويُحتَمَل أنْ يكون المُراد مجيء الخبر على لِسان جبريل كما يدلّ عليه حديث أنس الذي قبله"(٣)، فلا تعارُض بين الحديثَين.

ﷺ قال: لا تقوم السّاعة حتى تُقاتِلوا قوماً نِعالُهم الشَّعْر، وحتى تُقاتِلوا التُّرك صِغار الأَعْيُن حُمرَ الوجوه ذُلْفَ الأنوف كأنّ وجوهَهم المجانُّ المُطرَقَة".

(١) "تُشاهَد أحاديث في مدح بعض البلدان التي لم تكن ضمن دائرة النفوذ الإسلامي في حياة النبي مثل مصر وفارس والدّيلم. كما أنّ مُدُناً كالبصرة والقسطنطينية والقدس وقزوين مذكورة. والإشارة إلى التُّرك متكرّرة. والمرء لا يجد صعوبة في إدراك أنّ أحاديث كهذه يمكن بالكاد أن تكون أقوالاً حقيقية قالها النبي. وربما نتصوّر أن يكون قد تكلّم جيداً عن القدس، ولو كانت هي المدينة الوحيدة المذكورة لما كان للمرء أن يعترض. ولكن من غير المُحتَمَل، وإلى حدٍّ بعيد أن يتمكّن من التّنبُّؤ بفتح القسطنطينية وقزوين. وبالنسبة للبصرة فهي لم تُؤسَّس في عهد النبي ومع ذلك فالباب المُشار إليه لا يتكلّم عن البصرة وحدها بل يذكر مسجد العشار. وليس بمُستَغرَب بأن تكون مثل هذه الأحاديث قد تمّت فبركتها ولكن قد يكون من الأنسب لو أنها وردت في كتب أخرى غير الكتب المُعترَف بها".

المصدر: Robson, James, The Material of Tradition 2, p.269.

(٢) العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج7، ص642.

(٣) المرجع السابق، ج7، ص643.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعجزة لغةً:

العَجْز نقيض الحَزْم(١)، والعَجْزُ الضَّعْف، والتّعجيز التّثبيط والنّسبة إلى العَجْز(٢).

اصطلاحاً:

"أمر ممكن عقلاً، خارق للعادة، يُجريه الله على يد نبيٍّ، ليُثبت بذلك صدق نبوّته وصحّة رسالته"(٣). ويتحدّى بها قومه فيَعجَزون.

وبالتالي يتبيّن أن شروط المعجزة هي:

1 -خروجها عن المألوف، أي أنها أمر خارق للعادة.

2 -أن يتحدّى بها الرسول المدعوّين.

3 -عجز القوم عن الإتيان بمثلها.

4 -أن لا يكون الأمر الخارق للعادة فيه تكذيب لمدّعي النبوّة(٤).

والمُعجزات كلها من عند الله قد تتشابه وقد تختلف، فهي من مشكاة واحدة.

والمعجزات يُجريها الله على يد مَن يشاء من أنبيائه، فكما أجرى معجزةً على يد نبي فبقدرته يُجريها لنبي آخر، ومثل هذه المعجزة ليست بالضّرورة أن تختص بنبي دون آخر.

ثانياً: يستحيل إنكار تلك المُعجزات وعزو نشوئها إلى الاتّصال بالمسيحيين، إذ إنّ نُقّاد الكتاب المُقَدّس قد أثبتوا وجود الأخطاء العلميّة فيه، مما يُضعِف مكانة الكتاب ويُؤكّد تدخُّل العُنصُر البشري فيه، فكيف يُمكن أن تكون مُعجِزات النبي ﷺ تلك مُستَمَدّة من كتاب يشتمل على أخطاء علميّة؟ وهل كلّ مُعجزة لمحمّد ﷺ يوجد ما يُقابلها في الكتاب المُقَدَّس؟ فهل انشقّ القمر زمن عيسى عليه السلام؟ من تلك الأخطاء؛ الخطأ في سلسلة نسب المسيح في الأناجيل الأربعة، وكذلك ما هو موجود في العهد القديم: "من الطّين جَبَلتَني، تَذَكَّر! والآن إلى التُّراب تُعيدُني؟ سكبتني كاللبن الحليب وجعلتني رائباً كالجُبن؟ كسَوتَني جِلْداً ولَحماً وحَبَكتَني بِعِظامٍ وعَصَب. مَنَحتَني حياةً ورحمةً، وعنايتُكَ حَفِظَت روحي"(٥)، وهذا المَقطَع يُقارِنه المسيحيّون بموضوع مراحل خلق الإنسان كما ورد في الكتاب والسُّنّة، إلا أنّ الأخطاء العلميّة في هذا النّصّ واضحة، فمراحل خلق الإنسان هي: خَلْق الإنسان من طين، ثم مرحلة النّطفة، ثم العَلَقة، ثم المُضغة، ثم العِظام ثمّ

---

(١) ابن منظور الإفريقي، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج5.

(٢) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، ج 1، ص298؛ ابن عباد، إسماعيل، المحيط في اللغة، ج1، ص241.

(٣) الميداني، عبد الرحمن حسن، العقيدة الإسلامية وأُسسها، دار القلم- دمشق، ط11، 2002م، ص300.

(٤) المرجع السابق، ص301.

(٥) أيوب 10: 9- 12.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللحم[١]، وأما النّصّ السّابق فلا يوحي بمراحل واضِحة لخلق الإنسان إضافة إلى أنه ينصّ على أنّ لحم الإنسان يُخلَق أولاً ثمّ العظم، وهذا غير صحيح.

والنّقطة الأساسية في موقف روبسون أنه يُنكر نبوّة رسولنا ﷺ، لذا فإنه يُكَذّب بكل تلك الدّلائل ويُصَرِّفها كيف يشاء، فلو اعتقد بنبوّته لتغيّر موقفه.

ثالثاً: ، وإنما كان ذلك في مواقف قليلة، وكان اتّصالهم بشكل أساسي مع مُشرِكي قريش، وذلك لأنّ مكان معيشتهم واحد، وأيضاً لم يكن الكتاب المُقَدّس كاملاً آنذاك ومُنتشِراً بين الناس[٢] حتى يُزعَم أنّ مُعجزات النبي ﷺ مُستَمَدّة منه.

رابعاً: أمّا ذِكْرُ رسول الله ﷺ أموراً مُستَقْبليّة مثل ذِكْره عدد الخُلفاء، ومدّة الخلافة، وظهور أصحاب الرّايات السُّود، وظهور فِرَق خارجة عن أهل السُّنة والجماعة كالخوارج، فهذا من الإعجاز الغيبي حيث إن الإعجاز ينقسم إلى: الإخبار بأُمور ماضية وقعت، أو الإخبار بأُمور مُعاصِرة، أو الإخبار بأمور مُستَقبليّة لم تقع، وإخبار الرسول ﷺ بتلك الأمور هو من النّوع الثالث، وكان ينبغي أن يذكر روبسون صِدْقَ إخبار رسول الله ﷺ بالأمور التي أخبر بها وحدثت فعلاً، كالخلافة ومدّتها، وظهور الخوارج، وأما ظهور أصحاب الرّايات السّود فهذا مما سيحدُث في آخر الزّمان.

فالأجدر أن يُقرَّ روبسون بصِدْقَ حديث رسول الله ﷺ، لا أنْ يُبدي استغراباً من وجود تلك الأحاديث في صحيح البخاري.

خامساً: ذِكرُ رسول الله ﷺ لمُدن يزعم روبسون أنها لم تكن موجودة في عصره ﷺ دليلٌ على وَضْعِ الحديث لديه، وهذا يدلّ على عدم الموضوعيّة في البحث؛ إذ إنّ مصر قد بلغ عمر حضارتها خمسة آلاف عام، فحضارتها عُرِفَت على ما يزيد عن 3000 عام ق.م.[٣]، أي أنها موجودة قبل مجيء عيسى عليه السلام، كيف وموسى عليه السلام سكن مصر زمناً غير قليل؟! وهذا حتى ما يُثبِتُه الكتاب المُقَدَّس، أفنقول عندئذٍ: إنّ هذا دليلٌ على الوَضْع في

---

(١) للاستزادة في موضوع الإعجاز العلمي انظر: بوكاي، موريس، التوراة والإنجيل والقرآن بمقاييس العِلم الحديث، ترجمة علي الجوهري، مكتبة القرآن– القاهرة، (بدون رقم الطبعة والسنة)، وأيضاً: الحاج أحمد، يوسف، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسّنّة المُطَهّرة، مكتبة ابن حجر– دمشق، (بدون رقم الطبعة)، 2007م.

(٢) كما سيأتي في المبحث الثالث من هذا الفصل.

(٣) انظر:
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE_%D9%85%D8%B5%D8%B1

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكتاب المُقَدَّس؟! أم إنّ روبسون سيدّعي أن ذلك من الإعجاز بإخبار الكتاب عن أمور ماضية؟

وكذلك ذِكْرُ فارس [١]، وهو الاسم القديم لدولة إيران، وهي موطن الامبراطوريّة الفارسيّة، واستقرّ الفرس فيها وأصبحت موطنهم في القرن السابع قبل الميلاد، وسوريا، التي كانت معروفة باسم الشام، وقد كانت مأهولة بالسُّكّان منذ ما يزيد على 4000 عام ق. م.[٢]، والدَّيلم[٣] وهي بلاد الديلم أو بلاد جيلان واقعة في الجنوب الغربي من شاطئ بحر الخزر ، والبصرة، والمقصود بمدينة البصرة القديمة هي تلك المدينة التي بناها العرب بقيادة عتبة بن غزوان عند الفتح الإسلامي للعراق عام أربعة عشر للهجرة، الموافق لعام 636 للميلاد، حيث كانت في بداية الأمر معسكراً للجنود وسَكَناً لعوائلهم ليسهل عليهم التوجه إلى الفتوحات، ويقول المُؤرِّخون أنه تمّ بناؤها زمن نبوخذ نصر وتُدعى طريدون، وادعى آخرون إنها كانت مدينة آشورية، وقال آخرون بناها الأسكندر المقدوني لتكون انطلاقة لغزواته للهند[٤]، والقُسطنطينيّة، قد أُسِّسَت عام 658 ق. م.، وهي عاصمة الإمبراطورية الرّومانيّة[٥]، والقدس، التي كان أول تَجَمُّع سُكّاني فيها في القرن الثامن عشر قبل الميلاد [٦]، وقزوين[٧]، وبلاد التُّرك، فتلك مُدُن أُسِّست قبل زمن رسول الله ﷺ، وهذا مما يُثبته تاريخ تلك المُدن، كما أنها كانت مأهولة بالسُّكّان زمن النبي ﷺ وقد بعث النبي ﷺ إلى بعضٍ منها كتباً ليدعوهم بدعاية الإسلام، مما يُبطِل دعوى روبسون أنّ هذه الأحاديث موضوعة، وقد

---

(١) انظر:
http://arz.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D8%A7%D8%B1%D8%B3

(٢) انظر:
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE_%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7

(٣) انظر:
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D9%8A%D9%84%D9%85

(٤) انظر:
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B5%D8%B1%D8%A9

(٥) انظر:
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B3%D8%B7%D9%86%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9

(٦) انظر:
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D8%B3

(٧) مدينة مشهورة تقع على سفوح جبال البرز بإيران (غربي مدينة طهران). ينسب إليها عدد كبير من العلماء منهم محمد بن يزيد بن ماجه صاحب "السنن". وانظر: الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة، ط1، بدون السنة، ص118.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

احتاط المحدّثون في قبول الأحاديث الواردة في فضائل البلدان، إذ أنها قد تكون موضوعة على رسول الله ﷺ نتيجة العصبية للقبيلة والبلد، فرفض المحدثون كثيراً من تلك الأحاديث، كما أنّ معظمها قد أخرجه أصحاب السُّنن وخاصّة أبو داود وابن ماجه، وهما لم يشترطا الصّحّة في كتابَيْهما فلا مجال حينئذٍ أنْ يُغَضّ من قيمة الكتاب وقد أشار مُصنِّفوها أنهم لم يلتزموا الصّحّة.

سادساً: وإنّ روبسون لا يملك دليلاً على معيار ما يمكن أن يجده في الأوساط الشعبية وما يجده في المصادر الموثوقة، ثم لماذا يؤمن روبسون بمعجزات عيسى عليه السلام لوجودها في الإنجيل، ويُنكر على المسلمين ورود معجزات محمد ﷺ في صحيح البخاري؟

المطلب الثالث: موقف روبسون من صفات النبي ﷺ ومحبّة الناس له

اتّصف النبي ﷺ بالأخلاق والصّفات الحسنة، بل إنه عُرِفَ بكمال هذه الصّفات البشرية وعظمتها، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: 4]، وقد انتقد روبسون بعض هذه الصّفات وما نتج عنها من محبّة أصحابه ﷺ له، وكان أبرز هذه الانتقادات هي:

1 - وجود محبّة مفرطة من قِبَل الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ نفسه وحاجاته الخاصّة مثل شعره[١]، وعرقه، ونخامته، ويديه[٢]، وحتى إزاره[٣][١].

---

(١) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب الوضوء، الماء الذي يُغسل به شعر الإنسان، ج 1، ص358، رقم (170)، بلفظ: "عن عاصم عن ابن سيرين قال: قلتُ لِعَبِيدَةَ: عندنا من شَعَرِ النَّبِيِّ ﷺ أَصَبْنَاهُ من قِبَلِ أَنَسٍ أو من قِبَلِ أَهْلِ أَنَسٍ: فقال: لأنْ تكون عندي شَعَرَةٌ منه أَحَبُّ إِلَيَّ من الدُّنْيَا وما فيها".

(٢) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، ج6، ص690، رقم (3553)، بلفظ: "عَنْ الْحَكَمِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جُحَيْفَةَ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بالهاجرة إلى الْبَطْحَاءِ فتوضأ ثمّ صلّى الظُّهر رَكْعَتَيْنِ والعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ وبين يَدَيْهِ عَنَزَةٌ قَالَ شُعْبَةُ: وَزَادَ فِيهِ عَوْنٌ عن أبيه أبي جُحَيْفَةَ قال: كان يَمُرُّ من ورائها المرأة وقام النَّاسُ فَجَعلوا يأخُذون يَدَيْهِ فَيَمْسَحُونَ بها وُجُوهَهُمْ. قال: فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَوَضَعْتُهَا على وجهي فإذا هي أَبْرَدُ من الثَّلْجِ وَأَطْيَبُ رَائِحَةً من المِسْكِ".

(٣) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب الجنائز، باب غسل الميت ووضوئه بالماء والسدر، ج 3، ص161، رقم (1253) بلفظ: "عن أم عطيّة الأنصارية ل قالت: دخل علينا رسول الله ﷺ حين تُوُفِّيَت ابنته فقال: اغسِلْنها ثلاثاً أو خَمْساً أو أكثر من ذلك إن رأيتُنّ ذلك بماءٍ وسِدْرٍ، واجعلن في الآخرة كافوراً أو شيئاً من كافور. فإذا فَرَغتُنّ فآذِنّني. فلما فَرَغْنا آذنّاه، فأعطانا حِقْوَه فقال: أَشْعِرْنها إيّاه، تعني إزاره" ، كتاب الجنائز، باب ما يُستَحَب أن يُغسَل وتراً، ج 3، ص167، رقم (1254)، كتاب الجنائز، باب هل تُكَفَّن المرأة في إزار الرجل، ج 3، ص168، رقم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

2 -أن من صفات النبي ﷺ أنه لم يكن ينتقم لإساءات شخصيّة موجّهة له، وأن من صفاته الرحمة، ومع هذا عُرف بالقسوة والصرامة وذلك ظاهر من بعض المواقف [(٢)(٣)]، وهذا التّصوّر رسمه البخاري في صحيحه؛ مما يعني وجود تناقُض بين الصّفات[(٤)].

(1257)، كتاب الجنائز، باب يُجعَل الكافور في الأخيرة، ج3، ص169، رقم (1258)، كتاب الجنائز، باب كيف الإشعار للميت، ج 3، ص170، رقم (1261)، كتاب الجنائز، باب يُلقى شعر المرأة خلفها، ج 3، ص172، رقم (1263)، مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم ومعه المنهاج للنووي، كتاب في غسل الميت، ج7، ص6، رقم (2167)، نفس الباب، ص7، رقم (2168)، نفس الباب، ص7-8، رقم (2169)، نفس الباب، ص8، رقم (2170).

(١) "بعض الأحاديث تُعبّر عن حبٍّ مُفرِطٍ للنبي ولكل ما له علاقة به. فابن سيرين أخبر عبيدة أنه كانت لديه بعض شعرات من شعر النبي في حين أنّ عبيدة صرّح بأنه يُفضّل لو امتلك شعرة من هذه الشعرات على أن يمتلك العالم وما فيه. ويُروى عن أم سليم قولها بأنها جمعت بعض عرق النبي وشعره بينما كان نائماً وخلطته بنوع من أنواع العطور استُعمِلَ بعضه في تعطير أنس بن مالك. وعندما كان محمدٌ في الحديبية تأثّر عروة بن مسعود الذي زاره مندوباً عن قريش بالحب الشديد للنبي من قِبَل أتباعه. وأخبرَ كيف أنهم عندما كان يتنخَّم النبي كانوا يُمسِكون بالمُخاط ويمسَحون به وجوهَهم وجلودهم وقال بأنه زار ملوكاً لكنه لم يرَ منهم واحداً يحظى بالمحبّة التي حظي بها محمد. وهناك حديث آخر يُخبِر كيف أن الناس يأخذون بيدي النبي ويمسحون بهما وجوهَهم. كما أن القوّة نُسِبَت إلى ملابسه أيضاً، فإزاره استُعمِلَ كفناً لإحدى بناته. وهذا عبد الله بن أُبيّ أُعطي قميصه ليكون كفناً له".

المصدر: Robson, James, The Material of Tradition 1, p.175.

(٢) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب الديات، باب القِسامة، ج 12، ص286، رقم (6899) بلفظ: عن أنس ﷺ "أنّ نَفَراً من عُكل ثمانية قَدِموا على رسول الله ﷺ فبايعوه على الإسلام، فاستَوْخَموا الأرضَ فَسَقِمَت أجسامُهم، فَشَكَزا ذلك إلى رسول الله ﷺ، قال: أفلا تخرجون مع راعينا في إبِلِه فتُصيبون من ألبانها وأبوالها؟ قالوا: بلى، فَخَرَجوا فشَرِبوا من ألبانها وأبوالها فَصَحّوا فقتَلوا راعيَ رسول الله ﷺ وأَطْرَدوا النَّعَم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأرسلَ في آثارهم فأُدرِكوا، فجيءَ بهم، فأَمَر بهم فقُطِعَت أيديهم وأرجلهم وسَمَرَ أَعْيُنهم ثمّ نَبَذَهم في الشّمس حتى ماتوا. قلتُ: وأيُّ شيءٍ أشدُّ مما صنَعَ هؤلاء؟ ارتدّوا عن الإسلام وقتلوا وسَرَقوا".

(٣) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب الخصومات، باب ما يُذْكَرُ في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهود، ج5، ص89، رقم (2413) بلفظ: "عن أنس ﷺ أنّ يهوديّاً رضَّ رأسَ جاريةٍ بين حجرَين. قيل: مَن فعل هذا بكِ، أفُلانٌ أفُلانٌ؟ حتى سُمِّيَ اليهوديُّ فأومأت برأسِها، فأُخِذَ اليهوديُّ فاعترف، فأمر به النبي ﷺ فَرُضَّ رأسُه بين حجرَيْن".

(٤) ".. ولم يكن ينتقم لإساءات وُجِّهَت لشخصه إلا أن تكون الإساءة معصيةً لله. كان مع ذلك يستطيع أن يكون قاسياً في عقابه. هناك حكاية عن ثمانية رجال اعتنقوا الإسلام غير أنهم وجدوا مناخ المدينة غير صحّي ونصحهم محمد بالخروج منها مع الرجل الذي كان يرعى إبله. وعندما فعلوا ذلك واستعادوا صحّتهم قتلوا الرّاعي واستاقوا الإبل. ولما وردت الأنباء بذلك إلى محمد أرسل رجالاً في إثرهم ولما مثلوا بين يديه أمر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

3 -أن الصورة التي وُصف بها النبي ﷺ هي الصورة التي شعر بها المجتمع الإسلامي اللاحق ورسموها له[١].

يمكن مناقشة آراء روبسون عبر النقاط التالية:

أولاً: إنّ محبّة الرسول ﷺ واجبةٌ على المسلمين، ولا يتمّ إيمان المرء حتى يكون الرسول ﷺ أحبّ إليه مما سواه، فقد قال رسول الله ﷺ: "**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده والناس أجمعين**"[٢]، وهذا أمرٌ لم ينفرد الدّين الإسلامي به وإنما النّصارى على ذلك أيضاً، حيث ورد في الإنجيل: "مَن أحبَّ أباه أو أمَّه أكثر ممّا يُحِبُّني، فلا يَسْتَحِقُّني. ومن أحبَّ ابنَه أو بنتَهُ أكثرَ مما يُحِبُّني، فلا يَسْتَحِقُّني"[٣]، وهذا أمرٌ لا يُنافي العقل والمنطق وإنما يُوافقه، فلا يُمكن أن يُتَصَوَّر كمال الإخلاص في الدّين والإيمان إلا بمحبّة الرسول ﷺ، ومَن لم يكن كذلك فدينه يُخالِجه الشّك وعدم التّصديق مما يُنافي الإيمان.

ثانياً: إنّ محبّة الصّحابة ﷺ لرسول الله ﷺ محبّة موافقة للشّرع ولا تُخالِفه، وكانوا حريصين على الاحتفاظ بأَثَرٍ له للبركة، وهذا ضمن حدود الشّرع، كما كان ذلك في حياته

بقطع أيديهم وأرجلهم وقُلِعَت أعيُنُهم وتركهم مُستَلْقين في الشمس حتى فارقوا الحياة. هناك شرحٌ يُفيد بأنّ تلك كانت حادثة خطيرة جداً إذ أنّ الرجال كانا مُقتَرِفين لجريمة ثلاثيّة: الردة والقتل والسّرقة. وعلى صعيدٍ مُختَلِف، هناك قصّة يهودي أُحضِرَ إلى محمد كان متَّهماً بسحق رأس بنت بين حجرين وتمّ التّحقُّق من التّهمة فأمر محمد بجعل العقوبة تلائم الجريمة وسُحِقَ رأسه بين حجرَيْن. وهكذا في حين أنّ البخاري يُصوّر محمداً بأنه صبورٌ لطيف فإنه لا يتردّد في تصويره بأنه صارم أو حتى قاسٍ".

المصدر: Robson, James, The Material of Tradition 1, p.176.

(١) "إنّ ما قد تمّ وصفه هو، على كلّ حال، وصف كامل حتى لما تضمّنه البخاري ولكنه يجب أن يكون كافياً لإظهار مدى الاهتمام بالنبي. ونحن لا مبرّر لنا لأن نثق حتى بروايات تاريخية. كل ما نستطيع قوله هو أن صورة النبي المرسومة في الحديث إنما تُمَثّل ما شعر به المجتمع بأنه صحيح. والمادة معروضة كما لو أنها جاءت ضمن نظام رواية مُنَظّم من قِبَل شهود عيان، وعليه فإنها تُعطي انطباعاً بالمرجعية والموثوقية، ولكن إذا كنّا لا نرى بالضّرورة محمداً كما كان هو على صعيد الواقع فنحن نرى ما أصبح هو بيعنيه بالنسبة لأتباعه".

المصدر: Robson, James, The Material of Tradition 1, p.180.

(٢) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، ج 1، ص81، رقم (14) بزيادة: "فوالذي نفسي بيده"، ج 1، ص82، رقم (15) واللفظ له؛ وأخرجه: مسلم، ابن الحجاج، صحيح مسلم ومعه شرح النووي، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة الرسول ﷺ أكثر من الأهل والولد، ج 2، ص205، رقم (166) بلفظ: "لا يؤمن عبدٌ –وفي رواية عبد الوارث: رجلٌ–"، وأيضاً: المرجع السابق، ج2، ص206، رقم (167).

(٣) انظر ص 187 من هذا البحث.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ﷺ، وقد حذَّر النبي ﷺ من المُبالَغة في محبّته ﷺ، حيث قال: **(لا تُطروني كما أطرت النّصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله)** (١)، وذلك حِرصاً منه ﷺ على بقاء العبوديّة لله تعالى وحده وعدم انتقال تلك العبادة إلى البشر حتى ولو كانت له ﷺ.

ثالثاً: لقد كانت العقوبات تلائم الجريمة ولم تكن تزيد عنها وليس فيها تعدٍّ أو ظلم، وهذا من العدل الذي حقّقه النبي ﷺ، وهذا ما أمر الله تعالى به، والعقوبة بالمثل تؤدي إلى الزّجر والرّدع عن الاعتداء، و"إنّ عنصر القسوة من حيث ذاتها يُمثِّل الرُّكن الأساسي لمعنى العقوبة، فلو فُقِدَت القسوة فقدت معها العقوبة دون شكّ" (٢)، ودرجة الجريمة هي التي تُحدِّد درجة العقاب، فكُلّما عَظُمَت اشتدّ العقاب وكلّما قلّت كان العقاب أهون، ثم إنّ الادّعاء بقسوة العقاب هو ادّعاء من شخص ينظر إلى الموضوع من زاوية شخصية دون الالتفات إلى نظرة المُشرِّع لها وتقويمه لها، كما أنّ الجهل بالأسلوب التربوي الإسلامي يؤدّي إلى إصدار تصوُّرات خاطئة على أحكام الشريعة الإسلامية، فإنّ معرفة درجات هذه العقوبات هو بحدّ ذاته أسلوبٌ تربويٌّ وقائيٌّ أكثر من أن يكون عَمَلاً انتقاميّاً أو علاجيّاً بعد الوقوع، وتبرز هذه الحقيقة عند الملاحظة أن الشريعة الإسلامية رغم أنها تُجيز الاعتماد على قرائن الأحوال في القضايا المالية ونحوها، فإنها لا تُجيز ذلك في الحدود وإنما ينبغي الحكم بالبيّنات المنصوص عليها، وإن لم تتكامل البيّنات لم تَجُز إقامة الحدّ مهما تكاثرت قرائن الأحوال أو حتى اقتنع القاضي بإثبات الجُرم للشّخص، وذلك تضييقاً لسبيل الحدود إلى المُتّهم، وإبعاداً له عنها ما أمكن ذلك(٣).

وفي الحادثة الأولى التي استدلّ بها روبسون وهي حادثة الرجال الذين ارتدّوا وسَرَقوا وقتلوا، فقد كانت الجريمة ثُلاثيّة، وجاء عقاب النبي ﷺ لهم على قَدْرِ جريمتهم.

والمُرتكبون لهذه الجرائم لا يستحقّون عطفاً ولا رحمة، فعوقِبوا بما فعلوه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ [النحل: 126]، فالرّدّة أمرٌ خطير يتضمّن التلاعُب بالأديان، فيعتنق الشّخص ديناً ثمّ يتحوّل عنه غداً، مما يعني عدم احترامه لله تعالى

---

(١) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم: 16]، ج6، ص583، رقم (3445)، كتاب الحدود، باب رجم الحُبلى من الزنا إذا أُحصِنَت، ج 12، ص177، رقم (6830) بنفس اللفظ.

(٢) البوطي، محمد سعيد رمضان، التّعرُّف على الذات: هو الطريق المُعبّد إلى الإسلام، دار الفكر- دمشق، ط2- 2009، ص119.

(٣) المرجع السابق، ص119- 122.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي آمَنَ به بمحض إرادته، وللرّسول ﷺ الذي شهد بنبوّته، وقتلُ المُرتدّ أمرٌ طبيعيٌّ، إذْ إنّ أي نظام يسعى لحماية أركانه من كلّ ما شأنه زعزعة هذا النّظام، والرّدّة تُعتَبَر بمثابة ثورة على النظام الإسلامي وخروجاً عنه، وحتى في القوانين المَدَنيّة يُعاقَب الخارج على النّظام بالقتل، ويُعطي الإسلام فُرصة للمُرتَدّ بالاستتابة فإن تاب عُفِيَ عنه، وإلا فيُقتَل(١).

الردة لغة : الرجوع . قال تعالى : (وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ) [المائدة : 21]. أي لا ترجعوا –والردة في الاصطلاح الفقهي: هي الكفر بعد الإسلام– قال تعالى: (وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [البقرة: 217].

ليس الإسلام في المجتمع المسلم فلسفة نظرية ولا رؤية اجتهادية مؤقتة، إنه خيار المجتمع كله فكراً ونظام حياة، والمجتمع المسلم يقوم أول ما يقوم على العقيدة والإيمان. فالعقيدة أساس هويته ومحور حياته وروح وجوده، ولهذا لا يسمح لأحد أن ينال من هذا الأساس أو يمس هذه الهوية. ومن هنا كانت الردة المعلنة كبرى الجرائم فى نظر الإسلام لأنها خطر على شخصية المجتمع وكيانه المعنوى، وخطرعلى الضرورة الأولى من الضرورات الخمس "الدين والنفس والنسل والعقل والمال". فإذا ارتد فرد بعد الدخول في الإسلام فإنه يكون مسيئاً إلى الإسلام وداعياً للتفلت منه ومعادياً للمجتمع، وعادة ما يفعل هذا عملاء لأعداء الأمة أو متربصون بها شراً. فالارتداد في المجتمع المسلم هو في حقيقته خروج عليه وإضرارٌ به، ولهذا قال ﷺ في حديث: "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، وذكر منهم: "والتارك لدينه المفارق للجماعة" رواه البخاري(6878)، ومسلم(1676) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه فقرن الردة بمفارقة الجماعة، ولهذا المرتد الذي لا يعلن ارتداده ولا يدعو إليه لا يعاقب، والمنافقون –وهم كفار لم يعلنوا كفرهم– كانوا يعيشون مع الرسول ﷺ وصحابته رضي الله عنهم وهم معروفون له، وبعضهم معروف لكثير من الصحابة من خلال فلتات ألسنتهم أو مواقفهم ولم يعاقبوا على نفاقهم(٢).

أما الذي الذى يرتد عن الإسلام ويجهر بذلك فإنه يكون عدوًّا للإسلام والمسلمين ويعلن حرباً على الإسلام والمسلمين ولا عجب أن يفرض الإسلام قتل المرتد، فإن كل نظام فى العالم حتى الذى لا ينتمي لأى دين تنص قوانينه أن الخارج عن النظام العام له عقوبة

---

(١) شلبي، أحمد، الاستشراق: تاريخه وأهدافه.. شبهات المستشرقين ضد الإسلام مناقشتها وردها، ص 96–98.

(٢) العبد اللطيف، عبد العزيز بن محمد، نواقض الإيمان القولية والعملية، دار الوطن– الرياض، ط 2، (بدون السنة)، ص47–50..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القتل لا غير فيما يسمونه بالخيانة العظمى. فإذا كان الشخص مسلماً لله تعالى والتزم بدين الله تعالى فأبى إلا أن ينسلخ من الهدى، ويتلبس بالضلال، فيمرق من الحق والنور إلى الباطل والظلمات، فهذا مرتد عن دين الإسلام، ناقض لعقد الإيمان. وإذا كانت قوانين البشر -مع ما فيها من القصور والتناقض والاضطراب- توجب مخالفتها الجزاءات والعقوبات؛ فكيف بمناقضة شرع الله تعالى والانسلاخ من حكمه وهو أفضل الأحكام على الإطلاق؟[١].

وهذا الذي يرتد عن الإسلام في معالنة وجهر بارتداده، إنما يعلن بهذا حرباً على الإسلام ويرفع راية الضلال ويدعو إليها المنفلتين من غير أهل الإسلام وهو بهذا محارب للمسلمين يؤخذ بما يؤخذ به المحاربون لدين الله.

والإسلام لا يقبل أن يكون الدين ألعوبة يُدخل فيه اليوم ويُخرج منه غداً على طريقة بعض اليهود الذين قالوا: (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) [آل عمران: 72].

والردة عن الإسلام ليست فكراً، بل هي تغيير للولاء وتبديل للهوية وتحويل للانتماء. فالمرتد ينقل ولاءه وانتماءه من أمة إلى أمة أخرى فهو يخلع نفسه من أمة الإسلام التي كان عضواً في جسدها ويميل بعقله وقلبه وإرادته إلى خصومها.

إن التهاون في عقوبة المرتد يعرض المجتمع كله للخطر ويفتح عليه باب فتنة لا يعلم عواقبها إلا الله سبحانه. فلا يلبث المرتد أن يغرر بغيره، وخصوصاً من الضعفاء والبسطاء من الناس، وتتكون جماعة مناوئة للأمة تستبيح لنفسها الاستعانة بأعداء الأمة عليها. ولقد شرع الله تعالى إقامة الحدود، ومنها: حد الردة تحقيقاً لأهم مقاصد الشريعة وهو حفظ الدين، وهو سبحانه الحكيم في شرعه، الرحيم بعباده، العليم بما يصلح أحوال خلقه في معاشهم ومعادهم.

إنّ الإسلام يُعطي غير المُسلم مساحة كبيرة من الحرّية والأمان والاستقرار داخل الدّولة الإسلامية، ولا يُنكِر على المرء حُرّية التّديُّن، وهذا لا يُنافي مسألة ضبط النّظام في الدولة الإسلامية والحِفاظ عليه.

والسّرقة كذلك تتضمّن سلب السّارق ما ليس له فيه حقّ، وهذا اعتداء على الغير وترويع له وللنّاس، وعقوبة السّرقة فيها ردعٌ وَزَجْرٌ عن مُعاودة ارتكاب السّرقة لكلّ مَن تُسَوِّل له نفسه بذلك.

---

(١) المرجع السابق، ص47-50.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما القتل، فهو إزهاق نفسٍ بغير وجه حقّ، فيستحقّ مُرتَكِبها أن يُعاقَب بالمِثل، والإسلام يسعى للحفاظ على الكُلّيّات الخمس، وهي: الدين، والنّفس، والعِرْض، والعقل، والمال، وأي اعتداء على إحداها يُعاقَب بشدّة.

والحادثة الثّانية التي ذَكَرَها روبسون، وهي حادثة اليهوديّ الذي رضّ رأس بنتٍ بين حجرَيْن، فعُوقِبَ بالمِثْل، لاستحقاقه العقوبة بجُرمه.

رابعاً: إن نظرة المسلمين إلى النبي ﷺ، مبنيّة على الواقع الآتي من الرسول ﷺ نفسه ومن صحابته الكرام، ومما أخبر به الله تعالى عنه في كتابه الكريم، كما تمّ نقد هذه الروايات وتمييزها، فهي ليست معتمدة على مخطوطات كُتِبَت بعد زمن الحَدَث بقرون كما في العهدين القديم والجديد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: موقف روبسون من الصحابة ﷺ

المطلب الأول: موقف روبسون من عائشة ﵂

ذكر روبسون موقفَين واستدلّ بهما على الاستهزاء برسول الله ﷺ؛ الأول منهما عن عائشة ﵂، وهو: "**ذات يوم أخبر محمد عائشة بأنّ جبريل كان حاضراً وحيّاها فردّت بأدبٍ ثم قالت لمحمد: أنتَ ترى ما لا أرى. كما أنه يكاد المرء يتخيّل بأنّ هذه الملاحظة كانت تهكّميّة**"(١).

اعتبر روبسون قول عائشة ﵂ للنبي ﷺ: "ترى ما لا أرى" دليلاً على تَهكّمها ﵂ برسول الله ﷺ -معاذ الله أن تكون كذلك-، وكلامه هذا ينطوي على عدة أمور: اتّهامه لرسول الله ﷺ بالتّوهُّم برؤية أمورٍ لا يراها غيره وحاشاه ﷺ أن يكون كذلك على اعتبار أنه رأى ما لم يره بشرٌ غيره، وإنكاره لنبوّة محمد ﷺ، وأنّ أقرب الناس إليه قد ألمحوا بأنه شخصٌ يتوهّم.

أولاً: الحديث هو: عن أبي سلَمة عن عائشة ﵂: "**أنّ النبي ﷺ قال لها: يا عائشة، هذا جبريل يَقرأ عليكِ السّلام، فقلتُ: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى. تُريد النبيّ ﷺ**"(٢).

ثانياً: هذا الزّعم قد أثارَه مُشرِكو مكة وقد قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾ [الدُّخان: 14]، ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢ ۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [المؤمنون: 70]، ﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم ﴾ [سبأ: 46]، ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ ﴾ [الحِجْر: 6].

ثالثاً: إنّ رؤية روبسون لهذه الحادثة على هذا النّحو يدلُّ على نزعة الشّك عنده، وعلى غلَبة الرُّؤية المادّيّة عليه وعدم إيمانه بالمُغيَّبات، إذ ما المانع أنْ يرى رسول الله ﷺ جبريل ﵇ وهو نبيّ من عند الله تعالى.

رابعاً: إن كان الرّسول ﷺ يتوهَّم أموراً وحاشاه ذلك، فكيف إذاً استطاع إيصال أعظم رسالة في التاريخ وهي رسالة الإسلام، وكيف انتشر الدّين وثبت طوال أكثر من أربعة عشر قرناً؟

---

(١) Robson, James, The Material of Tradition 1, p.178.

(٢) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب بدء الخلق، باب ذِكر الملائكة، ج 6، ص367، رقم (3217)، مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم ومعه المنهاج للنووي، كتاب فضائل الصّحابة، باب في فضل عائشة ﵂، ج15، ص208، رقم (6254)، بلفظ: "وهو يرى ما لا أرى".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خامساً: إن كانت عائشة رضي الله عنها تُريد التَّهَكُّم بالرسول ﷺ فلماذا استجابت وردّت التّحيّة بأدبٍ؟ فالأولى أنْ لا تستجيب لكلام شخصٍ يتوهّم ما ليس حقيقيّاً.

سادساً: يعتقد النّصارى أن جبريل عليه السلام قد نزل على عيسى عليه السلام، فلماذا يُنكِرُ على المُسلمين الإيمان بنزول جبريل عليه السلام على محمد ﷺ ؟

سابعاً: لم يستند روبسون إلى دليلٍ علميٍّ ليُثبِتَ إنكاره لنبوّة محمد ﷺ، "أيقولُ إنّ الله موجود لكنه لا يُرسِلُ رُسُلاً ولا يُنزّل كُتُباً ولا يُوحي إلى مخلوق؟ أم يقول إنّ الوحي الذي ادّعاه محمد ﷺ مُخالفٌ لوحي الأنبياء قبله؟ أم يقول إنّ الرّسالة التي جاء بها لا يُمكن أن تكون من عند الله؟"(١)، إلا أنّ روبسون لم يُبيّن أيّاً من هذا سبباً لإنكاره النُّبُوّة.

ثامناً: لم يُعرَف عنه ﷺ إلا الأمانة والصّدق والاستقامة حتى قبل بعثته، فلماذا لا يُشهَدُ له بذلك بعد البعثة فلا يصدَّق بأنه يرى جبريل عليه السلام؟!

تاسعاً: قد كفانا روبسون –من فمه– معظم عناء الردّ عليه، وذلك بقوله: " يكاد المرء **يتخيّل**"! فليُنظر –إذاً– مبلغُ الثقة بعلميَّةِ نظريات من يضيف إلى ما في تكوينه الفكري من نزوعٍ إلى الشّك، وغلَبة الرُّؤية المادّيّة، منهجَ " التخيُّل"!.

المطلب الثاني: موقف روبسون من عمر بن الخطاب رضي الله عنه

والحادثة الثانية التي ذَكَرها روبسون ليستدلّ بها على التّشكيك في محبة صحابته رضي الله عنهم له ﷺ، لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهي: "**... قال ابن عباس أنه لما اشتدّ وجع النبي دعا بأدوات الكتابة ليكتب لأتباعه كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً. ولكن عمر في معرِض تذكيره بأنّ النبي قد غلبه الوجع قال بأنهم يمتلكون كتاب الله الذي كان كافياً بالنسبة لهم. وعلى الفَور نشب نزاعٌ حيث علَت أصواتٌ مما جعل النبي يأمرهم بالخروج من عنده. وابن عباس تأسَّفَ لسوء الطّالع الذي حال دون كتابة الكتاب. غير أنّ القصّة توحي بأنّ عمر قد شعر بأنه كفؤٌ لأن يفرض كلمته على النبي**"(٢).

يستدلّ روبسون من الحادثة على أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه استطاع أن يفرِضَ رأيه على النبي ﷺ في عدم ضرورة كتابته الكتاب.

أولاً: وفيما يتعلّق بحادثة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإن الرواية أخرجها البخاري بلفظ: "**عن ابن عباس قال: لمّا اشتدّ بالنّبي ﷺ وجعُه قال: ائتوني بكتابٍ أكتبْ لكم كتاباً لا تَضِلّوا بعده. قال عمر: إنّ النبي ﷺ غلبه الوجع، وعندنا كتابُ الله حسبُنا. فاختلفوا، وكَثُرَ اللغَطُ.**

---

(١) مراد، يحيى، افتراءات المستشرقين على الإسلام، ص347.

(٢) Robson, James, Tradition- The Second Foundation of Islam, p.25-26.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال: قوموا عنّي، ولا ينبغي عندي التّنازُع. فخرج ابنُ عباس يقول: إنّ الرّزيّة كلّ الرّزيّة ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه"(١).

وقد قال العلماء في شرحهم للحديث:

1 –قال ابن حجر: "شقّ على رسول الله ﷺ مباشرة الكتابة لغلبة المرض، لكن ظهر لعمر رضي الله عنه مع طائفة من الناس أنّ أمر رسول الله ﷺ لا يُحمَلُ على الوجوب، وإنما أراد ﷺ إرشادَهم إلى الأصلح فكرهوا أن يُكلِّفوه من ذلك ما يشقّ عليه في تلك الحالة مع استحضارهم قوله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: 38]، وقوله تعالى: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل: 89]، ولهذا قال عمر رضي الله عنه: حسبنا كتاب الله. وظهر لطائفة أخرى أنّ الأولى أن يكتب لما فيه من امتثال أمره وما تتضمّنه من زيادة الإيضاح، ودلّ أمره لهم بالقيام على أنّ أمره الأول كان على الاختيار، ولهذا عاش ﷺ بعد ذلك أياماً ولم يُعاوِد أمرهم بذلك، ولو كان واجباً لم يتركه لاختلافهم لأنه لم يترك التّبليغ لمخالفة مَن خالف، وقد كان الصّحابة يُراجعونه في بعض الأمور ما لم يجزم بالأمر، فإذا عَزَم امتثلوا.. وقد عُدّ هذا من موافقة عمر رضي الله عنه"(٢).

2 –قال الخطابي: "إنما ذهب عمر إلى أنه لو نصّ بما يُزيل الخلاف لبطلت فضيلة العلماء وعُدِم الاجتهاد. وتعقّبه ابن الجوزي بأنه لو نصّ على شيء أو أشياء لم يبطل الاجتهاد لأنّ الحوادث لا يُمكن حصرها. قال: وإنما خاف عمر أن يكون ما يكتبه في حالة غلبة المرض فيجد بذلك المنافقون سبيلاً إلى الطعن في ذلك المكتوب"(٣).

3 –قال القرطبي: واختلافهم في ذلك كاختلافهم في قوله لهم: "**لا يُصَلّيَنّ أحدٌ العصر إلا في بني قريظة**" فتخوّف ناسٌ فوت الوقت فصلوا، وتمسّك آخرون بظاهر الأمر فلم يُصلّوا، فما عنّفَ أحداً منهم من أجل الإجتهاد المُسوّغ والمقصد الصالح. والله أعلم"(٤).

---

(١) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ج 1، ص275، رقم (114)، مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم ومعه المنهاج للنووي، كتاب الوصيّة، باب ترك الوصيّة لمَن ليس له شيء يوصي فيه، ج 11، ص94- 95، رقم (4208) مع اختلاف اللفظ، ص 96، رقم (4209) مع اختلاف اللفظ، ص 96- 97، رقم (4210) بلفظ البخاري.

(٢) العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم، ج1، ص276.

(٣) المرجع السابق، ج1، ص276.

(٤) المرجع السابق، ج1، ص276.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً: إنّ هذه الحادثة لا تُشير أبداً أنّ عمر ﷺ منع النبي ﷺ من كتابة الكتاب، وإنما قصد أنّ هذا الدّين قد تمّ بما لدينا من الكتاب والسّنّة.

ثالثاً: لو تمّت كتابة الكتاب والرسول ﷺ يُعاني من وجعه لادّعى روبسون وغيره من المستشرقين أنّ النبي ﷺ قد كتب الكتاب وهو ليس في حالة تسمح له بذلك، مما يستدعي من المُستَشرقين الشّكّ فيما كان سيكتبه!

رابعاً: لو كان أمرُ الكتاب مهمّاً بحيث تتوقّف عليه أمور لَمَا استجاب رسول الله ﷺ لرأي عمر ﷺ وترك كتابة الكتاب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث: دعوى تأثر الكتب الستة بالتوراة والإنجيل

اعتنى المستشرقون بدراسة متون الأحاديث عناية كبيرة، و أثار وانتقادات متنوعة عليها، وكان الانتقاد الرئيس لهذه المتون أنها تعتمد على مصادر كثيرة وأن الكتاب المقدس يُعدُّ المصدر الأساسي لهذه المتون، وهذه المزاعم ظهرت مبكراً منذ أن بدأ المستشرقون بدراسة الحديث النبوي، وتبنّى المستشرق جيمس روبسون هذه المزاعم وسعى إلى التدليل عليها من خلال استحضار الأمثلة المتشابه من أحاديث الكتب الستة والكتاب المقدّس.

ولقد برهن روبسون على هذه الدعوى من خلال الأمور الآتية:

1 -اطّلاع الرسول ﷺ على الكتاب المُقَدَّس.

2 -حثّ الرسول ﷺ على الأخذ والتحديث عن بني إسرائيل.

3 -الاقتباس اللفظي والمعنوي من نصوص الكتاب المُقَدَّس.

المطلب الأول: اطّلاع النبي ﷺ على الكتاب المُقَدَّس واستقاء الحديث من مصادر أخرى

يرى روبسون أنّ النبي ﷺ هو مخترع الحديث –حسب زعمه–، قد اطّلع على الكتاب المُقَدَّس وأنه على علم بالإنجيل ولغته، حيث قال:

"من الواضح الذي لا لبس فيه أنّ هذه الأحاديث تجد مصدرها في الإنجيل على الرغم من أنها غالباً ما توحي بالإطلاع عليها اطّلاعاً غير مباشر. ولكن في مواضع معيّنة تبدو المعرفة المباشرة بلغة الإنجيل. ويبدو بأنّ الأحاديث نفسها أدركت الاتجاه نحو الأخذ من المصادر غير الإسلامية حيث إن هناك أحاديث تتكلّم عن الموضوع"[١].

يتبيّن من مقولة روبسون أنه يرى أنّ النبي ﷺ قد اطّلع على الإنجيل وأخذ منه بأسلوب مباشر أو غير مباشر ما يحتاجه، وهذا واضح من خلال التشابه الحاصل بين بعض الأحاديث ونصوصٍ من الإنجيل.

ويمكن مناقشة هذه المزاعم من خلال النقاط التالية:

أولاً: ثبت لنا أنّ الرسول ﷺ أمي ولم يكتب أبداً من خلال الآيات القرآنية وسيرته ﷺ قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ [الأعراف: 57]، وهذه الآيۃ تُثبِت أن النبي ﷺ كان أمّيّاً لا يقرأ ولا يكتب فكيف أمكن له الاطلاع على الكتاب المقدس وهو مكتوب بلغات غير العربية –السريانية واليونانية واللاتينية والعبرية والقبطية–.

---

(١) Robson, James, The Material of Tradition 2, p.266.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً: نهى النبي ﷺ الصحابة ﵃ أن يطلعوا على ما توفر –في وقتهم– من نصوص من الكتاب المقدس(١)، ولا يمكن أن يقوم بما نهى عنه من الإطلاع.

ثالثاً: اتّهم المُشرِكون رسول الله ﷺ بأن أحداً علّمه القرآن وألّفه معه، وقد قال الله تعالى في ذلك: قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الحاقّة: 40–43].

ثالثاً: إن أول نسخة مترجمة من الكتاب المقدس إلى اللغة العربية كانت سنة 867م(٢).

رابعاً: إنّ مواطن انتشار المسيحية في ذلك الوقت، كانت بعيدة عن الجزيرة العربية التي شهدت نبوّة محمد ﷺ مما يبطل دعوى تأثيرها على الإسلام(٣).

خامساً: كانت الوثنيّة هي السّائدة في مكة أثناء بعثة النبي ﷺ، وليس المسيحية أو اليهودية، ورغم ذلك فإنّ قلّة اعتنقت المسيحيّة في الجزيرة العربية منهم: أمية بن الصّلت، وورقة بن نوفل، وعثمان بن الحويرث، ومنهم من التزم الحنيفية وهي دين إبراهيم ﵇، مثل: قسّ بن ساعدة الإيادي، كعب بن لؤي، زيد بن عمرو بن نُفَيل، وبالتأكيد كان خطرهم على الوثنية أكبر، فكيف يُتَصَوَّر تأثير مَن عاصر منهم محمد ﷺ على الدين الإسلامي، مع أنّ مَن لقي الرسول ﷺ منهم لم يلبث أن توفي؟ فهل يُعقَل أن يُقال مثلاً إنه في فترة لقائه بالنبي ﷺ لقّنه هذا الدّين وأُسسه؟(٤).

سادساً: إنّ حديث روبسون وغيره من المُستَشرقين عن مواطن انتشار المسيحية واليهودية وتأثيرها على الدين الإسلامي غير مُعتَبَر، حيث كانت هذه المواطن بعيدة عن مكان مبعثه ﷺ، ورغم احتكاك العرب بالنصارى في الشام واليمن في الرّحلات التجارية فلم يرد إلينا خبر انتشار المسيحية في الجزيرة العربية كما هي الوثنيّة التي كانت سائدة، وحتى

---

(١) أخرج البخاري في الصحيح عن أبي هريرة ﵁ قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: 136]، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء"، ج13، ص407، حديث رقم (7362).

(٢) حيث إنه في عام 639م، يروي النصارى أن عمر بن أبي وقاص طلب من البطريرك اليعقوبي يوحنا أن يضع ترجمة الإنجيل باللغة العربية، وتم تقريباً وضعه في ذلك العام، وتُعتبر أقدم ترجمة عربية معروفة للكتاب المقدس كاملاً سنة 867م. انظر: جمعية الكتاب المقدس– مجلس كنائس الشرق الأوسط، المرشد إلى الكتاب المقدس، ص 79.

(٣) انظر: شايب، لخضر، نبوّة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المُعاصِر، ص374.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص376.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مسيحيّو نجران أو يهود يثرب لم يذكر التاريخ عن ميولٍ تبشيريّة لهم، فلم يكونوا عاملاً في التأثير على العرب في الجزيرة العربية، وبقاء استعمال اللغة السريانية –أو غيرها من لغات الكتاب المُقَدَّس في ذلك الوقت– مع عدم وجود ترجمة عربية خالِصة له، وقف حائلاً دون نشر الديانتَيْن في الجزيرة العربية، لذا فبقيت توجُّهات العرب نحو الوثنية هي الأكبر(١).

سابعاً: يتّضح أنّ روبسون يزعم أنّ مصادر النبي محمد ﷺ الدينيّة هي: عوامل تأثير الأديان الأخرى وخاصة اليهودية والمسيحية، والعوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي أثّرت على تشريعه وثورته على الأوضاع السائدة، وقد تم بيان بُطلان هذه الدّعاوى(٢).

المطلب الثاني: حثّ الرّسول ﷺ على الأخذ والتحديث عن بني إسرائيل

ورد عن الرسول ﷺ حديثٌ يحثّ فيه المسلمين على التحديث عن بني إسرائيل، حيث قال الرسول ﷺ: "**حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**"(٣).

واعتبر روبسون هذا الحديث دليلاً على أنّ المسلمين أخذوا نصوصاً من الكتاب المُقَدَّس وحدّثوا بها باعتبارها أحاديث واردة على لسان النبي ﷺ، ويقول جيمس روبسون في هذا الشأن:

"... وفي أحد الأحاديث يرد فيها قول النبي: حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" وفي حديثٍ آخر يقول محمد "لتّتبعنّ سنن مَن كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتّى لو سلكوا جُحْر ضبٍّ لسلكتموه. فَسُئِلَ: هل هم اليهود والنّصارى. فأجابهم: فمن غيرهم" (٤). **هذا الحديث يُظهر انطباعاً بعدم الرّضى غير أنّ الأوّل يضع تأكيداً واضحاً على جواز الاقتباس من اليهود على الأقل. ومع ذلك، ورغم أنّ البخاري ومسلماً كليهما يورد الحديث**

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص380.

(٢) انظر ص191 وما بعدها من هذا البحث.

(٣) أخرجه: البخاري بلفظ "بلّغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوا مقعده من النار"، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري، كتاب الأنبياء، باب ما ذُكر عن بني إسرائيل، ج6، ص606، حديث رقم (3461).

(٤) أخرجه البخاري بلفظ: "لتتبعن سنن قد كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا حجر ضب لسلكتموه قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن"، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ج 6، ص605، حديث رقم (3456)، وأيضاً كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: "لتتبعن سنن من كان قبلكم" ج 13، ص367، حديث رقم (7320)؛ مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم ومعه شرح النووي، كتاب العلم، باب إتباع سنن اليهود والنصارى، ج16، ص436، حديث رقم (6723) بلفظ: "حتى لو دخلوا جُحْر ضَبٍّ لاتّبَعتموهم".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثاني من الحديثَيْن المذكورَيْن فإنّ عدداً من الأحاديث الإلهيّة موجودة في كتابيْهما بما فيه بعض تلك التي تجيء بشكل واضح من مصادر إنجيليّة"[١].

يتحدث روبسون عن حديثين الأول منهما يرغّب في التّحديث عن بني إسرائيل واعتبره روبسون دليلاً واضحاً لا شك فيه على أنّ النبي ﷺ شجّع على الأخذ والاقتباس من اليهود ولهذا يظهر جلياً من خلال الأمثلة المتشابهة بين الحديث والكتاب المقدس [٢]، بينما يُظهر الحديث الثاني عدم الرّضى عن الأخذ عن اليهود والنّصارى.

ويمكن تجلية المسألة عبر النّقاط التالية:

أولاً: ذَكَر روبسون جزءاً من الحديث الأول بما يتناسب مع أفكاره، ولم يذكر الحديث تامّاً كما ورد عن النبي ﷺ: "**بلّغوا عني ولو آية وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومَن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النّار**"، وهذه المقاطع الثلاثة من الحديث الشريف تترابط في قضيّة البلاغ ثم التّحذير من الكذب على لسان رسول الله ﷺ؛ فيكون معنى الحديث من حيث بيان ما ينبغي التّحدُّث به: تبليغ القرآن، تبليغ السّنّة مع الحذر من نقلها بالكذب، والحديث عن بني إسرائيل فيما يتّفق مع عموميات الإسلام لأنه لا سبيل إلى معرفة الصّحيح والكذب عندهم.

ثانياً: ولا بدّ من بيان أقوال العلماء وشرحهم للحديث حتى نقف على المقصود والصّحيح من قول النبي ﷺ:

أ - قال ابن حجر: "أي لا ضيق عليكم في الحديث عنهم لأنه كان تقدّمَ منه ﷺ الزّجر عن الأخذ عنهم والنّظر في كتبهم ثمّ حصل التوسّع في ذلك، لِما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار"[٣].

ب - وقال مالك: "المراد جواز التحدّث عنهم بما كان من أمرٍ حسن، أمّا ما عُلِمَ كذبه فلا"[٤].

ت - وقال الشافعي: "من المعلوم أنّ النبي ﷺ لا يُجيز التحدّث بالكذب، فالمعنى حدّثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجوّزونه فلا حرج عليكم في التّحدّث به عنهم وهو

---

(١) Robson, James, The Material of Tradition 2, p.266.

(٢) هذا ما سوف تتمُّ مناقشته في المطلب الثالث.

(٣) العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكِرَ عن بني إسرائيل، ج6، ص609، حديث رقم (3461).

(٤) المرجع السابق، ج 6، ص609، حديث رقم (3461)، العيني، أبو محمد محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ضبطه وصحّحه: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2001م، ج16، ص63.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نظير قوله: "**إذا حدّثكم أهل الكتاب فلا تُصدِّقوهم ولا تُكذِّبوهم**" ولم يرد الإذن ولا المنع من التحدّث بما يقطع بصدقه"(١).

ث- قال أبو حاتم ابن حبان: "حدّثوا عن بني إسرائيل ما في الكتاب والسنة من غير حرج يلزمكم فيه"(٢).

ج- قال الخطابي: "ليس معناه إباحة الكذب في أخبار بني إسرائيل ورفع الحرج عمن نقل عنهم الكذب ولكن معناه الرخصة في الحديث عنهم على معنى البلاغ وإن لم يتحقق صحة ذلك بنقل الإسناد وذلك لأنه أمر قد تعذر في أخبارهم لبعد المسافة وطول المدة ووقوع المدة بين زماني النبوة، وفيه دليل على أن الحديث لا يجوز عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بنقل الإسناد والتثبت فيه"(٣).

ثالثاً: حكم رواية الإسرائيليات:

أخبارهم على ثلاثة أقسام: **القسم الأول:** ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله. **القسم الثاني:** ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضا. **القسم الثالث:** ما هو مسكوت عنه فهو المأذون في روايته بقوله عليه الصلاة والسلام حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج وهو الذي لا يصدق ولا يكذب لقوله: (فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم)، وما حدث به من صحابي أو تابعي (٤). وأنا أرى أننا لسنا بحاجة لرواية الاسرائيليات بتاتاً، فلدينا ما يُغنينا عن ذلك.

وعند اليهود الإسرائيليات هي: مجموعات "المعلّمين" وهي مجموعات متنوّعة واسعة من الكتب، تنتمي إلى أزمنة مختلفة، ولمعظمها طابع تشريعي، أخذت في الانتشار بعد خراب القدس سنة 70م. ويُدعى روّاد هذه الحركة "مُعَلِّمين"، وهم خلفة الكَتَبَة، وينقسمون

---

(١) العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكِرَ عن بني إسرائيل، ج6، ص609، حديث رقم (3461). أخرجه: أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، كتاب العلم، باب رواية حديث أهل الكتاب ، ص 314، برقم (3644). وضعَّفه الألباني. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، صحيح ابن حبان، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط 1، 1991م، كتاب التاريخ، باب بدء الخلق، ج 14، ص149، حديث رقم (6256).

(٣) أبو الطيب، محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود، ضبط وتحقيق: عبد الرحمن عثمان، دار الفكر، (بدون بلد النشر ورقم الطبعة والسنة)، ج10، ص69.

(٤) المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، ج8، ص370.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى فئتين: الثّنائيم (المُعيدين)، ظهرت ما بين سنة 70م وحتى سنة 200م، ومعظمهم فلسطينيون، والفئة الثانية هي الأمورائيم (المتكلّمين)، وظهروا في المدة الواقعة ما بين سنة 200م إلى 500م، وهم فلسطينيون وبابليّون، وقد كان للب ابليّين المنزلة البارزة في هذا الشأن(١). وهذه الكتب هي:

أولاً: الترجمات (Targums): وهي ترجمة التوراة وتفسيرها إلى اللغة الآرامية، وقد بدأ نشاط الترجمة قبل المسيح بقرون، وكانت مقتصرة على التناقُل الشّفوي مدة طويلة، ثم بدأ التدوين نحو القرن األول الميلادي أو بعده، وكانت هذه الترجمات تفسيريّة وليست حرفيّة، وكانت تُحاول تطبيق الكلام على حاجات المستَمِعين أو القُرّاء، وأن تجعل الأقوال لهم أقوالاً حاضرة ليستفيدوا منها في بيئتهم وحياتهم الحالية، وما يتوفر اليوم من هذه الترجمات ترجمة أونكيلوس (Onkelos) ونسختان للترجمة الفلسطينية للأسفار الخمسة(٢).

ثانياً: المدراش (Midrash): "نوع من الدرس النّقدي للعهد القديم، يمتاز بالتعليق عليه وتطبيقه تطبيقاً حراً، إزاء معناه الحرفي (Peshat). وقد سبق عهد المعلّمين، وله أثر في بعض نصوص العهد القديم الأخيرة، ويمتاز المدراش بأسلوبين"(٣):

- الهاجاداة (Aggada) (من كلمة معناها حدّث): "وهو التعليق على الأجزاء الروائية من العهد القديم، بغية إبراز أبعاد حوادث الماضي وتطبيقها الأدبي"(٤).
- الحلقة (Halaka) (من كلمة معناها سلك): "وهو التعليق على الأجزاء التشريعية من العهد القديم، بغية التوصُّل إلى إثبات قواعد قانونية أو مسلكيّة عمليّة، أو تبرير عادات جرت. درجت هذه التعليقات أولاً في حلقات العلماء والمجامع. ثمّ دوّنها "المعلِّمون" في مجموعات تُدعى مدراشيم، وذلك في القرن الثاني م. تدويناً امتدّ إلى قرون مختلفة. وقد عرفها أبناء الكنيسة، وكان لها شيء من الفعل في التفسير المسيحي للعهد القديم، ولكن على ضوء مجئ المسيح"(٥).

ثالثاً: المشناة (Mishna): "المشناة (تعليم) هي تعليق على السُّنّة، وتدوين لها، ويستند إلى تفسير المعلّمين الذي تسلّموه ممّن سبقوهم، تفسيراً شفوياً. وتُقَسّم 6 فئات وتحوي 63 موضوعاً في 524 فصلاً: البذور (الزراعة)– الأعياد (السّبت وما يُقَدّم من ذبائح ويُقام

---

(١) سابا، جورج، على عتبة الكتاب المُقَدَّس، ص221.
(٢) المرجع السابق، ص222.
(٣) المرجع السابق، ص222.
(٤) المرجع السابق، ص222.
(٥) المرجع السابق، ص222–223.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من احتفالات)- النساء (الزواج والطلاق...)- الخسائر (شرائع مدنية وأمور تجارية ودعاوى قانونية...)- الأشياء المقدّسة (ما يتعلّق بالذّبائح والأبكار وطاهر الحيوان ونجسه مع وصف لهيكل هيرودس)- الطهارة والنجاسة اللاويّة (سننها...)" [١]. ودُوّنت المشناة نحو سنة 200م، وتم إضافة (ملحق Tosephta) إلى المشناة سنة 250م، وكانت المشناة تُدرّس في فلسطين وبابل، وقد جمع معلّمو السنوات 200-500م، تعليقاتهم على مقالات المشناة في الجمارا (الجدال) (Gemara)[٢].

رابعاً: التلمود (Talmud): التلمود (درس) يتألف من المشناة والتعليق عليها. فهو تسجيل لجلسات الدراسة، وشمل التلمود أجزاء تشريعية (الحلقة Halaka) وأجزاء روائية (الهاجاداة Aggada)، ويضم جميع الموضوعات[٣].

رابعاً: الحديث الثاني: يستشهد روبسون بالحديث الثاني باعتباره دليلاً على عدم الرّضى عن اتّباع اليهود والنّصارى، وهو: **"لتتّبعنّ سنن مَن كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضبٍّ لسلكتموه، قلنا: يا رسول الله اليهود والنّصارى؟ قال: فمن"**.

خامساً: أقوال العلماء في الحديث:

أ -قال ابن حجر: وقع التّخصيص لجحر الضّبّ لشدّة ضيقه ورداءته، يُقال خُصَّت بالذّكر لأنّ الضّب يُقال لومع ذلك فإنّهم لاقتفائهم آثارهم واتّباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الضّيّق الرّديء لتبعوهم[٤].

ب قال ابن بطال: "أعلمَ ﷺ أنّ أمّته ستتّبع المحدثات من الأمور والبدع والأهواء كما وقع للأمم قبلهم، وقد أنذر في أحاديث كثيرة بأنّ الآخر شرّ، والساعة لا تقوم إلا على شرار الناس، وأنّ الدّين إنما يبقى قائماً عند خاصّة من الناس"[٥].

ت قال العيني: "هذا كناية عن شدة الموافقة لهم في المخالفات والمعاصي لا في الكفر"[٦].

---

(١) المرجع السابق، ص223.

(٢) المرجع السابق، ص 223، ويُقابل المشناة الحديث النبوي في الإسلام وهي ليست وحي اً، وتُقابِل الجامارا شرح أهل السّنّة للأحاديث النبوية.

(٣) المرجع السابق، ص223-224.

(٤) العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذُكِرَ عن بني إسرائيل، ج6، ص608، رقم (3456).

(٥) المرجع السابق، كتاب الاعتصام بالكتاب والسّنّة، باب قول النبي ﷺ: "لتتّبعنّ سنن مَن كان قبلكم"، ج 3، ص368، رقم (7320).

(٦) العيني، أبو محمد محمود بن أحمد، عمدة القاري، ج16، ص43.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سادساً: إنّ روبسون يؤكّد في أبحاثٍ أخرى أنّ الحديث من اختراع أهل القرون الأولى-خاصّة القرنَيْن الأوّلَيْن-، قوله هذا يُناقض رأيه في أصل الحديث وأنه من اختراع السابقين وأنه ليس بقول الرسول ﷺ، وفي هذا المعنى يقول في أحد أبحاثه: "وبدون نقاش أصبح الناس يعتقدون بأن السّنة في الحقيقة هو من النبي فهُم بناءً على ذلك صاغوا، متمشين مع الفطرة إلى حد كبير نظرياتهم حول طبيعتها إلا أن ما في الحقيقة هو أنّ الناس في مختلف الأنحاء قد عكفوا على دراسة الأحاديث بل على المرء أن يُضيف عكفوا أيضاً على اختراعها، غير أن لهذا الاختراع عموماً كان له هدف جيد وساعد على ترسيخ التشريع (أو القانون) ونحن لدينا شيء مماثلٌ في العهد القديم حيث تمّ تقديم شريعة طورّت تدريجياً وكأنها جاءت من موسى، وبهذه الوسيلة سيكون هناك استعداد لقبولها. وهكذا في الإسلام وجد الناس بأن أفضل طريقة لترسيخ الشريعة هي تقديمها وكأنها آتية من النبي"(١).

أما في هذا الموضع يؤكّد روبسون أن الحديث النبوي آتٍ من النبي ﷺ وأنه أخذ الحديث من العهدين.

وهذا يُبت أن منهج روبسون انتقاء ما يُرضيه ورد ما لا يُرضيه، أما نحن فالحُكم عندنا مبنيٌّ على الإسناد ثم إن صحّت الأحاديث فيُعمل بها جميعاً ويُوَفَّق بينها جميعاً بإحدى طرق الجمع بين الأحاديث. وإلا فالترجيح أو الاضطراب(٢).

المطلب الثالث: الاقتباس اللفظي والمعنوي

يُؤكّد جيمس روبسون أنّ هناك اقتباساً لفظيّاً من الكتاب المُقَدّس ولكن غالب هذا الإقتباس معنوي-أي المعنى هو المُقْتَبَس- مع وجود اقتباس لفظي، وفي هذا يقول روبسون:

"الأحاديث تدلّ على فضلٍ كبير للعهد الجديد وهو فضلٌ غير مُعتَرَف به. فالأمثلة والكلمات الموجودة في الأناجيل ومن أجزاء أخرى من العهد الجديد مُستَخدَمة. بل أحياناً يشعر المرء بأنّ هناك أخذاً حرفياً ولكن في أحيان أخرى يشعر المرء بأنّ الفكرة هي المأخوذة بدلاً من التعبير الفعلي. وفي مثل هذه المواضع كلها تظهر لغة العهد الجديد معروضة على أنها قيلَت من قِبَل محمد"(٣).

---

(١) Robson, James, Traditional, investigation and classification, p.98.

(٢) هذا الكلام مأخوذ من عليقات فضيلة الدكتور شاكر الخوالدة على هذه الدراسة بتاريخ 2020/8/2م.

(٣) Robson, James, The Material of Tradition 2, p.260.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يُبَيِّن جيمس روبسون أنّ الكتاب المُقَدَّس وخاصّة العهد الجديد من المصادر الرئيسة للحديث النبوي وأنه تمّ الاقتباس منه لفظاً ومعنىً، وأنّ هناك عدداً من المواضع يظهر فيها جلياً لغة العهد الجديد وأنها قيلَت من قِبَل محمد ﷺ.

وللتّدليل على ذلك قام روبسون باستحضار الأمثلة التي تؤيّد رأيه، ومنها:

المثال الأول:

الحديث: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده والناس أجمعين(١).

الكتاب المقدّس: مَن أحبَّ أباه أو أمَّه أكثر ممّا يُحِبُّني، فلا يَسْتَحِقُّني. ومن أحبَّ ابنَه أو بنتَهُ أكثرَ مما يُحِبُّني، فلا يَسْتَحِقُّني(٢).

---

(١) سبق تخريجه في ص 176 من هذا البحث.

(٢) متى 10: 37، الكتاب المقدس، الترجمة العربية المشتركة من اللغات الأصلية، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، العهد القديم- الإصدار الثاني 1995، الطبعة الأولى، العهد الجديد- الإصدار الرابع 1913، الطبعة الأولى، جمعية الكتاب المقدس في لبنان.

عند النظر في تكملة المرادف من الكتاب المقدّس فهو: "ومَن لايحمل صليبه ويتّبعني فهو لا يستحقّني. مَن يتمسّك بحياته، يخسرها؛ ومَن يخسرْ حياتَه من أجلي، فإنه يربحها" [متى 10: 38-39].

وتفسير متى 10: 37: يدعونا المسيح إلى رسالة أسمى من الحصول على الراحة والهدوء في هذه الحياة، فمحبّة العائلة وصية من وصايا الله، ولكن هذه المحبّة يمكن أن تكون لخدمة الذات، ومبرّراً لعدم خدمة الله أو إنجاز عمله. انظر: بارتون، بروس وآخرون ، التفسير التطبيقي، ترجمة: وليم وهبة وجوزيف صابر وصبري بطرس وعاطف سامي، شركة ماستر ميديا- القاهرة، ط1، 1995م، ص48.

متى 10: 38: لكي نحمل صليبنا ونتّبع المسيح، يلزم أن نطرح عنّا كلّ الهموم والأولويّات الأخرى، فعندئذٍ فقط نبدأ في تحقيق التزامنا للمسيح. يجب أن نُسلِّم تماماً لله في استعداد كامل لمواجهة أي شيء ولو كان الأم والموت من أجله. انظر: بارتون، بروس وآخرون، التفسير التطبيقي، ترجمة: وليم وهبة وجوزيف صابر وصبري بطرس وعاطف سامي، ص49.

متى 10: 39: تعرض هذه الآية نفس الحقيقة من وجهيها السلبي والإيجابي، فالتّمسّك بهذه الحياة يمكن أن يجعلنا نخسر المسيح في هذا العالَم والعالَم الآتي. وكلما زادت محبّتنا لما تمنحه هذه الحياة (اللهو، السلطة، الشُّهرة، الأمن المالي)، اكتشفنا أنها أشياء لا قيمة لها في الحقيقة، لذلك فأفضل طريق للاستمتاع بالحياة، هي أن لا نتمسّك، بالأطماع الأرضيّة، وهذا يُحرّرنا فنستطيع أن نتّبع المسيح. وإن فعلْنا ذلك، نرث حياة أبدية ونشرع في الاستمتاع ببركات اتّباعه. انظر: بارتون، بروس وآخرون، التفسير التطبيقي، ترجمة: وليم وهبة وجوزيف صابر وصبري بطرس وعاطف سامي، ص49.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المثال الثاني:

الحديث: مَن شغله ذكري عن مسألتي أعطيته قبل أن يسألني(١)

الكتاب المقدّس: قبل أن يدعوني أُجيب، وفيما هم يتكلّمون أَسْتَمِع(٢).

المثال الثالث:

الحديث: مَن سرّه أن يُبسط له في رزقه أو يُنسأ له في أثره فليصل رحمه(٣).

الكتاب المقدّس: تعالَوا أيُّها البَنون واسْتَمِعوا لي، فأُعَلِّمَكُم مخافةَ الرّبِّ. يا مَن يَحْرِصُ على الحياةِ ويُحِبُّ كثرةَ الأيّام لِيرى خيرا(٤).

---

(١) أخرجه أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء، دار الكتاب العربي- بيروت، ط 4، 1405هـ، ج4، ص26، بزيادة: "كفى بي للعبد مالاً، إذا كان عبدي في طاعتي أعطيته قبل أن يسألني وأستجيب له من قبل أن يدعوني فإني أعلم بحاجته التي ترفق به من نفسه"، ج 4، ص38، بلفظ: "إنّ عبدي إذا أطاعني فإني أستجيب له من قبل أن يدعوني وأعطيه من قبل أن يسألني وإنّ عبدي إذا أطاعني لو أنّ أهل السماوات والأرض أجلبوا عليه جعلتُ له مخرجاً من ذلك وإنّ عبدي إذا عصاني أقطع يده عن أبواب السماوات وأجعله في الهوى فلا ينتصر بشيء من خلقي" ج 7، ص313 واللفظ له، ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد، مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الدعاء، باب الدعاء بلا نيّة ولا عمل، ج 6، ص34، رقم (29262) عن مالك بن الحارث قال: "مَن شغله ذكري عن مسألتي أعطيته فوق ما أُعطي السائلين"، ونفس الباب، ص35، رقم (29264) عن عمرو بن مرة رفعه بلفظ: "مَن شغله ذكري عن مسألتي أعطيتُه فوق ما أُعطي السّائلين"؛ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، ج 2، ص140، رقم (598) عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ يرويه عن ربه بلفظ: "مَن شغله ذكري عن مسألتي أعطيتُه فوق ما أُعطي السّائلين"، القضاعي، حمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله، مسند الشهاب القضاعي، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط2، سنة 1407هـ - 1986م، ج2، ص326، رقم (1455). وقال الألباني: وهذا إسناد ضعيف؛ صفوان هذا لم يوثقه أحد غير ابن حبان. ومع ذلك فقد أعاده في "الضعفاء" فقال: "منكر الحديث ، يروي عن الأثبات ما لا أصل له...". الألباني، محمد ناصر الدين ، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ، 1412هـ/ 1992 م، ج 10، ص 745، رقم (498).

(٢) أشيعا 65: 24.

(٣) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري، كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق، ج4، ص381، رقم (2067) واللفظ له، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، ج10، ص510، رقم (5985)، ج10، ص510، رقم (5640)؛ مسلم، ابن الحجاج، صحيح مسلم ومعه شرح النووي، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ج 16، ص330، رقم (6470) بلفظ: "أن يُبسط عليه رزقه ويُنسأ في أثره"، ونفس الباب، ص330، رقم (6471).

(٤) المزمور 34: 12، 13.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المثال الرابع:

الحديث: كما أن الله لم يكلفك اليوم عمل غد فلا تسأله رزق غد[١].

الكتاب المقدّس: أعطنا خبزنا اليومي[٢].

لذلك لا تهتموا فتقولوا: ماذا نأكل؟ وماذا نشرب؟ وماذا نلبس؟[٣].

لا يهمكم أمر الغد، فالغد يهتم بنفسه ولكل يوم من المتاعب ما يكفيه[٤].

المثال الخامس:

الحديث: يا ابن آدم أنفق أُنفِق عليك، وقال رسول الله ﷺ: يمين الله ملأى سحّاء لا يُغيضُها شيءٌ في الليل ولا في النهار[٥].

---

(١) انظر: حلية الأولياء، ج10، ص67: "قال بعض الحكماء من أصبح لم يكن معه هذه الخصال الثلاث لم يصب طريق العزم أولها كما أن الله لم يعط رزقك اليوم غيرك فلا تعمل لغيره وكما أن الله لم يشارك فيما أعطاك أحدا فلا تشارك في العمل الذي تعمل له يعني الرياء وكما أن الله لم يكلفك اليوم عمل غد فلا تسأله رزق غد على جور حتى إذا لم يعطك شكوته"، وأيضاً، المرجع السابق، ج10، ص75، حيث قال: سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول حدثني محمد بن إسحاق بن الإمام حدثني أبي قال سألت الحارث بن أسد المحاسبي ما تفسير خير الرزق ما يكفي قال هو قوت يوم بيوم ولا تهتم لرزق غد"، ويُلحظ أن روبسون قد أشار إلى أنه حديث قدسي، وهو حقيقةً من كلام بعض الحكماء، فلا وجه لأنّ يُعَدّ دليل على الاقتباس من الكتاب المُقَدَّس.

(٢) متى 6: 11.

تفسير متى 6: 11: عندما نُصلّي: (خُبزَنا كفافنا أعطنا اليوم)، فنحن نعترف بأنّ الله هو مُعيننُا والمُتَكفِّل بنا، على عكس المفهوم الخاطئ بأننا نُدبِّر حاجاتنا بأنفسنا، كما نُثبِت أننا نتّكل على الله كل يوم ليمدّنا بكلّ ما يرى أننا في حاجة إليه. انظر: بارتون، بروس وآخرون، التفسير التطبيقي، ترجمة: وليم وهبة وجوزيف صابر وصبري بطرس وعاطف سامي، ص31.

(٣) متى 6: 31.

(٤) متى 6: 34.

تفسير متى 6: 34: حسنٌ أن تصرفَ وقتاً في التخطيط للغد، أما الوقت الذي تصرفه في القلق على الغد، فهو وقت ضائع. وقد يصعُب أحياناً تمييز الفرق بينهما. فالتّخطيط الدّقيق يستلزم تفكيراً مقدماً في الأهداف والخطوات، وجدولة ذلك مع الاتّكال على إرشاد الله. ومتى تمّ كلّ ذلك على وجه مُرضٍ، فإنه يعمل على تخفيف القلق فالشّخص القَلِق يُضنيه الخوف، ويجد من الصّعب أن يتّكل على الله. كما أنه يسمح لخططه أن تتصادم مع علاقته بالله. فلا تدع قلقك بشأن الغد يؤثّر في علاقتك بالله اليوم. انظر: بارتون، بروس وآخرون، التفسير التطبيقي، ترجمة: وليم وهبة وجوزيف صابر وصبري بطرس وعاطف سامي، ص33.

(٥) أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري، كتاب التفسير، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: 7]، ج8، ص446، حديث رقم (4684) بلفظ: "يد الله ملأى لا تَغيضُها نفقة،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكتاب المقدّس: أعطُوا، تُعْطَوا: كيلاً ملآناً مكبوساً مهزوزاً فائضاً تُعْطَون في أحضانِكُم، لأنّه بالكيلِ الذي تَكيلون يُكال لكم(١).

جئتكم فما وجدتُ أحداً ودعوتُكُم وما من مُجيب، أيدي قاصرةٌ عن الافتداء؟ أم قُدْرَتي عاجزةٌ عن الإنقاذ؟ أنا الذي يزجر البحر فيجفّ ويجعلُ الأنهارَ أرضاً يابسةً فيُنتِنُ سَمَكُها لقلّةِ الماء ويموتُ حيوانُها من العطش(٢).

يدُ الرّبِّ لا تقْصُر عن الخلاصِ وأُذُنُهُ لا تَثْقُل عن السّماع(٣).

المثال السادس:

الحديث: أعددتُ لِعبادي الصّالحين ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر(٤).

الليل والنهار. وقال: "أرأيتُم ما أنفَقَ منذ خلق السماء والأرض؟ فإنه لم يَغض ما في يده، وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يَخفِض ويرفع"، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: 15]، ج13، ص575، حديث رقم (7496) مختصَراً بلفظ: "قال الله: أنفِقْ أُنفِقْ عليك"، مسلم، ابن الحجاج، صحيح مسلم ومعه شرح النووي، كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف، ج 7، حديث رقم (2305) بلفظ: "قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم، أنفِقْ أُنفِقْ عليك"، وقال: "يمين الله ملأى – وقال ابن نُمَيْر ملآن– سحّاء، لا يَغيضُها شيءٌ الليلَ والنّهار"، ص82، رقم (2306) بلفظ: "إن الله قال لي: أَنفِقْ أُنفِقْ عليك"، وقال رسول الله ﷺ: "يمينُ الله ملآى، لا يَغيضُها سَحَّاءُ الليل والنّهار، أرأيتُم ما أنفَقَ مُذ خلق السماء والأرض، فإنّه لم يَغِض ما في يمينه"، قال: "وعرشُه على الماء وبِيَده الأخرى القَبْضُ، يرفَعُ ويَخْفِضُ".

(١) لوقا 6: 38.

تفسير لوقا 6: 38: إن كنّا ننتقد الغير بدلاً من تعاطفنا معه، لا بدّ أن نجد مَن ينتقدنا. أما إن تعامَلنا مع الآخرين بكرمٍ ومودّة ورحمةٍ، فلا بدّ أنّ هذه الأمور ستعود علينا بنفس القدر. فعلينا أن نُحبّ الآخرين لا أن نُدينَهم.انظر: بارتون، بروس وآخرون، التفسير التطبيقي، ترجمة: وليم وهبة وجوزيف صابر وصبري بطرس وعاطف سامي، ص229.

(٢) أشعيا 50: 2.

(٣) أشعيا 59: 1.

(٤) أخرجه البخاري بلفظ: "قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر". أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفه الجنة وأنها مخلوقة، ج 6، ص383، رقم (3244) بلفظ: قال الله: أعددتُ لعبادي الصّالحين ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سَمِعَتْ، ولا خطر على قلب بشر. فاقرؤوا إن شئتُم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 17]، كتاب التفسير، سورة تنزيل السجدة، ج8،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكتاب المقدّس: فالصّوم ُالذي أُريدُه. أن تُحَلَّ قيودُ الظُّلم وتُفَك مرابطُ النِّير ويُطلَقَ المُنسَحِقون أحراراً، ويُنزَعَ كُلُّ نيرٍ عنهم، أن تفرِشَ للجائعِ خُبزَك وتُدخِلَ المسكين الطّريد بيتك، أن ترى العُريانَ فتكسوَهُ ولا تتهرَّبَ من مساعدةِ قريبكَ. بذلك ينبثقُ كالصبحِ نورُك وتُزهِرُ عافيتُك سريعاً.

تسير في طريق الاستقامةِ ويَجمَعُ الربُّ بمجدِهِ شملَك. تدعو فيَستَجيبُ لك وتستغيثُ فيقول: ها أنا. إن أزلتَ من بينك الظلمَ والإشارةَ بالإصبع والكلام الباطل، إذا سكبتَ لقمتَك للجائعِ ولبَّيْتَ حاجةَ البائسينَ يُشرقُ في الظلمةِ نورُك وكالظُّهر تكونُ لياليكَ.

"أهديكَ أنا الربُّ كلَّ حينٍ و ألبّي حاجتَكَ في الضّيّق. أُقَوّي عظامَك وأجعَلُ حياتَك كجنّةٍ ريّا ونبعٍ دائمٍ(١).

المثال السابع:

الحديث: يا ابن آدم مرضتُ ولم تعدني(٢).

ص654، رقم (4779) بنفس اللفظ السّابق، مع اختلاف: قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (4780) بزيادة: "ذُخراً من بَلْهِ ما أُطْلِعتُم عليه. ثمّ قرأ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾" [السجدة: 17]، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾[الفتح: 15]، ج13، ص576، رقم (7498) بلفظ: "أعددتُ لعباديَ الصّالحين ما لا عينٌ رأتْ ولا سَمِعَتْ ولا خطر على قلب بشر"، مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم ومعه شرح النووي، كتاب الجنة وصفه نعيمها وأهلها، باب صفة الجنّة، ج 17، ص164، رقم (7063)، بنفس اللفظ السابق، (7064) بلفظ: "قال الله عزّ وجلّ: أعددتُ لِعباديَ الصّالحين ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذنٌ سَمِعَتْ، ولا خطر على قلب بشرٍ".

(١) أشعيا 58: 6-11. من خلال بحثي رأيتُ موضعاً أقرب إلى الحديث في الكتاب المقدس: "لكن كما يقول الكتاب الذي ما رأتْه عينٌ ولا سمعتْ به أذنٌ ولا خَطَرَ على قلب بشر، أعدّه الله للذين يحبونه"، كورنثوس الأولى2: 9.

(٢) أخرجه: مسلم، ابن الحجاج، صحيح مسلم ومعه شرح النووي، كتاب الأدب والبر والصلة، باب فضل عبادة المريض، ج16، ص341، رقم (6501) بلفظ: قال رسول الله ﷺ: "إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضتُ فلم تعدني، قال يا ربي كيف أعودك وأنت ربّ العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لوعدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم، استطعمتك فلم تُطعمني، قال يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟، قال أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما أنك لو سقيته وجدت ذلك عندي".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكتاب المقدّس: ثم يقول للذين عن شماله: ابتعدوا عنيّ يا ملاعين، إلى النارِ الأبديّةِ المُهَيَّأةِ لإبليس وأعوانِه، لأنّي جعتُ فما أطعمتوني وعطشتُ فما سقيتموني، وكنتُ غريباً فما آويتموني، وعرياناً فما كسوتموني، ومريضاً وسجيناً فما زُرتموني(١).

المثال الثامن:

الحديث: كما تدين تدان، وبالمكيال الذي تَكيل به يُكال لك(٢).

الكتاب المقدّس: فكما تَدينون تُدانون، وبما تَكيلون يُكال لكم(٣).

المثال التاسع:

الحديث: إن الله تعالى أعطى موسى عليه السلام نوراً فقال له هارون: هِبْهُ لي يا أخي، فوهَبَهُ له ثم أعطاهُ هارون ابنيه، فكان في بيت المقدس آنيةٌ تُعَظِّمُها الأنبياءُ والملوكُ من بَعْدِهِم فكانا يَسْقِيان في تلك الآنيةِ الخمرَ، فنزلَت نارٌ من السّماء فاخْتَطَفَتْ ابني هارون فصَعِدَتْ بهما ففَزِعَ هارونُ لذلك وقامَ مُتَشَعِّثاً مُتَوَجِّهاً بوجهِهِ إلى السّماء بالدُّعاء والتّضرُّع

---

(١) متى 25: 41-43.

(٢) ليس لروبسون أن يدرج هذا في أمثلته ولا يلزمنا مناقشته أو دفعه؛ لعدم ثبوت رفعه، سيما زيادة (وبالمكيال الذي تُكيل به يُكال لك) وليس لها مرفوعةً أصلٌ إطلاقاً! بل لم تُذكر حتى في الأحاديث الموضوعة!! ثم إنَّ غالب من رواه نَسَبَه إلى التوراة –أو الإنجيل– وقد أخرج: أبو نُعَيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء، ج4، ص48، عن وهب بن منبه قال: "أربعة أحرف في التوراة مكتوب: مَن لم يُشاوِر يَندَم، ومَن استَغْنى استَأثر، والفقر الموتُ الأحمر، وكما تُدين تُدان"، وأيضاً: المرجع السابق، ج6، ص107، عن يحيى بن أبي عمرو الشَّيْباني بلفظ: "مكتوبٌ في التوراة: كما تَدين تُدان وبالكأسِ الذي تَسْقي به تَشْرَب وزيادة، لأنّ البادي لا بُدّ أن يُزاد".

(٣) متى 7: 2.

تفسير متى 7: 2: يطلب منا يسوع أن نفحص حياتنا بدلاً من أن ننتقد الآخرين، وكثيراً ما تكون الصّفات التي تُضايقنا في الآخرين هي عاداتنا التي نبغضها في نفوسنا. إنّ عاداتنا وأنماط سلوكنا الرّديئة التي لا نكفّ عن إتيانها، هي نفسها الأشياء التي نُريد، قبل كلّ شيء، تغييرها في الآخرين. فهل تجد من السّهل عليك تضخيم عيوب الآخرين، بينما تتجاهل عيوبك؟ فقبل أن تشرع في نقد شخص آخر، تحقّق أولاً من أنّك لا تستحقّ نفس النّقد. احكم على نفسك أولاً. ثمّ في محبّة اغفر لرفيقك وعاونه. انظر: بارتون، بروس وآخرون، التفسير التطبيقي، ترجمة: وليم وهبة وجوزيف صابر وصبري بطرس وعاطف سامي، ص33.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأوحى الله تعالى إلى هارون: هكذا أفعلُ بمَن عصاني من أهل طاعتي فكيف أفعَلُ بمَن عصاني من أهلِ معصيتي؟؟[١].

الكتاب المقدّس: وأخذ كل من ناداب وأبيهو، ابني هارون، مِجْمَرَتَه، وجعل فيها ناراً ووضع عليها بخوراً، وقَرَّبَ أمام الرّبِّ ناراً غير مُقَدَّسة لم يأمُرْهُما بها. فخرجتْ نارٌ من عند الربِّ وأَكَلَتْهُما، فماتا أمام الرّبِّ. فقال موسى لها رون: "هذا ما قاله الربُّ: أنا في الذين يقتربون منّي مُقَدَّسٌ، وأمام جميعِ الشَّعبِ مُمَجَّدٌ" فأسِفَ هارون[٢].

المثال العاشر:

الحديث: يتكلم الحديث عن المنافقين الذين يلبسون جلود الضأن لكن قلوبهم قلوب الذئاب[٣].

الكتاب المقدّس: إياكم والأنبياءَ الكذّابين، يَجيئونكم بثيابِ الحُمْلان وهم في باطِنِهِم ذئابٌ خاطِفة[٤].

يمكن توضيح ما سبق عبر النقاط التالية:

أولاً: من خلال استقراء النصوص التي احتج بها روبسون يظهر أنها في الغالب متون تحمل معانيَ إنسانية صالحة لكل زمان ومكان ولا تتعلّق بالعقائد والأحكام، لذا من الطبيعي أن تكون منتشرة في كل العصور ويحثّ عليها أكثر من نبيّ وفي أي وقت.

---

(1) وهذا أيضاً لم **يُدَّعَ رفعه** أصلاً في شيء من كتب الحديث، فقد أخرجه: أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء، ج4، ص59، **من كلام وهب بن منبّه**. وأخرجه ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد، مصنف ابن أبي شيبة، ج13، ص176، برقم 35330، عن سعيد بن جبير **من كلامه**. وهكذا – مرةً أخرى– على روبسون أن "يُثبت العرش ثم يَنقش"!!

(2) اللاويين 10: 1-3.

(٣) أخرجه: الترمذي، محمد بن عيسى، جامع الترمذي، الزهد، باب، ص541، رقم (2404) بلفظ: "يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن اللّيِّن، ألْسنتُهم أحلى من السّكّر وقلوبُهم قلوبُ الذّئاب، يقولُ الله عزّ وجّل: أبي يَغترّون أم عليّ يَجترئون ؟ فبي حلفتُ لأبعثنّ على أولئك منهم فِتنة تدعُ الحليمَ منهم حيراناً". قال الشيخ الألباني : ضعيف جداً.

(٤) متى 7: 15.

تفسير متى 7: 15: كان هناك أنبياء كَذَبة كثيرون في العهد القديم، فكانوا يتنبّأون بما يُريد الملك أو الشّعب أن يسمعوه، مُدَّعين أنه رسالة الله. وهناك أيضاً مُعَلِّمون كَذَبة كثيرون الآن. ويُحذّرنا الرّب يسوع ممّن تبدو كلماتهم حَسَنة دينيّاً، ولكنّهم مدفعون بحبّ المال أو الجاه، أو بترويج أفكارهم. ويمكنك أن تكتشفهم لأنّهم في تعليمهم يُقَلِّلون من شأن المسيح ويُمَجِّدون ذواتهم. انظر: بارتون، بروس وآخرون، التفسير التطبيقي، ترجمة: وليم وهبة وجوزيف صابر وصبري بطرس وعاطف سامي، ص35.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً: يوجد من المتون التي أثار روبسون شكوكاً حولها ما يتعلق بقصص السابقين، وهي تحمل عبرة وعظة أراد الله ترسيخها في نفوس الناس للاعتبار بها ، وهذه الحوادث لا تتغيّر، لذا نجد القصّة منقولة كما هي على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ثالثاً: لم تتطابق كل الأمثلة حرفياً وإنما منها ما تضمّن المعنى نفسه مع اختلاف اللفظ، وما كان فيه تطابُق فيمكن اعتباره بقايا حق لم يُحَرَّف ، كما أنّ الادّعاء بالتماثُل في بعضٍ منها فيه تكلُّف كبير، كما ظهر من خلال الأمثلة السابقة.

رابعاً: يمكن إيجاد هذا التشابه في العهدين؛ حيث يوجد كلمات منسوبة إلى عيسى ﷺ في العهد الجديد تتشابه مع ما هو موجود في العهد القديم، وقد أرجع المسيحيون هذا التشابه إلى أن عيسى ﷺ جاء ليكمل الدين ما جاء لينقض [١]، ومحمد ﷺ جاء أيضاً ليتمم هذا الدين.

خامساً: المسلمون يؤكّدون على وحدة المصدر بين الأديان الإلهية، فلا بدّ من وقوع تشابه في النصوص النبوية –التي هي وحيٌ من الله– ونصوص العهدين، خاصّة وأننا نؤمن أن التحريف لم يقع لجميع نصوصهما.

سادساً: إنّ القول إنّ حديث النبي ﷺ منه ما هو مُقتَبَس من اليهودية والنصرانية– قولٌ مردودٌ يردُّه الواقع والعقل؛ فعندما نقول إنّ هناك اقتباساً فينبغي أن يكون الاقتباس له قيمة كالاقتباس بالعقائد أو الأحكام والشرائع، أما أن يُزعَم أن هناك اقتباساً ويكون عبارة عن حثّ على فضائل أو قصص للسابقين فهذا زعمٌ مبالغٌ فيه، ولا قيمة له.

وحتى لو تشابهت عقيدة عندنا بعقيدة عندهم أو حكم شرعي عندنا بحكم شرعي عندهم فلا حرج في ذلك فكلها من عند الله. وهذا دليلٌ على أنهم لم يُحرّفوا في هذا الأمر. ويؤيد ذلك القاعدة الشّرعية: شرع مَن قبلنا شرعٌ لنا ما لم يرد نسخ، والأمر المهم الذي لم يستطع ولن يتسطيع روبسون إثباته: وجود نص يُثبت النّقل من التّوراة أو الإنجيل. حتى وإن روى أحد من الصّحابة أو التّابعين عن بني إسرائيل فهو أمر مختلف عن نقل الرسول عنهم[٢].

سابعاً: إنّ شهادات الغربيين أنفسهم تُثبت استحالة التقاء الديانتين مع بعضهما، إذ يقول المستشرق سانتيلانا (Santillana) في ذلك: "وعبثاً نُحاول أن نجد أصولاً واحدة تلتقي فيها الشريعتان الشرقية والغربية"[٣]، يقصد الإسلام والنصرانية، وكذلك يقول: "إنّ الشريعة

---

(١) جمعية الكتاب المقدس– مجلس كنائس الشرق الأوسط، المرشد إلى الكتاب المقدس، ص40.

(٢) هذا الكلام مأخوذ من تعليقات فضيلة الدكتور شاكر الخوالدة على هذه الدراسة بتاريخ 2010/8/2م.

(٣) معدي، الحسيني الحسيني، علماء وحكماء أنصفوا الإسلام، ص166.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإسلامية ذات الحدود المرسومة والمبادئ الثابتة لا يمكن إرجاعها أو نسبتها إلى شرائعنا وقوانيننا لأنها شريعة دينية تُغاير أفكارَنا أصلاً. وقد يحصل في العادة خَلْطٌ بين ناحيتَيْن، فالإسلام كالمسيحية أو كأي دين آخر له عقائد مخصوصة ينفرد بها، مما لا يمكن بالطبع أن يُعَرِّضها أولئك الذين نزلت فيهم إلى النقد والبحث. ولكن من الظلم والتّجنّي أن نصمها بالجمود والشدة، كما لو ألصقنا بالمسيحية التهمة نفسها. إذ يوجد في أي نظام ديني عظيم الخطر جليل الشأن شيء أكثر من محض عقيدة"(١).

وقال الكونت هنري دي كاستري: "لم يقرأ محمدٌ كتاباً مقدَّساً، ولم يسترشد في دينه بمذهب مُتقدِّم عليه لذلك انفرد الكتاب المنزل عليه بالوحدانية (لا إله إلا الله) ذلك هو أصل الاعتقاد بالله فردٌ، ربٌّ، صمدٌ، مُنَزّه عن النقائص. يكاد العقل يتصوّره، هو اعتقاد قوي، يؤمن به المسلمون على الدوام، يمتازون به على غيرهم"(٢).

ثامناً: ليس في الحديث الإسلامي ككل أية ملامح يهودية أو نصرانية، وليس في الإسلام أو الحديث النبوي على وجه الخصوص ما يرفع محمداً ﷺ عن عالم البشر أو يدَّعي تأليهه كما لدى النصارى، ولو صحّ ادّعاء روبسون لاقتبس محمدٌ ﷺ مسألة تأليهه ورفعة شأنه عن عالَم البشر(٣).

تاسعاً: من الثابت تحريف الديانتين اليهودية والنصرانية، فكيف لمحمد ﷺ أن يأتي من ديانتين مُحرَّفتَيْن بهذا الدين العظيم الذي ثبت ورسخ قروناً طويلة، وما زال كذلك.

عاشراً: الحديث النبوي بعيدٌ كل البعد عن نسق الكتاب المقدس(٤).

إحدى عشر: الحديث النبوي يختلف كلياً بمحتواه عن الكتاب المقدس، ويُناقضه في أمور كثيرة، منها: العقائد والشرائع والعبادات، كما أن العلم الحديث أثبت تحريف الكتاب المقدس واحتواء القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف على حقائق علمية، مما يُثبت المصدر الإلهي لهما وأنهما وحيٌ من الله، وليس اقتباساً من الكتاب المقدس.

اثنا عشر: يتجاهل هذا الادّعاء حقيقة أنّ الإسلام لم يُنكِر الأديان السماوية السابقة، وهي اليهودية والنصرانية، إلا أنّها تعرّضت للتحريف والتّبديل، لذا فليس غريباً أن تتشابه بعض الحقائق والقصص في الإسلام عموماً والكتاب المقدس، لكن المنهج العلمي يُقرّر أنه إذا اتّبعت الظاهرة (أ) الظاهرة (ب) فليس شرطاً أن تكون (أ) هي سبب وجود الظاهرة

---

(١) المرجع السابق، ص166.

(٢) المرجع السابق، ص80.

(٣) شلبي، أحمد، الاستشراق: تاريخه وأهدافه.. شبهات المستشرقين ضد الإسلام مناقشتها وردّها، ص35.

(٤) المرجع السابق، ص41.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ب)، بل من الممكن أن كلا الظاهرتَيْن معلولَتَان لمصدر ثالث وهو (ت)، لذا فإنّ وجود هذا التشابه لا يعني بالضّرورة أنّ الإسلام نتيجة مُشتَقّة كلّيّاً من اليهودية والنصرانية، إذ يمكن اعتبار الأديان الثلاثة جميعها آتية من مصدر واحد(١).

ثلاثة عشر: إن الإسلام يُخالِف الديانتَين بالأصول، كالوحدانية، والتثليث، والأقانيم، والصّلب، فإن كان هناك اقتباس فلماذا لم يقتبس الرسول محمد ﷺ من الكتاب المقدّس هذه الأمور، بل وخالَفها أيضاً؟ وعلى ماذا استند إذاً في إنكاره ﷺ لهذه العقائد؟ وهل هناك تعليل منطقي لادّعاء الاقتباس ثم مخالفة الحديث النبوي للمهمّات في الديانتَين؟(٢).

أربعة عشر: إن هذه الدعوى من روبسون وغيره من المستشرقين هي دعوة مطلقة للإلحاد؛ "وذلك لأنّ المعايير والأسس المنهجية التي تأذن للمستشرقين بإنكار المصدر الإلهي للدين الإسلامي، سوف تكون معايير وأُسُساً لإنكار المصدر الإلهي لأي دين على الإطلاق، بما في ذلك اليهودية والمسيحية. وإذا ادّعى المُستشرِق الذي يؤمن بالطريقة العلمية الشاملة في البحث، بمعناها الغربي، بأنّ بعضَ الأديان إلهية وبعضها الآخر ليست إلهية، فإنه بهذا يُلغي شرعية معاييره ومنهجه تماماً، لأنّ تلك المعايير والأُسس المنهجية لا تعترف بأية أبعاد إلهية لأي ظاهرة كونية. والوقوع في الانتقائية يفتح المجال لإمكانية أن تكون الأديان التي ادّعى المستشرقون أنها ليست إلهية، هي في الواقع إلهية، وقد تكون تلك التي ادّعوها إلهية، هي في الحقيقة ليست كذلك. لكننا نرى أنّ معظم المُنكِرين للمصدر الإلهي للدين الإسلامي هم مُبشِّرون أو مُتواطئون مع المبشّرين، وهم متواطئون أيضاً مع الاستعمار، إلا القليل على الصّعيد الفردي، وهي أصوات غير مؤثرة في الساحة الثقافية العامة في الغرب"(٣).

---

(١) الجابري، صلاح، نقد الاستشراق ومنهجه: دراسة نقدية لموقف الاستشراق من الرسالة الإسلامية، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، مجلة إسلامية ثقافية جامعة محكّمة تصدر سنوياً، تصدر عن كلية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى– طرابلس، العدد 19، سنة 1370 من وفاة الرسول ﷺ الموافق 2002م، ص281.

(٢) المرجع السابق، ص281.

(٣) المرجع السابق، ص282– 283.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

الحمد لله ربّ العالَمين، والصّلاةُ والسلام على خاتم الأنبياء والمُرسلين محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

بعد انتهاء فصول البحث، أذكر هنا أبرز ما توصَّلْتُ إليه من نتائج، مُتبَعةً بأهمّ التّوصيات:

النتائج:

أ -برزت الدّراسات الاستشراقيّة البريطانية في مجال الدّراسات الإسلامية في وقتٍ مُبَكّر حتى أصبح لمُستَشرقيها رصيدٌ كبيرٌ من الأبحاث التي تكاد تُغطّي جميع الجوانب المُتَعلّقة بالدّين الإسلاميّ، وذلك مما اعتنى به المُستشرقون البريطانيّون.

ب اشتهر عددٌ من المُستَشرقين بكتاباتهم حول الحديث النبوي منهم جيمس تشارلز روبسون، الذي تناولَ موضوعات عديدة تتّصل بالحديث وعلومه، واعتمد في كتاباته عموماً منهج الإسقاط، والشّكّ، والهدم، حيث لم ينظر في دراساته للحديث النبوي نظرة موضوعية مُعتَمِدة على أُسس وقواعد المُحدّثين، وإنما شَرَع بالادّعاء بتدخُّل العُنصُر البشري في الحديث لنبوي، والشّكّ غير المُسوَّغ في الأسانيد والأحاديث وتدوين الحديث النبوي، وسعى إلى هدم الأساس بمُحاولة نفي حُجّيّته، كما دعا إلى إلغائه كمصدر للتّشريع -لكونه يُعارِض أخلاقيّات العالَم الحديث- واتّباع العلمانيّة.

ت يُلحَظ اتّباع روبسون سلَفَه من المُستشرقين في آرائهم والاعتماد بشكل كبير عليها، مثل جوزيف شاخت، وإجناس جولدزيهر، وكايتني، والأب لامينس، وجب، وغيرهم، فهو بذلك يُكمِل دورَهم في التّشكيك بالحديث النبوي.

ث يتّضح من ترجمة روبسون ترابط المجال الأكاديمي للمستشرقين مع الدور التّنصيري والاستعماري.

ج بحث روبسون في مسألة تدوين السّنّة النبوية وزعم أنها جاءت متأخّرة في حدود القرن الثالث الهجري، وهو بذلك يُشكّك في أصالة السّنّة النّبوية، وبالتّالي مدى إمكانيّة قبولها وتصديقها كمصدر آتٍ من الرسول ﷺ، إلا أن السنة في الواقع دُوِّنت منذ عهد رسول الله ﷺ.

ح بحث روبسون في مسألة كتلة الحديث النبوي -على حدّ تعبيره- وادّعى أنّ الحديث نما وتطوّر بسبب الوَضْع وبذلك لا يُمكن معرفة الأحاديث المنسوبة للرّسول ﷺ حقيقةً، وما هو موضوع، لكن بيّنتُ أنّ الوضع لم يدخل إلى جسم الحديث النبوي بحيث لم يُعرف،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإنما وُجِد الحرص وطُبِّق النقد من قِبَل المحدّثين من أيام رسول الله ﷺ، وقد مُيِّز الموضوع من غيره ونبّه المحدّثون إليه.

خ - بحث روبسون في مسألة إسناد الحديث النبوي، وادّعى أنّ الإسناد جاء استخدامه مُتأخِّراً عن الرّواية، لذا فهو نظام مُختَلَق ليوهم صحّة الحديث وليجعل له أساساً لنسبته إلى الرسول ﷺ، وهو ليس كذلك، وهو بذلك ينقض أساس الحديث النبوي، والواقع أن الإسناد كان معتمداً منذ بداية رواية الحديث النبوي حرصاً على حديث رسول الله ﷺ.

د - بحث روبسون مسألة نقد الحديث، ويرى أنّ المحدّثين اعتمدوا في نقدهم على السّند دون المتن، وأنّ نقد السّند غير كافٍ، وإنما يجب أن يُنقد متن الحديث حسب منهج نقد الشّكل المُطَبَّق على الكتاب المُقَدَّس ليُعرَف من خلاله مدى صحّة الحديث، وإن المحدثين نقدوا السّند كما نقدوا المتن، ولكن نقد السّند يُعد أساساً لنقد المتن، وأما دعواه لاتّباع منهج نقد الشكل في الحديث النبوي فهذا المنهج دخيل لا يفي وحده بنقد الحديث النبوي وينبغي إفراد مناهج نقد الكتاب المقدّس مع الحديث النبوي في دراسة مستقلّة يتبيّن من خلالها مدى صلاحية مناهج نقد الكتاب المقدّس مجتمعةً في نقد الحديث النبوي.

ذ - بحث روبسون مسألة حُجّيّة السّنّة، ويرى أنّ الشّافعيّ هو مَن أعطى للسّنّة مكانتها وجعلها مصدراً تشريعيّاً أساسيّاً لدى المُسلمين، إلا أنّ عمل الشافعي هو الرّد على مَن دعا إلى الأخذ بالقرآن وحده.

ر - تعرّض روبسون بالنّقد لبعض المتون المُتَعلِّقة بحياة النبي ﷺ، وصفاته، ومُعجزاته، وتوصّل إلى أنّ النبي ﷺ برغم ما كان يوصَف به من الرّحمة إلا أنه كان قاسياً في أحكامه، وقد مَثَّلَ لذلك بحادِثَتَين تمّت -في الواقع- فيهما مُعاقَبة الجُناة بقدر الجريمة، وعن حياة النبي ﷺ، فيرى روبسون أنّ الأحاديث الواردة في زهده ﷺ وفقره، غير صحيحة وأنّ واضعيها فئة نفرت من حياة الرّفاهية فأرادت تثبيت أفكارها ونشرها بوَضعها أحاديث تُصَوِّر أنّ النبي ﷺ كان فقيراً، ويرى روبسون كذلك أنّ كثيراً من مُعجزات النبي ﷺ مُستَمَدّة من الكتاب المُقَدَّس.

ز - تعرَّض بالنقد لبعض متون الحديث النبوي المُتّصلة ببعض الصّحابة ﷺ مثل عائشة ﵂ وعمر بن الخطاب ﵁، ولجأ في تفسيرها إلى هواه للتّشكيك بنبوّة النبي ﷺ، كما في موقف عائشة ﵂، ولإثبات أنّ من الصّحابة مَن استطاع أن يفرضَ كلمته على النبي ﷺ، وهذا تفسير مبني على الهوى والتحكُّم، ليس له أي أصل أو أساس في الواقع، لكنه لم يستند إلى أدلّة قويّة ومنطقيّة، وإنما اعتمد على نفي ما يريد من دون براهين وحجج دامغة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التّوصيات:

أ -تشجيع الطّلبة على الكتابة في الموضوعات الفكرية، ذات الصّلة بالدّراسات الغربيّة عن الدّين الإسلامي، وتصحيح المفاهيم المغلوطة التي تُنشَر عن مُختَلف العلوم الدّينيّة، وعدم حصر موضوعات الأبحاث في نطاق مُعَيَّن.

ب ترجمة المواد العلمية المُتَعلّقة بموضوعات دراسات المُستشرقين حول الحديث النبوي، وحول موضوعات نقد الكتاب المُقَدّس التي يُقارنها المستشرقون بمنهج نقد المحدّثين.

ت وضع مساق لدى طلبة الدراسات العليا يتعلّق بموضوع الاستشراق والحديث النبوي، وتنمية الناحية النّقدية للطلبة لبيان أخطاء المستشرقين ومناقشتها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(أولاً) المصادر والمراجع العربيَّة

أ- الكتب

1. القرآن الكريم.
2. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، معجم تهذيب اللغة، تحقيق: رياض زكي قاسم، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط1، 2001م.
3. الأعظمي، محمد مصطفى، دراسات في الحديث النبوي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمّان، (بدون رقم الطبعة)، 1992م.
4. الأعظمي، محمد مصطفى، منهج النقد عند المحدثين: نشأته وتاريخه، مكتبة الكوثر- المملكة العربية السعودية، ط3، 1990م
5. الألباني، محمد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة، الدار السّلفية- الكويت، المكتبة الإسلامية- الأردن، ط2، 1404هـ.
6. الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، 1412 هـ / 1992 م.
7. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة : الخامسة، بلا سنة النشر.
8. الألباني، محمد ناصر الدين، نصب المجانيق نسف قصّة الغرانيق، منشورات المكتب الأسلامي – دمشق، 1952.
9. الألوسي، محمود أبو الفضل، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي- بيروت ، بلا سنة نشر والطبعة.
10. بارتون، بروس وآخرون، التفسير التطبيقي، ترجمة: وليم وهبة وجوزيف صابر وصبري بطرس وعاطف سامي، شركة ماستر ميديا، ط1، 1995م.
11. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ومعه فتح الباري لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز الشبل، دار السلام- الرياض، ط1، 200م.
12. ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدّثيهم وفقهائهم وأُدبائهم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري- القاهرة، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط1، 1898م.
13. البعلبكي، روحي، قاموس المورد، ط1، سنة 1995م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

14. البغدادي، محب الدين بن النّجّار، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، انتقاه: الحافظ شهاب الدين أحمد بن أيبك الحسامي الدمياطي المتوفى سنة 749هـ، تحقيق: محمد مولود خلف، أشرف عليه وراجعه: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1، 1986م.
15. بوزيه، لويس؛ سنّو، أهيف؛ فاروقي، نائلة؛ مينيه، رولان، طريقة التحليل البلاغي والتفسير: تحليلات نصوص من الكتاب المقدّس ومن الحديث النبوي الشريف، تعريب: جرجورة حردان وهنري عويس، من منشورات معهد الدراسات الإسلامية المسيحية، جامعة القدّيس يوسف- بيروت، دار المشرق- بيروت، ط2، 2004م.
16. آل بوطامي آل بن علي، أحمد بن حجر، الإسلام والرسول في نظر مُنصفي الشرق والغرب، (بدون دار النشر)، ط3، 1403هـ.
17. البوطي، محمد سعيد رمضان، التّعرُّف على الذات: هو الطريق المُعبّد إلى الإسلام، دار الفكر- دمشق، ط2- 2009.
18. بوكاي، موريس، التوراة والإنجيل والقرآن بمقاييس العِلم الحديث، ترجمة علي الجوهري، مكتبة القرآن- القاهرة، (بدون رقم الطبعة والسنة).
19. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، كتاب العلل، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض، ط2، 2008م.
20. ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط1، 1406هـ.
21. الجرجاني، علي بن محمد بن علي، كتاب التعريفات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط1، 1997م.
22. جمعيّة الكتاب المقدّس- مجلس كنائس الشرق الأوسط، المرشد إلى الكتاب المقدّس، جمعية الكتاب المقدس- لبنان ومجلس كنائس الشرق الأوسط، بدون رقم طبعة، 1996.
23. الجندي، أنور، أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع، الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، بدون رقم الطبعة، 1982م.
24. الجندي، أنور، سقوط العلمانية، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط2، 1980م.
25. ابن جوزي، عبد الرحمن بن علي، العلل المتناهية، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1403هـ.
26. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1- 1952م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

27. حاج أحمد، يوسف، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسّنّة المُطَهّرة، مكتبة ابن حجر- دمشق، (بدون رقم الطبعة)، 2007م.
28. الحاج، ساسي سالم، الظاهرة الاستشراقية، الجامعة المفتوحة- طرابلس (بدون رقم الطبعة والسنة).
29. الحاكم، محمد بن عبد الله بن البَيِّع، معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، تحقيق: أحمد بن فارس السَّلوم، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ط1، 2003م.
30. ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، صحيح ابن حبان، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط 1، 1991م.
31. حسن، محمد خليفة، أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (عمادة البحث العلمي)- الرياض، ط1، 2000م.
32. حميش، سالم، الاستشراق في أفق انسداده، منشورات المجلس القومي للثّقافة العربية- الرباط (المملكة المغربية)، ط1، 1991م.
33. ابن حنبل، أحمد بن محمد، المسند، مؤسسة قرطبة- القاهرة، بدون رقم الطبعة والسنة.
34. الحوالي، سفر، العلمانية: نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المُعاصِرة (رسالة ماجستير)، مكتب الطيب- مصر، ط2، 1999م.
35. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية- بيروت، (بدون رقم الطبعة والسنة).
36. الخطيب، محمد عجاج، السنة قبل التدوين، دار الفكر- بيروت، (بدون رقم الطبعة)، 2005م.
37. خليل، عماد الدين، المستشرقون والسيرة النبوية، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط1، 2005م.
38. أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، دار السلام- الرياض، ط1، 1999م.
39. الدسوقي، محمد، الفكر الاستشراقي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع- المنصورة, ط1، 1995م.
40. دياب، عيسى، بحث بعنوان: الكتاب المقدس وقراءاته المتعدّدة في ضوء العلوم البيبلية الحديثة، النص الديني ووظيفته في الحياة الروحية الشخصية والجماعية في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المسيحية والإسلام، سلسلة الندوات الإسلامية المسيحية، معهد الدراسات الإسلامية والمسيحية، جامعة القديس يوسف- بيروت، 2005م.

41. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد نعناعة ومُسْعَد كامل وأيمن سلامة، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر- القاهرة، ط1، 2004م.

42. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (بدون رقم الطبعة والسنة).

43. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيق الكتاب وخرّج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط11، 1996.

44. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، ميزان الاعتدال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر – بيروت، (بدون رقم الطبعة والسنة).

45. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، معجم تاج العروس، (بدون دار نشر وبلد النشر ورقم الطبعة والسنة).

46. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث- القاهرة، (بدون رقم الطبعة والسنة).

47. زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصّراع الحضاري، كتاب الأمة: سلسلة فصلية تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، العدد الخامس، صفر- 1404هـ.

48. ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، اعتنى به: محمد عوض مرعب وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط 1، 2001م.

49. الزّيلعي، عبد الله بن يوسف أبو محمد الحنفي، نصب الرّاية لأحاديث الهداية، تحقيق: محمد يوسف البنّوري، دار الحديث- مصر، (بدون رقم الطبعة)، 1357هـ.

50. سابا، جورج، على عتبة الكتاب المُقَدَّس، منشورات المكتبة البولسية- لبنان، ط 1، 1987م.

51. السخاوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن، فتح المغيث، تحقيق وتعليق: علي حسن علي، مكتبة السنة- القاهرة، (بدون رقم طبعة)، 2003م.

52. سعيد، إدوارد، الاستشراق: السلطة، المعرفة، الإنشاء، نقله إلى العربية: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت- لبنان، الطبعة العربية السابعة 2005م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

53. السلفي، محمد لقمان، اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم، دار الداعي للنشر والتوزيع – الرياض، ط2، 1420هـ.
54. السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور، أدب الإملاء والاستملاء، تحقيق: ماكس فايسفايلر، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1981م.
55. السمعاني، أبوسعد عبد الكريم بن محمد بن منصور الخرساني المروزي التميمي، الأنساب، تحقيق: محمد أحمد حلاق، مكتبة الرشد- الرياض، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1999م.
56. السيد، رضوان، المستشرقون الألمان: النشوء والتأثير والمصائر، دار المدار الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، 2007م.
57. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2000م.
58. سيف، أحمد نور، عناية المحدثين بتوثيق المرويات وأثر ذلك في تحقيق المخطوطات، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط1، 1987م.
59. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، الإتقان في علوم القرآن، ضبطه وصحّحه وخَرَّجَ آياته: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 1، 2004م.
60. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، تدريب الراوي، تحقيق: أبي قتيبة نظر محمد الفاريابي، مؤسسة الريان، بيروت- لبنان، ط1، 2005م.
61. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، طبقات الحفّاظ، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 2، 1994م.
62. الشافعي، محمد بن إدريس، الأم، اعتنى به: حسّان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، (بدون رقم الطبعة والسنة).
63. شايب، لخضر، نبوّة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر، مكتبة العبيكان، الرياض، ط2، 2002 م.
64. شلبي، أحمد، الاستشراق: تاريخه وأهدافه.. شبهات المستشرقين ضد الإسلام مناقشتها وردها، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، ط3، 1993م.
65. الصباغ، محمد لطفي، التصوير الفني في الحديث النبوي، المكتب الإسلامي- بيروت، ط1، 1988م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

66. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط1، 2000م.
67. ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، مقدّمة ابن الصلاح، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2003م.
68. صليبا، جميل، المُعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، دار الكتاب المصري- القاهرة، (بدون الطبعة والسّنّة).
69. أبو طاهر بن محمد، التبيان لبعض المباحث المُتعلّقة بالقرآن، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدّة، دار البشائر الإسلامية، بيروت- لبنان، ط4، 1425هـ.
70. الطيب، محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود، ضبط وتحقيق: عبد الرحمن عثمان، دار الفكر، (بدون بلد النشر ورقم الطبعة والسنة).
71. ظهير، إحسان إلهي، القاديانية: دراسات وتحليل، إدارة تُرجمان السّنّة، لاهور- باكستان، ط16، 1983م.
72. ابن عبّاد، إسماعيل، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب- بيروت، ط1، 1994م.
73. عبد الخالق، عبد الغني، حجّيّة السّنّة، الدار العالَميّة للكتاب الإسلامي- الرياض، ط معادة 1995م.
74. العبد اللطيف، عبد العزيز بن محمد، نواقض الإيمان القولية والعملية، دار الوطن- الرياض، ط2، (بدون السنة).
75. العسقلاني، أحمد بن علي، الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ضبطه وصحّحه: الشيخ عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1997م.
76. العسقلاني، أحمد بن علي، المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، تحقيق: محمد شكّور امرير الميادين، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1، 1996م.
77. العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز الشبل، دار السلام- الرياض، ط1، 200م.
78. العسقلاني، أحمد بن علي، لسان الميزان، (بدون دار النشر ورقم الطبعة والسنة).
79. العسقلاني، أحمد بن علي، هدي الساري مقدمة فتح الباري، تحقيق: عبد العزيز الشبل، دار السلام- الرياض، ط1، 200م.
80. العقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف- القاهرة، ط4، بدون السنة.
81. العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى، الضّعفاء الكبير، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1984م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

82. ابن العماد العكري، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب، حققه وعلّق عليه: محمود الأرناؤوط، أشرف على تحقيقه وخرّج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق– بيروت، ط1، 1989م.
83. العمري، أكرم ضياء، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، مطبعة الإرشاد– بغداد، ط2، 1972م.
84. العمري، أكرم ضياء، موقف الاستشراق من السيرة والسنة النبوية، دار إشبيليا– الرياض، ط1، 1997م.
85. عميرة، عبد الرحمن، الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق، دار الجيل– بيروت، بدون رقم الطبعة والسنة.
86. العيني، أبو محمد محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ضبطه وصحّحه: عبد الله محمود محمد عمر، دار الطتب العلمية، بيروت– لبنان، ط 1، 2001م.
87. أبوغدّة، عبد الفتاح، الإسناد من الدين، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ط 1، 1992م.
88. غراب، أحمد، رؤية إسلاميّة للاستشراق، المنتدى الإسلامي– لندن، ط 2، 1411هـ.
89. فروخ، عمر؛ خالدي، مصطفى، التبشير والاستعمار، المكتبة العصرية، لبنان– بيروت، صيدا، ط5، 1973م.
90. الفيومي، محمد بن إبراهيم، الاستشراق رسالة الاستعمار، دار الفكر العربي– القاهرة، (بدون رقم طبعة)، 1993م.
91. قُتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تأويل مُختلف الحديث، دار الحديث– القاهرة، بدون رقم الطبعة، 2006م.
92. القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله، مسند الشهاب، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة– بيروت، ط 2، سنة1407هـ– 1986م.
93. القنوجي، صديق بن حسن، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية– بيروت، 1978م.
94. ابن قيّم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، حقّقه وخرّج أحاديثه وآثاره: إياد بن عبد اللطيف بن إبراهيم القيسي، مكتبة الرشد، الرياض– المملكة العربية السعودية، ط1، 2005م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

95. الكتاب المقدس، الترجمة العربية المشتركة من اللغات الأصلية، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، العهد القديم- الإصدار الثاني 1995، الطبعة الأولى، العهد الجديد- الإصدار الرابع 1913، الطبعة الأولى، جمعية الكتاب المقدس في لبنان.
96. ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن الشيخ أبي حفص شهاب الدين عمر، البداية والنهاية، دار الفكر- بيروت، مكتبة الرياض الحديثة- الرياض، (بدون رقم الطبعة)، 1982م.
97. لويس، برنارد، الإسلام والغرب، ترجمة: قسم التأليف والترجمة بدار الرشيد، دار الرشيد- دمشق، بيروت، مؤسسة الإيمان، بيروت- لبنان، ط1، 1994م.
98. ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، تحقيق: صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، دار السلام- الرياض، ط1، 1999م.
99. المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 2000م.
100. مجموعة من الباحثين، مناهج المستشرقين في الدّراسات العربيّة والإسلاميّة: دراسة أعدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الرياض،1411هـ.
101. مراد، عباس كاظم، البابية والبهائية ومصادر دراستهما، مطبعة الإرشاد- بغداد، (بدون رقم طبعة)، 1982م.
102. مراد، يحيى، افتراءات المستشرقين على الإسلام، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط1، 2004م.
103. المَرْداوي الحنبلي، علاء الدين أبي الحسن علي بن سلمان، التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، دراسة وتحقيق: عوض بن محمد القرني، مكتبة الرشد-الرياض، ط 1، 2000م.
104. المزي، أبو الحجاج يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، حققه وضبط نصّه وعلّق عليه: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط1، 1992م.
105. المسلاتي، مصطفى نصر، الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، منشورات اقرأ للطباعة والترجمة والنشر والخدمات الإعلاميّة- طرابلس، ط1، ربيع الأول 1396 من وفاة الرسول ﷺ.
106. مطبقاني، مازن بن صلاح، الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام، دار إشبيليا- الرياض، ط1، سنة1421هـ.
107. معدّي، الحسيني الحسيني، علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام، دار الكتاب العربي، دمشق- القاهرة، ط1، 2007م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

108. مغاوري، جميل محمد، صفحات من تاريخ الحركة العلميّة في المشرق، المكتبة التجارية، القاهرة.
109. ابن منذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم، الإجماع، راجع أصوله وحقّق نصوصه وعلّق عليه وكتب مقدّماته ووضع فهارسه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الصفا- القاهرة، (بدون رقم طبعة)، 1999م.
110. ابن منظور الإفريقي، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر- بيروت، ط 1، (بدون السنة).
111. الميداني، عبد الرحمن حسن، العقيدة الإسلامية وأُسسها، دار القلم- دمشق، ط 11، 2002م.
112. ابن نبي، مالك، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط1، 1969م.
113. النسائي، أحمد بن شعيب، تحقيق: صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، دار السلام- الرياض، ط1، 1999م.
114. النعماني، محمد عبد الرشيد، الإمام ابن ماجه وكتابه السنن، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط 6، 1419هـ.
115. أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء، دار الكتاب العربي- بيروت، ط4، 1405هـ.
116. النملة، علي بن إبراهيم الحمد، ظاهرة الاستشراق: مناقشات في المفهوم والارتباطات، مكتبة التوبة- الرياض، ط2، 2003م.
117. النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجّاج، تحقيق خليل بن مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط13، 2007م.
118. النيسابوري، مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ومعه المنهاج للنووي، حقق أصوله وخرّج أحاديثه على الكتب الستة حسب المعجم المفهرس وتحفة الأشراف: خليل بن مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط13، 2007م.
119. الهيثمي، الحارث بن أبي أسامة، زوائد الهيثمي، تحقيق : د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية- المدينة المنورة، ط1، سنة 1413هـ - 1992م.
120. اليحصبي، القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، دار الفكر-بيروت، بدون رقم الطبعة والسنة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- المجلات والدوريات

1-الجابري، صلاح، نقد الاستشراق ومنهجه: دراسة نقدية لموقف الاستشراق من الرسالة الإسلامية، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، مجلة إسلامية ثقافية جامعة محكّمة تصدر سنوياً، تصدر عن كلية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى- طرابلس، العدد 19، سنة 1370 من وفاة الرسول ﷺ الموافق 2002م.

2-جريشة، محمد علي؛ الزيبق، محمد شريف، تلخيص كتاب: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، مجلة المنطلق، مجلة فكرية تصدر كل شهرين عن الاتحاد اللبناني للطلبة المسلمين، العدد الثالث عشر، ربيع الثاني- 1401هـ.

3-الطحاوي، حاتم، الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، مراجعة كتاب لمحمد خليفة حسن، مجلة الاجتهاد، مجلة مُتخصّصة تُعنى بقضايا الدين والمجتمع والتجديد العربي الإسلامي، ع51، السنة الثالثة عشرة، ربيع وصيف العام 2001م- 1422هـ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(ثانياً) المصادر والمراجع الأجنبيَّة

أ- الكتب

1- Barnhart, C. L. & Others, The American College Dictionary, Random House- New York, 1964.
2- Hornby, A. S., & Gatenby, E. V., & Wakefield, H., The Advanced Learner's Dictionary of current English, Oxford University Press- London, Second Edition.
3- McKnight, Edgar V., What is Form Criticism?, Wipf & Stock Publishers, 2nd Edition, 1997.
4- McLoughlin, Leslie, In A Sea Of Knowledge: British Arabists in The Twentieth Century, Ithaca Press- UK, First Edition, 2002.
5- Robson, James:

- Hadith, The Encyclopedia Of Islam, New Ed. Leiden, Vol. 3, 1971.
- Ibn Ishaq's Use of Isnad, Bulletin of the John Rylands Library, Volume 38, number 2, March 1956.
- An Introduction to the Science of Tradition, being Al-Madkhal ila Ma'rifat al-Iklil by Al Hakim Abu 'Abdallah Muhammad b. Abdullah al-Naisaburi, London, 1953.
- The Material of Tradition (1) & (2), Muslim World, XLI, 1951.
- Mishkat al-Masabih, English Translation with explanatory notes, (Author: Khatib al-Tabrizi, Muhammad Ibn AbdAllah, fl. 1337), Lahore, M. Ashraf, 1953- 1965.
- The Muslim Tradition: the Question of Authenticity, Memories and Proceedings of the Manchester literary and Philosophical Society, XLLIII, 1951-52.
- A Shia Collection of Divine Traditions, Glasgow University Oriental Society Transactions, 22, 1970.
- Standards Applied by Muslim Traditionists, Bulletin of the John Rylands Library, Vol. 43, number 2.
- Tradition- the Second Foundation of Islam, Muslim World, XLI, 1951.
- Traditional: Investigation and Classification, Muslim World, XLI, 1951.
- The Transmission of Abu Dawud's Sunan, BSOAS 14, 1952.
- The Transmission of Muslim's Sahih, JRAS, 1949.
- The Transmission of Nasa'I's Sunan, JSS 1, 1956.
- The Transmission of Tirmidhi's Jami, BSOAS 16, 1954.
- Varieties of the the Hassan Tradition, Journal of Semetic Studies, 1964.

6- Tucker, Gene M., Form Criticism of the Old Testament, Fortress Press, Philadelphia- U.S.A., 1971.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

7- Webster, Noah; Websters dictionary, New World Dictionaries- U.S.A., Second Edition, 1979.
8- Wegner, Paul D., A Student's Guide to Textual Criticism of the Bible, Intervarsity Press- U.S.A., 2004.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- المواقع الإلكترونية

1- alnoor.se/article.asp?id=82552
2- ar.wikipedia.org
3- ar.wikipedia.org
4- en.wikipedia.org
5- personal.umich.edu
6- special.lib.gla.ac.uk
7- www.al7ewar.net
8- www.britannica.com
9- www.burhanjadeed.com
10- www.discover-syria.com
11- www.forministry.com
12- www.madinacenter.com
13- www.sd-sunnah.com
14- www.wikipedia.com
15- www.valt.helsink.fi
16- 3aql.maktoobblog.com/644952

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الآيات القرآنية

البقرة	
(وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [217]	217
آل عمران	
﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [72]	179
النساء	
﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [79]	8
﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [80]	66، 72
﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [115]	66
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [59]	73
المائدة	
﴿وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ ﴾	178
الأنعام	
﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [38]	183
الأعراف	
﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ﴾[157]	185
الحجر	
﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾ [6]	181
النحل	
﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [89]	183
﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [١٢٦]	176
المؤمنون	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [70]	175
النور	
﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [63]	72
سبأ	
﴿ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم﴾ [46]	181
الزخرف	
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾ [38]	20
الدخان	
﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾﴾ [14]	181
محمد	
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [11]	109
الحشر	
﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾ [7]	66
القلم	
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [4]	د، 173
الحاقة	
﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [43-40]	186

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الأحاديث النبوية

الأحاديث المرفوعة

ملاحظة: إذا كان الحديث من الأحاديث التي وردت في حواشي البحث ميَّزته بأنْ أشرت إليه بإشارة (*) بإثر رقم الصفحة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآثار وأقوال التابعين

ملاحظة: إذا كان الأثر -أو نحوه- ممّا ورد في حواشي البحث ميَّزته بأنْ أشرت إليه بإشارة (*) بإثر رقم الصفحة.

"قصّة محمود بن الربيع"	142،143
ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الهلال ثُمَّ الهلال (عائشة)	157
آخى النبي ﷺ بين سليمان وأبي الدّرداء... (أبو جحيفة)	161*
أَقْبَلْتُ رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ أَتَانٍ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ قَدْ نَاهَزْتُ الِاحْتِلَامَ (ابن عباس)	144
أنّ النبي ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس	165*
أنّ يهودياً رضَّ رأسَ جاريةٍ بين حجرَين.... (أنس)	175*
أهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ للنبيّ ﷺ بغْلة بيضاء (أبو حُمَيد)	158*
بَعَثَ عليٌّ ﵁ إلى النبي ﷺ بذُهَيْبة (أبو سعيد الخدري)	167*
خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بالهاجِرة إلى الْبَطْحَاءِ (أبو جُحَيْفَةَ)	174*
خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من الخبز الشّعير (أبو هريرة)	156*
عَقَلْتُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِي وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دَلْوٍ (قصّة محمود بن الربيع)	144
عندنا من شَعَرِ النَّبِيِّ ﷺ أَصَبْنَاهُ من قِبَلِ أَنَسٍ (ابن سيرين)	174*
قال أبو طلحة لأُمِّ سُلَيْمٍ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّه ﷺ ضَعِيفًا (أنس بن مالك)	157*
لمّا جاء قتلُ ابن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة ﵃ (عائشة)	165*
لمّا جاء قتلُ ابن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة ﵃ (عائشة)	170
مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِرْهَمًا ولا دِينَارًا ولا... (عمرو بن الحارث)	158*
ما رأى رسول الله ﷺ النّقيَّ من حين ابتعثه الله حتى قَبَضَه الله (سهل بن سعد)	157*
ما شَبِعَ آل محمد ﷺ من طعام ثلاثة أيام حتى قُبِضَ (أبو هريرة)	156*
ما شبع آل محمد ﷺ منذ قَدِمَ المدينة من طعام البرّ ثلاث ليالٍ تِباعاً حتى قُبِض (أبو هريرة)	156*

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الاصطلاحات الحديثية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مسرد مفهرس لأهم المستشرقين المذكورين في البحث
-مرتَّبين على الحروف-
مع ترجماتهم

(ملاحظة: خصَّصت لترجمة جيمس روبسون المبحث الثالث من الفصل الأول، ص 48- 56).

.1	إجناس جولدزيهر (1850- 1921م) Y. Goldziher، يهودي مجري، من أكثر المُستَشرقين تعصُّباً ضد الإسلام، كان عضواً في مجمع العلوم المجري، وفي مجامع علمية أخرى، وقد نال رتبة دكتور شرف من جامعتي إدنبره وكامبريدج، وله دراسات عديدة عن الإسلام منشورة في المجلات الآسيوية والغربية باللغات الألمانية والفرنسية والإنجليزية والروسية والمجرية والعربية، رحل إلى العديد من الأقطار العربية، وصَحِبَ فيها الشيخ طاهر الجزائري مدة، ثم رحل إلى فلسطين، ومصر (1873- 1874م) حيث درس العربية على شيوخ الأزهر ومن أبرز مَن درس عليه الشيخ محمد عبده، عُني بالدين الإسلامي، كما عُني بالأدب العربي.	18
.2	ألويس شبرنجر (1813- 1893م) Aloys Sprenger، مستشرق نمساوي، وُلد في التيرول، ودرس في إنسبروك وفيينا وباريس، وحصل على الدكتوراه في الطب من ليدن، وأرسلته شركة الهند الشرقية البريطانية إلى الهند ليعمل طبيباً هناك، وتولّى رئاسة الكلية الإسلامية في دلهي، ثم مدرسة كلكتا، وعمل أستاذاً للغات الشرقية في جامعة برن بسويسرا، ثم اعتزل التعليم إلى التأليف في هايدلبرج	18
.3	أو لوث (1844- 1881م) O. Loth، مستشرق ألماني، درس على يد المستشرق الشهير فلايشر في لايبزيج، وحصل على درجة الدكتوراه، وكانت أطروحته متعلّقة بابن سعد، "عمل مدة في مكتبة المتحف البريطاني في لندن".	87
.4	إيون كيث Ion Keith (1856- 1887م)، مبشّر اسكتلندي ومدرّس للغة العربية، وُلد في إدنبره، درَس في كلية الثالوث في كامبريدج، وكان أستاذ العربية في جامعة كامبريدج، يُتقن بعضاً من اللغات السّاميّة منها: العربية	40

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

	والعبرية والسريانية، اتّخذ من مدينة عدن مقرّاً للتبشير، وتوفي فيها إثر إصابته بالملاريا.	
.5	بارتوليمي ديربيلو دو مولانفيل Barthélemy d'Herbelot de Molainville (1652- 1695م) مستشرق فرنسي، وُلِدَ في باريس، وتلقّى تعليمه في جامعة باريس، وكرّس نفسه لدراسة اللغات الشرقية، ورحل إلى إيطاليا ليُتقِن تلك اللغات عن طريق عمله في الموانئ البحرية؛ حيث كان يتحدّث مع التجار الشرقيين بلغاتهم، وبعد عودته إلى فرنسا بعامٍ ونصف، عُيّن مترجماً للغات الشرقيّة لدى الملك. وبعد سنوات قليلة زار إيطاليا مرّةً أُخرى وقدّم له دوق توسكانا فرديناند الثاني عدداً كبيراً من المخطوطات الشرقية، توفي في باريس.	17
.6	برنارد لويس Bernard Lewis (المولود عام 1916م): مستشرق أمريكي، بريطاني المولد، تخرّج من جامعة لندن مع مرتبة الشرف الأولى (1936م)، كما حصل على دبلوم الدراسات السامية من جامعة باريس (1937م)، والدكتوراه من جامعة لندن (1939م)، كما حصل على الدكتوراه الفخرية من الجامعة العبرية بالقدس (1974م). من المناصب التي شغلها: أستاذ الدراسات الخاصة بالشرق الأدنى في جامعة برنستون، وعضو دائم في معهد الدراسات المتقدّمة في برنستون- نيوجيرسي (1974م)، مساعد محاضر في التاريخ الإسلامي في مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن (1938م)، وأستاذ زائر في عدة جامعات أوروبية (1955-1969م)، وعضو شرف في الجمعية التاريخية التركية (1972م)، وفي وزارة الثقافة التركية (1973م)، ومن آثاره: أصول الإسماعيلية (كامبريدج 1976م)، العنصرية واللون الإسلامي (نيويورك 1971م) الإسلام في التاريخ (لندن 1973م)، الشيوعية والإسلام (الشؤون الدولية 1954م)، وغيرها.	61
.7	السير توماس أرنولد (1864- 1930م) Sir Thomas Arnold، مستشرق بريطاني، درس في كمبريدج، ومن المناصب التي شغلها: أستاذاً في جامعة عليكرة بالهند، وأستاذاً للفلسفة في لاهور، ومساعداً لأمين مكتبة ديون الهند، وهو أول مَن جلس على كرسي الأستاذية في قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن ثم اختير عميداً لها، وكان مُعجباً بالإسلام.	10

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

.8	توماس كارلايل Thomas Carlyle كاتب وناقد ومؤرّخ اسكتلندي (1795–1881م)، تخرّج من جامعة إدنبره، وعمل بعدها مدرّساً للرياضيات، بعدها عاد إلى الجامعة لدراسة القانون، ثم شرع بدراسة الفكر الألماني، وله سلسلة من المقالات في ذلك الموضوع وعن الشعراء وغيرهم، وشكّلت هذه المرحلة الخطوة الأولى في عالم الأدب الذي تميّز فيه لاحقاً، ولكارلايل كتاب (الأبطال) الذي اشتهر به، حيث تضمّن دراسة أدبية تاريخية للبطولة جسّدها في عدّة أشخاص مثل: البطولة الأسطورية في شخص الإله أودين –الأسطوري–، والبطولة النبوية في شخص نبيّنا محمد ﷺ، حيث مجّد النبي ﷺ وعظّمه، وأبدى إعجابه وتقديره بقيادة النبي ﷺ للأمة في وقتٍ قصير نسبياً.	34
.9	جوزيف شاخت (1902– 1969م) Joseph Schacht، مستشرق ألماني، درس في جامعتي برسلاو ولايبزيج، شغل مناصب مهمة عديدة كان منها: أستاذاً في جامعة فرايبورج، وجامعة كونسبرج، والجامعة المصرية، وأستاذاً للأحداث العلمية في جامعة الجزائر، كذلك أستاذاً في جامعة ليدن، وأستاذاً زائراً في جامعة كولومبيا، كما كان عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، وغيره من المجامع، وعُني بدراسة التشريع الإسلامي.	19
.10	جوزيف هوروفيتس (1874– 1931م) Joseph Horovitz، مُستشرق ألماني، تخصّص بدراسة الإسلام في الهند، وكان أستاذ اللغة العربية في جامعة عليجرة بالهند، وكان خبيراً بالخطوط العربية لدى الحكومة، بعدها، عمل أستاذاً في جامعة فرانكفورت.	19
.11	ديفيد سانتيلانا (1855– 1931م) David Santillana، مُستشرق إيطالي، وُلد في تونس، نال درجة الدكتوراه في القانون من جامعة روما، وعُني بالفقه الإسلامي وفلسفته، وكان قد شارك في لجنة إعداد القوانين التونسية، فوضع القانون المدني والقانون التجاري في تونس، وكان له معرفة واسعة في المذهَبَيْن المالكي والشافعي، كما كان أستاذاً لتاريخ الفلسفة (1910م)، وكان أستاذاً في جامعة روما لتدريس القانون الإسلامي	87
.12	رادولف بولتمان Rudolf Bultmann، ألماني (1884–1976م)، دَرس اللاهوت في توبنغن، كان تلميذاً لهيرمان جونكل Hermann Gunkel.	95
.13	ريتشارد إتينجهاوزن (1906–1979م) Richard Ettinghausen، مستشرق ألماني، درس في جامعات ميونخ وكمبريدج وفرانكفورت، شغل	10

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

	مناصب عديدة، منها: مساعد الدائرة الإسلامية في المتحف الوطني ببرلين، ومساعد نشر دراسات الفن الفارسي، ومساعد أستاذ للفن الإسلامي بجامعة ميتشيجان، ومحرر لمجلة الفن الإسلامي ومجلة الفن الشرقي، وغير ذلك.	
.14	سنوك- هرجرونجه (1857- 1936م) Snouck- Hurgronje، مُستشرق هولندي، وُلد في استرهوت، وعلم في ليدن على دي خويه، وفي ستراسبورج على نولدكه، ودخل مكة تحت إسم عبد الغفار سنة 1884م، وأقام فيها خمسة أشهر وغادرها قبل موسم الحج آنذاك، كان أستاذاً للعربية في باتافيا، وفي جامعة ليدن ، واعتُبر من أبرز المُستشرقين في دراساته للفقه الإسلامي والأصول والحديث والتفسير.	13
.15	كارل لدويج شميدت Karl Ludwig Schmidt (1891-1956م)، ألماني، وهو أحد أبرز دارسي الكتاب المقدس –وبخاصة العهد الجديد-، سعى إلى إثبات وجود الأنواع الأدبية في الأناجيل.	95
.16	الأب لامينس (1862- 1937م) Lammens, P. H.، من المستشرقين الرهبان، بلجيكي المولد، فرنسي الجنسية، أصبح راهباً سنة (1878م)، درس تخصص اللغة العربية في جامعة القديس يوسف في بيروت، وشغل مناصب منها: أستاذ البيان في جامعة القديس يوسف ثم رحل حيث كان مدرّساً للاّهوت في إنجلترا، ودرّس في لوفان، وفيينا وروما، وعاد إلى جامعة القديس يوسف ببيروت وعُهد إليه بالدراسات الشرقية وبرع فيها، توفي في بيروت، عُني بتاريخ الشرق الأدنى، وبتاريخ نصارى الشرق، وبتاريخ الإسلام والإسلاميات، وبالتاريخ المعاصر، وبالعقائد والتصوف والنظم والعادات الإسلامية، وبالفرق، وبفقه اللغة واللغات والأدب العربي، وبالعلوم، وبالرهبنة.	87
.17	الأمير ليوني كايتاني (1869- 1926م) Leone Caetani، مُستشرق إيطالي، وُلد في روما، وتخرج من جامعة روما، وأتقن سبعة لغات منها العربية والفارسية، كان ثرياً، وشغل منصب سفير إيطاليا بواشنطن، ورحل إلى الهند وإيران ومصر وسوريا ولبنان.	18
.18	مارتن ديبيليويس Martin Dibelius ألماني (1883-1947م) ألماني، وهو أحد دارسي الكتاب المُقَدَّس وأول مَن طبّق نقد الشكل على العهد	+95

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

	الجديد.	
.19	السير هاملتون جيب (1895 -1971م) Sir Hamilton A. R. Gibb، مُستشرق بريطاني من مواليد الاسكندرية في مصر، يُعَدّ من أشهر المُستَشرقين، شغل مناصب عديدة منها: عضو المجمع العلمي العربي في دمشق، والمجمع اللغوي في القاهرة –وكان خمسة مُستَشرقين الذين كانوا أعضاءً فيه عند تأسيسه–، وأستاذاً للعربية في مدرسة الدراسات الشرقية وأستاذاً للعربية، كان يتّصف بالنُّبوغ، عُني بالتاريخ الإسلامي كما عُني بالدين الإسلامي وبالثقافة والحضارة الإسلامية.	19
.20	هيرمان جونكل Hermann Gunkel (1862–1932م)، ألماني بروتستانتي، درس اللاهوت في جامعة جوتنغن وجيسن، عُرِفَ بإسهامه الكبير في مجال نقد الشكل ودراسة التقليد الشفهي في نصوص الكتاب المُقَدَّس.	95
.21	وليم رايت William Wright (1830- 1889م): بريطاني وُلِد في البنغال، "كان والده قائداً في الجيش البريطاني، ووالدته ابنة الحاكم خبيرة بعدّة لغات شرقية فشجّعته على تعلُّمها، فدرسها في اسكتلندا، وفي ليدن على دوزي". من المناصب التي شغلها: أستاذاً للغة العربية في جامعة لندن (1856م)، وجامعة دبلن (1858م)، وأستاذاً في كامبريدج (1870م) وحصل منها على الدكتوراه في الحقوق وفي الفلسفة، كما عمل في مكتبة المتحف البريطاني (1861م)، وقد كان عضواً في جمعيّات آسيوية كثيرة . من آثاره: في الأدب العربي: ديوان شعر طهمان بن عمرو الكلابي، الملاحن لابن دريد (ليدن 1859م)، كما نشر كتاب الكامل للمبرد لأول مرة في العالم مع فهارس وافية (ليبزسج- كامبريدج 1864- 1892م)، وترجم كليلة ودمنة إلى الإنجليزية.	41
.22	السير وليم موير Sir William Muir (1819- 1905م): مستشرق اسكتلندي، درس الحقوق وتخرج من جامعة جلاجو وإدنبره، ومن المناصب التي شغلها: مدرّس في إدنبره، أميناً للحكومة الهندية (1865- 1868م)، رئيساً لجامعة إدنبره (1885- 1902م). ومن آثاره: سيرة النبي والتاريخ الإسلامي في ظاربعة أجزاء (لندن 1856- 1861، 1895م، إدنبره 1923م)، مصادر الإسلام في 102 صفحة (لندن 1901م)، وغيرها.	18

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

23.	يوليوس رشتر Julius Richter، كان وزير المستعمرات الألمانية سنة 1905م.	27

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الأعلام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحيى بن سعيد	108
يعلى بن مرة	107

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النبيُّ (في كلام روبسون) –على نبيِّنا الصلاةُ والسلام–:

أ) في المتن:	ط، 5، 8، 34، 36، 42، 54، 59، 60، 63، 64، 65، 65، 67، 69، 72، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 87، 89، 90، 91، 92، 97، 98، 107، 109، 110، 112، 113، 114، 115، 127، 129، 143، 145، 156، 157، 158، 159، 160، 161، 162، 165، 167، 168، 170، 172، 173، 174، 175، 176، 177، 180، 181، 182، 183، 184، 185، 186، 187، 188، 189، 192، 200، 204.
ب) في الحواشي –حواشي هذا البحث–:	
الحاشية رقم 4	153
ماقبل الحاشية رقم 1	154
الحاشية رقم 1	154
الحاشية رقم 2	154
الحاشية رقم 1	160
الحاشية رقم 3	160
الحاشية رقم 4	161
الحاشية رقم 4	162
الحاشية رقم 2	164
الحاشية رقم 1	166
الحاشية رقم 1	171
الحاشية رقم 1	172

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس البلدان والأماكن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كوبا	31
لندن	37، 39، 40، 41، 51، 54، 55، 56
ليبيا	31
المشرق	20، 21، 124.
مصر	38، 39، 40، 42، 62، 96، 97،121، 168، 172
المغرب	20، 26، 121
المملكة العربية السعودية	32
المنطقة الشرقية	30
المنطقة العربية	32، 40.
نيسابور	103، 137
الهند	30، 38، 39، 41، 45،58، 62
الولايات المتّحدة الأمريكية	31، 42، 49
اليابان	62
اليمن	58، 186.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-**الجماعات**

-**القبائل**

-**الجنسيات**

-**أتباع الأديان**

-**أتباع الفرق**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الألسنة واللغات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المصطلحات السياسية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس التيارات والاتجاهات والحركات الاجتماعية والسياسية وما شاكل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الجامعات والمؤسسات والهيئات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكنيسة المتّحدة الحرّة في اسكتلندة	49، 50
كنيسة شاندون في غرب اسكتلندة	50
المؤسسات الاستشراقية	46
مجلس الكنيسة المشيخية في بومباي	50
المدارس والكليات العلمانية	27

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الأديان والمذاهب والفرق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

THE STAND OF THE BRITISH ORIENTALIST JAMES ROBSON OF THE SIX BOOKS: AN ANALYTICAL CRITICAL STUDY

By
Sereen Abdel Rahman Salem Alia

Supervisior
Dr. Sultan Sanad Al-Akayleh

ABSTRACT

The theme of the research is being within the core of defending the Sunna (of the Prophet), this was especially when the Orientalists directed their effort to study the Sunna (of the Prophet), and some of those Orientalists drew forth criticism and raised doubts about Sunna. I have dealt with one of such raised doubts and criticism that a British Orientalist named James Charles Robson had evoked towards the six books of Al Hadith (saying of the Prophet); which they are considered the most important and eminent books involved in Sunna (of the Prophet).

The main objectives that I have sought to achieve, that to recognize the study methods of Al Hadith (sayings of the Prophet) that Robson adopted, to stand on his views with regard to the Six Books, by conducting an objective scientific discussion, especially that Sunna (of the Prophet) is a major source of the Islamic sources of legislation and one of the pillars of Islam and if this pillar is demolished, this shall conduce to the destruction of Islam.

The research was divided into introduction, preamble, three chapters and conclusions; the introduction was devoted to the defining the study, where I have clarified the problem of the study, its importance, aims and the methodology of the research. The preamble showed the main lines that the Orientalists adopted in studying Islam in general, also I have clarified the beginnings of the Orientalists studies about Sunna (of the Prophet).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

As for the first chapter, I brought up the concept of Orientalism and its beginnings, the lifetime and Orientalism efforts of James Robson.

As for the second chapter, I brought into view the major themes that Robson adopted regarding Hadith (saying of the Prophet), and the method in his study. Furthermore, I discussed the methods and the attitude of the Orientalist Robson study towards the composers and compliers of the Six Books of Al Hdith (saying of the Prophet), standing, position and narrations.

As for the third chapter, in which Robson spoke about his position regarding the bodies and texts of the Hadith of the six books where he viewed and subjugated those texts to criticism, whereas I dealt with Robson's position toward the texts relating the Prophet's life, asceticism and miracles, followed by Robson's position towards the Prophet's – peace be upon him – companions. Robson also brought into view two attitudes for Aisha and Omar Ibn Al Khattab – Allah be pleased with-. Finally, the allegation that the Prophet had studied, examined the Bible and quoted thereof; all these points were discussed and refuted.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit